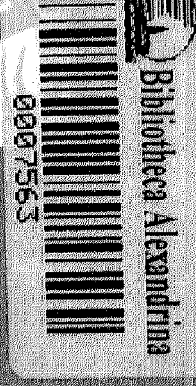
الصحافة العربية

الإعلام الإخباري وعجلة السياسة في العالم العربي



أيه. روو

ترجمة

الدكتور موسى الكيلاني

مركز الكتب الاردني



الصحافة العربية
الإعلام الإخباري وعجلة السياسة
في العالم العربي

وليم أيه . روو

ترجمة: الدكتور موسى الكيلاني

مركز الكتب الأردني

الصحافة العربية

THE ARAB PRESS

News Media and Political Process in the Arab World

REVISED, SECOND EDITION

WILLIAM A. RUGH

Authorized Translation From English Language Edition

Published by SYRACUSE UNIVERSITY PRESS

JORDAN BOOK CENTRE COMPANY LIMITED 1989

المحتويات

الصفحة

ديباجة الطبعة الثانية ١

الديباجـة ١٣

المقدمة ١٧

الفصل الأول :

اعلام المعلومات العربي:

الوظيفة والبنية ٢٣

كثافة وسائل الاعلام في العالم العربي ٢٥

الظروف المؤثرة على وسائل الاعلام العرب ٢٨

(دور) وظيفة الاعلان والتسلية ٥١

الاجهزة الاعلامية ٥٢

المجلات المهمة ٥٩

الفصل الثاني :

الصحافة التعبوية ٦١

الظروف السياسية ٦٧

الصحافة المصرية ٧٦

الفصل الثالث :

الصحافة التعبوية: مراحل التطور ٨٧

المرحلة الاستعمارية ٨٧

المرحلة الفئوية ٩٣

المرحلة غير الحزبية ٩٩

المرحلة التعبوية ١٠٥

الفصل الرابع :

الصحافة الموالية ١١٣

الملكية الخاصة (الاهلية) ١١٤
محتوى الصحيفة ١١٨
العوامل المسؤولة عن الصحافة الموالية ١٢١
وسائل التوجيه ١٣٤
الفصل الخامس :
الصحافة التعددية ١٣٦
الصحافة اللبنانية ١٣٨
الصحافة الكويتية والمغربية ١٥٢
اسباب التعددية والحرية النسبية ١٦٣
الفصل السادس :
الاذاعة العربية والتلفزيون ١٦٨
النظام التعبوي ١٧١
الاذاعة الحكومية ١٨١
الاذاعة اللبنانية ١٨٨
الفصل السابع :
مصادر الاخبار الاجنبية للجماهير العربية ١٩٤
وكالات الأنباء العالمية ١٩٥
وكالات الأنباء العربية والأخبار الأجنبية ٢٠٤
مقارنة بين المصادر الاخبارية ٢٢٤
الفصل الثامن :
الخلاصة ٢٢٩
العلاقة الحكومية ـ الاعلامية ٢٣١
اصناف الصحافة التحتية والمعارضة السياسية ٢٣٢
ديناميكية التغير ٢٣٦
الاخبار الأجنبية ٢٣٨

الصحافة العربية

ديباجة الطبعة الثانية

يتعـرض العـالم العـربي المعاصر وباستمرار لتغيرات إقتصادية وتكنولوجية واجتماعية وسياسية سريعة وغالباً درامية. وهكذا، ليس من الغريب انه في السنوات التي خلت ومنذ الطبعة الاولى لهذا الكتاب في عام ١٩٧٩، تأثرت وسائل الاعلام في العالم العربي بهذه التغييرات. ومع ذلك فان مراجعة دقيقة لاوضاع وسائل الاعلام في كل البلدان العربية، خلال هذه الفترة من الوقت وبمسـاعـدة سخية من زملاء محترفين من الولايات المتحدة وغيرها، تؤكد ان التحاليل والاوصاف النظمية الاساسية الموجودة في الطبعة الأولى لا تزال صحيحة. وحيثما حصل التغيير فان النص قد تغـيّر، ولكن هذه كانت تعـديلات في التفاصيل وليس في الاساسيات لانه حتى التطورات الأكثر درامية التي لحقت بالاعلام قد خرجت بمرور الوقت، عن الخصائص التي لا تزال موجودة في النظام بشكل ما.

واكثر تطورات الاعلام العربي اهمية هي نتيجة للتطورات السياسية الحديثة في كل من لبنان ومصر والسودان وكذلك للازدهار الاقتصادي الجديد في دول الخليج والتقدم التكنلوجي الذي جعل اجهزة اشرطة الفيديو اكثر توفراً وبشكل واسع للمستمعين العرب.

فمنذ عام ١٩٧٩ عانت لبنان من توترات شديدة نتيجة للنزاعات التي حصلت بين احزاب ومنظمات شتى مسلحة، تلك النزاعات التي غذّتها التدخلات الخارجية. ومن الاحداث التي أثرت على معظم المؤسسات اللبنانية ومن ضمنها الاعلام؛ هي غزو اسرائيل للبنان في حزيران من عام ١٩٨٢ وما تبعه من محاصرة لبيروت واخلاء لمنظمة التحرير الفلسطينية والقوات السورية من بيروت؛ وانتخاب الرئيس بشير الجميل، واغتياله اللاحق، وانتخاب اخاه امين، والزيادة في القصف الارهابي عام ١٩٨٣، والمعركة التي وقعت بين منظمة التحرير والسوريون على مدينة طرابلس

ومعركة عام ١٩٨٤، للسيطرة على بيروت الغربية، بين المسيحيين والدروز والشيعة ومن ثم تكوين حكومة وحدة وطنية عام ١٩٨٤ برئاسة رئيس الوزراء كرامي، تبعها سلسلة من اعمال العنف بعد انهيار وقف اطلاق النار واختتام الاتفاقيات الجديدة.

ويبقى «الخط الاخضر» الذي يفصل بيروت الغربية التي يسيطر عليها المسلمين، وبيروت الشرقية التي يسيطر عليها المسيحيين مانعاً لحركة تنقل الناس وتوزيع الاعلام المطبوع، بالرغم من المحاولات لفتحه، بحيث يبقى توزيع نشرات الاحزاب والجماعات الشتى، واكثر من أي وقت مضى، مقصوراً على الجماعات الموالية لهم وليس في المناطق الاخرى. وتمكن البث الاذاعي والتلفزيوني من الانتقال عبر الخط الاخضر والحواجز الارضية الاخرى ولكنه اصبح، ممزقاً، وينتهج منهجاً سياسياً خلال هذه الفترة.

وقد حاولت حكومة الوحدة الوطنية منع عمل المحطات الاذاعية «غير القانونية» ولكنه تم تأسيس اثنتين اخريتين عام ١٩٨٤ مما يجعل مجموع المحطات العاملة في ١٩٨٦سبعٍ كل منها ذات ميل سياسي مميز. لقد نقلت معركة ١٩٨٤ على بيروت السيطرة على محطة التلفزيون ومقرّ وزارة الاعلام بمجرد استيلاء المليشيا على المرافق المختلفة ومن ثم استبدلت الموظفين بهيئة موظفين جديدة مخلصة للذين استولوا على تلك المنطقة. وما زالت اربعة عشر من الخمسة عشر صحيفة يومية التي كانت تصدر في ١٩٧٩، تصدر في عام ١٩٨٤، ولكن يعكس معظمها اتجاه سياسي او/و طائفي ديني لم يكن اكثر وضوحاً في اي وقت مضى.

وبالتالي فانه كان لاغلبية الاحزاب والمنظمات عام ١٩٨٦ منافذ اعلامية في لبنان. فقد سيطر المسيحيون على القنال التلفزيونية الخامسة وعدة محطات بث اذاعي. وكان لحزب الكتائب المسيحي الصحيفة اليومية الرسمية «الامل» كانت الجهة اللبنانية المسيحية معززة باليوميات «الانوار» «والبيرق» وكذلك الاسبوعية «المسيرة»، بينما سيطر «الشمعونيون» على اليومية «الاحرار». وسيطر السنيون، في الجانب الاسلامي، على اليومية «اللواء» بينما اصدر حزب أمل الشيعي الاسبوعية «الأمل» وسيطروا على القنال التلفزيوني السابع، واصدر الشيعيين الاصوليين حزب الله الاسبوعية «الاحد». وقد سيطرت عدة جماعات اسلامية على محطات اذاعية ايضاً؛

مثل «صوت لبنان العربي» (الذي كان الناصري اليساري المعارض لمحطة صوت لبنان المسيحي) وصوت الأمة، الذي انشأته المدعوه الجمعية الاسلامية الخيرية عام ١٩٨٤. وقد عبّر الدروز عن ارآئهم مباشرة من خلال صحيفتهم الاسبوعية «الانباء» ومحطتهم الاذاعية «صوت الجبل» التي انشأوها عام ١٩٨٤. ولا زال الحزب الشيوعي يصدر صحيفته اليومية «النداء».

ولا زالت التآثيرات الأجنبية على لبنان وعلى الاعلام اللبناني مستمرة، بالرغم من انها تغيرت نوعا ما بتغير الظروف السياسية. وقد ادى رحيل منظمة التحرير، بالقوّة، من جنوب لبنان وبيروت عام ١٩٨٢ ومن مدينة طرابلس الشمالية عام ١٩٨٣، الى تخفيض نفوذ منظمة التحرير، تخفيضاً كبيراً، على الصحافة في ذلك الوقت. وقد أجبر العديد من الكتاب مؤيدي الفلسطينيين على الانتقال لبلدان اخرى، رغم انه بقي هناك مؤيدين لمنظمة التحرير في بعض المنشورات. ولقد انخفض الوجود العسكري السوري ولكن لم ينته، وأبقى السوريون على بعض النفوذ على منشورات معينة، نخص بالذكر الصحيفة اليومية «الشرق» وداومت ليبيا على التعبير عن آرائها من خلال اليومية «السفير» التي تساعدها مادياً. وبقي الاتحاد السوفيتي مسيطر على محتويات «النداء».

ولقد سببت الفوضى، والحق الهبوط الاقتصادي؛ اللذان افرزتهما النزاعات المدنية، اضراراً بالغة ايضا للفيلم اللبناني والانتاج التلفزيوني، والذي لسنوات عديدة قد زوّد كثيرا من بلدان العالم العربي ببعض من المواد، ذات النوعية الجديدة، الموجودة في العربية. ومع إنتصاف الثمانينات، لم يعد لبنان ذلك المنافس لمصر في الافلام الاصلية والانتاج التلفزيوني، بالرغم من ان الوسطاء التجاريون اللبنانيون الدائموا الابداع قد حولوا بيروت وقتها الى مركز رئيسي لاشرطة فيديو السوق السوداء التي كانت تباع في المنطقة كلها.

وقد اثرت التغييرات في الاوضاع السياسية الداخلية والسياسية الخارجية في مصر على الاعلام المصري. وقد صاحب انتخابات ١٩٧٩ البرلمانية في مصر ظهور حزبين سياسيين جديدين، الحزب الديمقراطي الوطني المدعوم من قبل الرئيس السادات وحزب العمال الاشتراكي (المعارض)· وكان لكل منهما صحيفته الاسبوعية الخاصة به. وعادت الى الظهور كذلك في نفس الوقت صحيفة الحزب اليساري «الاهلي». وقد نمت النقاشات السياسية والانتقادات للسادات

في فترة ما بين ١٩٧٩ ـ ١٩٨١، وقام بالتالي باتخاذ اشد الاجراءات بحق المعارضة واسكت او سجن العديد من ناقديه من ضمنهم صحافيين سياسيين بارزين من اليمين ومن اليسار. وقد اغتيل السادات في تشرين اول ١٩٨١ وقام حسني مبارك، الذي تولى الرئاسة بعده، على مدى الاشهر التي تلت وبالتدريج باطلاق سراح معظم الاشخاص، الذين حبسهم السادات سواء في السجن او في الحجز. وقد أكد مبارك مراراً ايمانهبالديمقراطية وحرية الصحافة. وقد نقل عنه انه اراد ان يكون معلوماً انه لم ينوي ان يستبدل صحافيّ السادات في الاعلام الصديق بجماعته ولكنـه سيطلق العنان للمحترفين. وقد سمح لمعظم الكتاب القاطعين والمنشورات الممنوعة من الظهور ثانية وسمح للاحزاب باعادة متابعة نشاطاتها. وظهـر حزب معارض رابع «الوفد» عام ١٩٨٣ وأصبحت صحيفته الاسبوعية بعد ذلك بقليل احدى أكثر الصحف المصرية شعبيّة.

وقد حظي مبارك بشهر عسل مميز خلال السنتين او الثلاث الاولى من حكمه: أعفته خلالها احزاب المعارضة من الشك، آملةً بانه سيحل مشاكل البلد، ويستمر أيضا بالسماح بالتعبير عن الرأي بحرية اكثر. وبحلول خريف ١٩٨٣، وباقتراب انتخابات ١٩٨٤ البرلمانية، كانت صحافة المعـارضة تقوم بدور فعّال في المناقشات العامة للقضايا الاقتصادية والاجتماعية والسياسية. وكانت هذه الاسبوعيات الحزبية تطرح قضايا تريد منها إحراج الحكومة، رغماً انها حتى ذلك الوقت لم تهاجم مبارك مباشرة. وقد قام الصحافيون اليساريون بانتقاد برنامج المساعدة الامريكي الضخم، والذي نما بشكل كبير منذ معاهدة سلام ١٩٧٩ مع اسرائيل، مصورة اياها بسيطرة اجنبية، غير مرحب بها على امور مصر الداخلية.

وقد استغل صحافيو المعارضة، في خريف ١٩٨٥، مواضيع عدة لمهاجمة النظام. فعندما قام الجندي المصري المختل العقل سليمان خاطر بقتل سبعة سياح اسرائيليين ووجد لاحقاً مقتولاً في زنـزانـة في السجن. قاموا بوصفه بضحية لفضيحة كانت اسرائيل ورائها، بينهما تجاهلت الصحافة الموالية للحكومة القصة باكملها. وقتها، بعد إختطاف سفينة الركاب الايطالية «اكيلـو لاورو»، عنـدما وعد مبارك الخاطفين بمرور آمن من مصر، وقامت الطائرات الاميركية بتحويل الطائرة الى ايطاليا، هاجمت الصحافة المعارضة بصراحة العلاقات الامريكية، بينما روت الصحافة

الموالية القصة بطريقة اختيارية لصالح مبارك. وقد أختطفت بعدها بوقت قصير طائرة ركاب مصرية الى مالطة، وقام رجال امن مصريين باقتحامها. وقد إستنكرت الصحافة المعارضة محاولة الانقاذ واعتبرتها فاشلة لانه مات ستون شخصا، بينما قللت الصحافة الموالية من الاصابات وصورت الاغارة على نجاح.

وقد ظهرت الاسبوعيات المعارضة، على كل حال، وكان لها تأثير في تشجيع وسائل الاعلام الموالية في الاتجاه نحو صراحة وموضوعية اكثر في بعض الحالات. ويظهر ان التنويع والنقاش في الاعلام المطبوع كان عام ١٩٨٧ اكثر منه في أي وقت مضى منذ ثورة ١٩٥٢، حيث تستمر اسبوعيات المعارضة بانتقاد الحكومة بينما لا تزال اليوميات ذات الانتشار الاوسع، مخلصة للنظام بشكل مبدئي وتنشر كذلك الاخبار التي تنعكس سلبياً على نشاط النظام. ويتمتع الراديو والتلفزيون بحرية اكثر من مامضى ولكنها لا تزال اجهزة حكومية. وما زال الرئيس مبارك في منتصف الثمانينات، يشجع حرية الكلمة، بالرغم من أنه أعطى التحذيرات الى الصحافة بعدم التمادي.

وقد وقف مدافعاً عن محافظ الاسكندرية في خطبة له في رشيد في تشرين ثاني ١٩٨٥، في الاتهامات التي وجهها له حزب الوفد بأنه كان فاسداً، وحتى انه حّذر عميد الصحافيين الذي يحظى باحترام كبير، مصطفى أمين لابدائه تعليقات سلبية بحق بعض الوزراء. وقد إنتقد مبارك مقابلة معه في مجلة المصور الصحافة المعارضة «لتهيجها جموع الناس» و«قتلها للديمقراطية»، وفي خطبة له في الاذاعة بعد ذلك بعدة اسابيع طالب بـ«تصرف متوازن للمعارضة»، وقد استخدم مبارك خطبة في يوم العمال ايار ١٩٨٦ لينتقد هؤلاء الذين «يفهمون الديمقراطية خطأ».

وقد حذر السادات أيضاً، الناقدين الاعلاميين قبل ان يسكتهم، وبالرغم من ان كثيراً من المصريين يعتقدون بان مبارك لا يريد الاستمرار في دعم اطلاق الحرية للاعلام إلا أنه لا يعتقد احدهم بان الخطب الاكثر حرّية ستستمر في البقاء مع ازدياد الضغوط والتحديات التي تواجهها الحكومة عند معالجتها للمشاكل الاقتصادية والاجتماعية التي يصعب معالجتها. ونبقى لنشاهد فيما اذا كان تزايد الحرية في النظام السياسي وفي الصحافة سيؤدي الى ان تضرب هذه جذوراً لها وتقاوم اي محاولات في المستقبل لتقيدها.

ويؤثر، على الاعلام المصري في الوقت الحالي، تطور سياسي رئيس، مرتبط بشكل أولي بمصر، فبعد ان قابل الرئيس السادات رئيس الوزراء الاسرائيلي «بيغن» في «كامب ديفيد» ووقعوا اتفاقية للعمل على ايجاد معاهدة سلام، صّرحت الدول العربية المجتمعة في مؤتمر قمة تشرين ثاني ١٩٧٨ في بغداد انه اذا لم تتخلى مصر عن هذه الاعمال، فان الدول العربية مجتمعة ستقوم بايقاع المقاطعة على مصر ومتضمنه الاعلام المصري. وتم تطبيق هذه الاجراءات عندما وقع الرئيس السـادات معاهدة السلام مع اسرائيل في آذار ١٩٧٩، ومتضمنة مقاطعة لـ الاعلام المصري المطبوع والافلام والبرامج التلفزيونية حيث كانت تحظى كلها بشعبية كبيرة في كل العالم العربي اجمع. ولسبب هذه الشعبية الكبيرة كان من الصعب تطبيق هذه المقاطعة، على كل حال، فقد اصبح الكثير من العرب معتمدين على اطّلاع منتظم على الاعلام المصري. ونجحت بعض الدول اكثر من غيرها في تطبيق المقاطعة، ولكن في النهاية ثم ايجاد طرق في معظم هذه البلدان لخرق هذه المقاطعة. لقد كان الاعلام المطبوع اسهل ما يمكن ايقافه ولذلك تضرر توزيعها في البلدان العربية اكبر ضرر. وكان من الممكن ايضاً ايقاف الافلام السينمائية والبرامج التلفزيونية، ولكن المقاطعة سّرعت الميول التي كانت قد بدأت باكراً لاسباب اقتصادية: فانتقال الممثلون والمخرجون والمنتجون المصريون من القاهرة الى مراكز انتاج في دول الخليج الغنية واوروبا الغربية، والذين استمروا في انتاج سيل متواصل من الافلام السينمائية والبرامج التلفزيونية تحت رقع غير مصرية. وبـانتصاف الثمانينات ظهرت المواد المصرية ثانية على شاشات التلفزيون في كل ارجاء العالم العربي مرةً كل ليلة تقريباً.

وقد وجدت المطبوعات الاعلامية المصرية أيضاً طريقها ثانيةً، الى بلدان تقاطع القاهرة إسمياً، ما أن بدأت المحاصرة بالانفراج عملياً، وذلك من دون اي تصريح رسمي رغم ذلك فقد شعر منتجو الاعلام للعالم العربي الاكثر غزارة في الانتاج بالتأثير، ولفترة وجيزة، الذي احدثته المقاطعة التي فرضتها عليهم البلدان العربية لاسباب سياسية بحته.

وقد أثرت التطورات السياسية في السودان كذلك على الاعلام بصورة مباشرة وغير مباشرة. فقد اطيح بالرئيس النميري، الذي استولى على السلطة عام ١٩٦٩ وفرض سيطرة شديدة على

الاعلام، في نيسان ابريل ١٩٨٥. وقد قام المجلس العسكري الانتقالي برئاسة الفريق سوار الذهب الذي خلفه، باحداث تغيرات شاملة سريعة. ولقد سمحت السلطات لاحزاب سياسية او جماعات ذات اهتمامات خاصة، ومجموعة متكاملة من المنشورات التي تمثل وجهات نظر مختلفة بالظهور لاول مرة منذ ستة عشر سنة. وقد كانت الصحافة، في بادىء الامر، مليئة بالتكهنات غير المثبتة، والاتهامات والتلميحات. وقد استولى المتطرفون اليساريون على اكبر صحيفة «الايام»، التي استولى عليها النميري من مالكيها، واصبحت تعمل كناقد سياسي صريح لفترة وجيزة، حتى قامت الحكومة بخطوة وعينت محرراً اكثر اعتدالاً. واصبحت الصحافة خلال عدة اشهر اكثر مسؤولية بالرغم من بقاء التباين الكبير بين اعضاءها.

وقد حافظت الحكومة الجديدة، من خلال وزارة الاعلام على حقها لاعطاء رخص (اجازات) المنشورات وإعفاء الارشادات لمحرري الراديو والتلفزيون. وتم سجن بعض الصحافيون ذوي العلاقة الوثيقة بالنميري. وقد صرحت كذلك عن نواياها لتوجيه نظام الاعلامي الى اتجاه اكثر حريـة، وذلك بتعينها مجلس وزاري لدراسة مشروع قانون صحافة جديد. وقامت كذلك بحل الاتحاد السوداني الاشتراكي الذي كان يستخدم كأداة للنميري في السيطرة على الصحافة. وقد وافق المجلس الوزاري، عام ١٩٨٦، على مشروع القانون معطياً رقابة الصحافة لمجلس مستقل. وكان هناك تحت المناقشة مجلساً آخر للراديو والتلفزيون ويمكن امتلاك الصحف من قبل الاحزاب ومنظمات غير حكومية أخرى.

وقد اجرت السودان في نيسان من ١٩٨٦ اول انتخابات ديمقراطية منذ ثمانية عشر سنة. وقد حاز حزب الأمة على الاغلبية في البرلمان واصبح رئيسه صادق المهدي رئيساً للوزراء. وقد صرح المهدي، في اول خطاب له امام جموع انصاره ومنتخبيه في تموز، ان السودان بحاجة الى انـظمة صحافة وراديو وتلفزيون لا تقع تحت تأثير الحكومة والاحزاب السياسية. وقد بدأت الحكومة، دراسة جديدة في كيفية القيام بذلك على اكمل وجه. وكانت التوجهات الى انه يمكن الموافقة على اعلام الكتروني ذاتي، وملكية غير حكومية للاعلام المطبوع. وقد قامت الحكومة، في هذا الاثناء، في آب ١٩٨٦ بتعليق نشر اكثر صحيفتين يوميتين انتشاراً وهي «الايام» و«الصحافة»،

تلك التي إمتلكتهما منذ سنين النميري الاولى عندما تم تأميمهما حينئذ. وهذه الصحف مدء ماديا بشكل قوي من قبل الحكومة ومن المحتمل ان تصدر ثانية.

وقد ابتدأت بالصدور، اليومية الجديدة «السياسة»، في تموز ١٩٨٦، حيث يقف ورا السودانيون الذين امضوا معظم فترة حكم النميري في المنفى وعادوا بعد الاطاحة بالنمير واصبحت «السياسة» اكثر اليوميات شيوعاً، حيث وصل مجموع الاعداد الصادرة الى ١٠٠ ا خلال عدة اسابيع. واصبح راديو وتلفزيون السودان يستشهد بها كمصدر اخبار معتمد. و ذلك شاهداً على استقلالها النسبي.

وبعام ١٩٨٦ ظهر في السودان صحف اخرى مستقلة من ضمنها؛ اليومية «السودا و«العصبة» و«السودان يتمنى»، والاسبوعيات «الاضواء» «ام درمان» «ونجمة النيل». وقد ا انفتاح النظام بعد ذهاب النميري الى السماح لانتشار المنشورات التي تمثل اراء متعددة لاحز مختلفة. وتمثل رسميا اليومية «الراية» الجبهة الوطنية الاسلامية، وهي منظمة اسلامية اصو والصوت الرئيسي المعارض للحكومة. وهي صريحة في نقدها للشيوعيون والاتحاد السوفيتي وكذ الولايات المتحدة وتؤيد فكرة تأسيس دولة اسلامية. وتصدر الجبهة الاسبوعيات «الوان» و«صد الجماهير». وفي الطرف الآخر من السلسلة السياسية هناك «الميدان» الصحيفة التي تمثل الحـ الشيوعي. وقد تأسست أصلاً في عام ١٩٥٤ ولكنها قمعت من قبل النميري، وعادت ثانية في ١٩٨٥. وتعتبر هذه ناقد منتظم للحكومة وللجبهة الاسلامية. ويصدر الحزب الديمقراطي الوطـ اضافة لذلك، صحيفة «الوطن الاتحادي»، بينما تحظى كل من «صوت السودان» و«الشماسـ بتأييد حزب الاتحاد الديمقراطي. ويدعم فرع حزب البعث العراقي «الهدف»، بينما يدعم فـ حزب البعث السوري «المنادل» ويعبّر الناصريين الاشتراكيين عن آرائهم من خلال «البديـ ويمتلك الاحزاب المؤيدة للحكومة «صوت الأمة» الخاص بها، العضو الرئيسي لحزب الأمة، وتحـ بالدعم المستمر من اليومية «الاتحادي».

ولقد رحب السياسيون وآخرون غيرهم بهذه التطورات على صعيد التنويع واعطاء حـ اكبر للاعلام السوداني، ولكن ما ان شارفت عام ١٩٨٦ على الانتهاء حتى بدت بانها غير متأ

من كم سيستمر منها في العمل، والى اين يتجه الجهاز الاعلامي. ولقد واجه الاعلام مشاكل اساسية لا يمكن حلها بسهولة، بالرغم من ان الحكومة بدت وكأنها تدعم اعطاء الحرية. وقد تركت سنوات القمع، في فترة عهد نظام النميري، نقص في اعداد الصحافيون المتدربون الذين يحتاج اليهم الاعلام النشيط الجديد لملء الشواغر. وكان يعني فقر السودان ان الصحف كانت تواجه المصاعب في ايجاد الاموال، سواء من الاعلانات او من مصادر أخرى لتشغيلها.

وقد عبّر السودانيون عن قلقهم من تدخل الاجانب الاغنياء مثل ليبيا وتمويلهم للصحف التي تؤيد المصالح الليبية. واصبحت حتى تكلفة الاخبار الاجنبية مشكلة في عام ١٩٨٥، عندما قامت ثلاث من وكالات الانباء الاجنبية العالمية (أي.بي.سي ويو بي آي ورويتر) بالتمويل على بث الاقمار الصناعية: وأجبرت الزيادة العظيمة في رسوم الاشتراك، السودانيون على اسقاطهم (الاستغناء عنهم). وبالتالي تركهم ذلك، معتمدين كلياً على وكالة الانباء الغربية (وكالة الانباء الفرنسية) بالاضافة الى مجموعة من خدمات الجناح السوفياتي المدعومة من الدول الشيوعية، وهذه بالتالي منحازة.

وبالتالي، كانت السودان في نهاية ١٩٨٦ تمر بتجربة حرّية تعبير جديدة، وانماط من وجهات النظر لم تشاهد لسنوات عديدة، ولكن لم يكن واضحاً، الى متى سيستمر ذلك، او ما هو التعديل الذي ستقوم به الحكومة او يفرض على البلد بحكم الظروف. وقد عكست الاجهزة الاعلامية، على كل حال، الحقيقة السياسية المفهومة ضمنياً فيما اعتمد مستقبلها على تلك الحقيقة كما هو الحال في مصر ولبنان.

وفي اماكن اخرى من العالم الغربي. كانت هناك تطورات اقتصادية اخرى وكان لها تأثيرات مختلفة. وقد جلب، ارتفاع اسعار النفط الحاد في السبعينات ثراءاً جديداً للدول المصدرة للنفط مثل السعودية، والكويت والامارات العربية المتحدة وقطر والبحرين والتي بالتالي ساعدت على تشجيع تطور الاعلام. وقد نما توزيع الصحف اليومية في العقد الذي يقع بين ١٩٧٦ ـ ١٩٨٦ من ١٠٧ الاف الى ٧٠٠ الف في السعودية ومن ١٠٤ الف الى ٢٧٥ الف في الكويت ومن ١٠ آلاف الى ٢٧ الف في البحرين ومن الفان الى ٣٠ الف في قطر ومن ٨ الاف الى ١٩٨ ألف في

الأمارات العربية المتحدة. وقد ازداد عدد اليوميات في آخر بلدين مذكوريـين من واحد الى اربع ومن اثنين الى ثمانية بالترتيب. ومعظم هذه الصحف يمتلكها اشخاص وتستخرج كثيراً من دخلها من عائدات الاعلانات، التي توسعت بشكل ضخم في فترة، التعاظم والاتساع السريع في مختلف المجالات في السبعينات وبقيت مرتفعة. ولكن تلقت هذه الصحف مراراً مساعدات غير مباشرة من الحكومة بشكل اعلانات عامة سخية او مساعدتها في استيراد اوراق المطبوعات ومواد اخرى. ولم تستـطع الصحف التي تمتلكها الحكومة من القيام بجهد مماثل فالمنشورات الاربع التي أوقفتها الحكومة القطرية في عام ١٩٨٦ (اثنتان شهريتان، واحدة اسبوعية وواحدة فصلية) تم تعليقها الى اشعار آخر بسبب الانخفاض الاقتصادي. وبالرغم من ذلك استطاع القطاع الخاص بنشاطه المستمر من إبقاء الاخرين احياء: وابقى الكثيرون من قراء الخليج على عادتهم الجديدة بشرائهم عدة صحف كل يوم. واكثر من ذلك، فان الناشرين الخليجيين تمكنوا من الابقاء على استخـدام صحـافيـين مغتـربـين معـظمهم من المصريين والسودانيون والتونسيين والاردنيين والفلسطينيين. وقد جذبت الرواتب العالية المتوفرة محترفيين موهوبين، لم يأتوا لاي سبب غير ذلك. ويمكن، أن نشاهد الاعتماد الكلي على الاجانب، احياناً في محتويات الصحف. فمثلاً اعطت اليوميات القطرية أهمية كبيرة للاخبار المصرية لسبب مصالح موظفيها المصريين واظهرت صحف عديدة في الخليج القضايا الفلسطينية لان موظفيها من الفلسطينيين. وأنحرفت اوضاع الخليج بانتصاف الثمانينات اكـثر مـن تلـك في البلدان العربية الاكثر فقراً مثل مصر، حيث ابتدأت أرقـام التـوزيع في الانخفاض لاسباب اقتصادية، بالرغم من ان الموظفين كلهم من المواطنين الاصليين ذوي الدخولات القليلة.

وفي النهاية جلبت الفترة منذ ١٩٧٩ تعاظم واتساع في توفر واستعمال تسجيلات اشرطة الفيـديو كان وراءها التطورات التكنولوجية وتسارعت بسبب عوامل اقتصادية وسياسية. وقد توفرت أجهزة الفيديو في السبعينات في ذلك الحين، ولكن التكنولوجيا وفرت اشرطة واجهزة رخيصة الثمن ومتوفرة بكثرة لاعداد كبيرة من الناس في الثمانينات. وقد ملك الاشخاص في دول الخليج الاموال لشراء احدث الاجهزة واشرطة من الخارج، وبرزت للوجود تجارة تأجير الاشرطة لتستغل

هذه البدعة الحديثة. وكانت الحكومات تخضع الاشرطة المستوردة للرقابة ولكنها لم تفرض اي رسوم جمركية عليها او على الاجهزة، وكان هناك كالعادة سوق نشيطة سوداء للاشرطة.

وبينما لا تزال الحكومة في السعودية تمنع دور السينما، تصبح اجهزة الفيديو مجال التسلية الرئيسي في الثمانينات، حيث ان بيوت كثيرة تمتلك جهازين او اكثر ومكتبة من الاشرطة. وحتى في البحرين، حيث معدل الدخل أقل من ذلك الذي في السعودية كان هناك بحلول ١٩٨٦ ٥٦ ألف عائلة من ٤٣٥ الف نسمة تمتلك اجهزة فيديو، اي ان مشاهدي الفيديو كانوا يشكلون اكثر من ٦٠ بالمئة من تعداد السكان. واصبح هناك في هذا البلد الصغير اكثر من ثمانين مكانٍ تتعامل باشرطة الفيديو، حيث تزدهر اعمالها بعرضها للاشرطة القادمة من الدول العربية والولايات المتحدة وبريطانيا والهند واماكن اخرى.

وازداد أيضاً في البلدان العربية الاكثر فقراً، عدد مشاهدي جهاز الفيديو في الثمانينات. وقد بدأ هذا الميل في مصر، مثلاً، في نهاية السبعينات، وعزّز ذلك المصريون العائدون الى بلدهم بعد انهائهم اعمالهم في دول الخليج وذلك باحضارهم اجهزة الفيديو معهم. فلاكتظاظ دور السينما المصرية وابنيتها المتهدمة ساعدت في تسريع ذلك، وكان بحلول عام ١٩٨٢، ٨٠ بالمئة تقريباً من منازل اعلى الطبقة المتوسطة تحوي اجهزة فيديو، وكان هناك في المدينة حوالي عشرون نادي فيديو خاص بامكان الاعضاء الذهاب هناك لمشاهدة اشرطة من المكتبة. وفي نفس الوقت كان هناك اكثر من عشرون نادي فيديو في الخرطوم في السودان، وكان يحدث ميل مماثل في الاردن واماكن اخرى. وأبقت الأحوال الامنية الغير مستقرة التي برزت في الثمانينات في بيروت ومدن اخرى في لبنان، الناس في بيوتهم اكثر من المعتاد، خاصة بعد حلول الظلام، وهذا زاد بشكل كبير من إستعمال اجهزة الفيديو.

ومعظم اشرطة الفيديو المنتشرة الموضوعة بمجموعات خاصة ناطقة بالعربية، فهي اما من انتاج عربي او غربي وافلام اخرى معاد تسجيلها بالعربية. واصبحت بيروت مركزاً رئيساً في انتاج نسخ من الاشرطة الرخيصة الغير مرخص بها والتي بدورها كانت توزع في كل ارجاء العالم العربي. حاولت بعض الحكومات السيطرة على استيراد الاشرطة معتمدة على مقياس سياسي

اجتماعي ومعنوي ولكن استمر تهريب الاشرطة وبسهولة، واوجد المشاهدون الطرق للحصول على ما يريدون. وبالتالي عبرت الاشرطة ذات المحتويات السياسية الحدود، بالرغم من الجهود للسيطرة على هذا الوسط الجديد السريع النمو.

وحصل هناك وبالتالي، في السنين التي مضت منذ ظهور الطبعة الأولى من هذا الكتاب، عدد من التغييرات في الجهاز الاعلامي لاسباب سياسية، اقتصادية وتكنولوجية. بالرغم من ذلك بقي الهيكل الاساسي كما هو، لان الاوضاع السياسية واوضاع اخرى والتي بدورها تحدد اتجاه الجهاز الاعلامي، وبشكل اساسي، قد استمرت في الثمانينات، وتظهر العلامات بانها ستستمر في المستقبل.

صنعاء

كانون اول ١٩٨٧

يناير

W.A.R

الديباجـــة

يحلّل هذا الكتـاب الاعلام الاخباري كمؤسسة ليرى ما الشكل الذي اتخذه في الدول العربية المستقلة، وكيف اختارت المجتمعات العربية المستقلة الحكم في السيطرة عليها، وكيف يتفاعل مع الاعمال السياسية في العالم العربي. وتم جمع المواد والملاحظات المقدمة هنا في اكثر من مرة اربع عشر سنة من العيش في العالم العربي او العمل على مواضيع مرتبطة به. واصبح ظاهراً لي في الستينات، اولاً كطالب لغة عربية في بيروت وبعدها القيام بالعمل في كل من مصر والسعودية، ان الصحافة ووسائل الاعلام الاخرى تقوم باعمال هامة جداً في العالم العربي. وبانتشار التلفزيون في كل ارجاء المنطقة، وازدياد انتشار الصحف حتى في اجزاء العالم العربي الاقل تقدماً، اصبحت الوسائل الاعلامية تحظى باهمية اكبر.

انه لمن الواضح ان الاعلام العربي يشارك وبنشاط كبير في السياسة. ويشاهد بحرص يوميا السياسيون وموظفي الحكومة على كل مستوى مواد التعليقات الاعلامية وكيف ينقل الاعلاميون الاخبار وماذا ينقلون او يحذفون. ويميل الناس في الدول العربية ان يعيروا قدراً غير عاديا من انتباههم لما يقال ببلدان عربية اخرى ـ من خلال الاعلام ـ عن اهتمامات كبيرة لان العالم العربي يتكـون من ثمانية عشر بلد مستقلة، ذات سيادة، ومختلفة ولكن كلها تشترك باللغة والثقافة واحساس بوحدة المصير. فقد قام الراديو والتلفزيون والصحف بالمساعدة بتضخيم الجدل، الذي غطى معاهدة السلام، التي وقعتها مصر مع اسرائيل، في نيسان، وصياغة حدته، وكذلك المناقشة الحية التي تدور حول التطورات في ايران الثورية. انه لمن المهم ان نعرف ماذا يحدد كيف يعالج المحررين والمراسلين العرب هذه الامور وامور اخرى.

لا يوجد هناك تحليل تنظيمي في اي لغة لوسائل الاعلام العربية في العالم العربي. ولم يعالج المؤلفون الغربيون وسائل الاعلام العربية كموضوع بحد ذاته منذ ١٩٥٢. وذلك عندما

قام مؤلف امريكي بانتاج كتاب عن خمسه (الان ثمانية عشر) بلدان عربية. يوجد هناك عدة كتب في العربية عن الصحافة العربية، ولكنها كلها دراسة دولة واحدة ما عدا كتاب واحد وهذا عبارة عن مجرد مسح وصفي ـ كتالوجي ـ من دون اي تحليل. والكتب الاخرى تميل لان تكون اعتذار سياسي منحاز او دراسات تاريخية لا تعالج الاوضاع المعاصرة. لا يوجد هناك كتاب حديث يحلل دور وعمل الاعلام العربي، ما هي المحفزات والقيود التي تؤثر على تصرفات الصحفيين العرب، وما هي النفوذ الحكومي الذي يؤثر على الاعلام وغيره. انه هدف هذا الكتاب في ان يتحقق من هذه الاسئلة وخاصة في النظر الى العلاقة بين وسائل الاعلام والحكومة في الدول العربية لنرى ذلك القدر من الحرية التي تتمتع به السلطة الرابعة.

والدول العربية التي تم معالجتها في هذا الكتاب هي دول الثمانية عشر شعب حيث العربية هي اللغة الرسمية ووسائل الاعلام تتحدث اولاً العربية، حيث يعتبر الناس انفسهم بوضوح جزءاً من المجتمع الثقافي العربي هذا هي:ـ الجزائر، البحرين، مصر، العراق، الاردن، الكويت، لبنان، ليبيا، المغرب، عمان، قطر، السعودية العربية، السودان، سوريا، تونس، الامارات العربية المتحدة واليمنين (الجمهورية العربية، الجمهورية الديمقراطية الشعبية).

ونظام نقل الكلمات والاسماء العربية المستعملة في هذا الكتاب الى الانجليزية، يعتمد على اسماء مبسطة تستعملها خدمة اعلام البث الاجنبي (FBIS) التابعة للحكومة الامريكية، والتي تتفادى النقاط التحت خطيه وعلامات اخرى خاصة ولكنها لا تزال تفعل الكلمة المناسبة الاصلية لمتحدثي اللغة. واينما كان هناك اسم يختلف التهجئة المستعملة، مثل جمال عبدالناصر، يستعمل ذلك بدلاً منه.

أود ان ادين باعترافي بالمساعدة السخية التي وصلتني من عدة مصادر والتي جعلت من تأليف هذا الكتاب شيئاً ممكناً. اولاً مجلس العلاقات الاجنبية منحني زماله الاكاديمية لعام ١٩٧٢ ـ ١٩٧٣ وبالذات لقيامي بهذه الدراسة. لقد كان باستطاعتي خلال تلك السنة مسح لكل المواد المتعلقة بالموضوع، القراءة بشكل واسع في الصحافة العربية وعمل مقابلة مع اكثر من ١٥٠ صحافي ومحرر وموظفي وزارة اعلام وغيرهم من ذوي المواقع الرئيسية.

ولقد نظم المجلس مجموعات الخبراء لمناقشة نسخة مسودة اولية للنص. وقد زودني اعضاء المجلس واخص بالذكر الدكتور «جون كامبل» بنصائح كانت على درجة من المساعدة وقد قرأ البروفيسور «دبليو فيليبز ديفيدسون» العامل في جامعة «كولومبيا» في مدرسة خريجي الصحافة، بعض المسودات واعطى اقتراحات على مراجعة النص لا تقدر بثمن. وقد شاركني على مدى السنين العديد من الزملاء في وكالة معلومات الولايات المتحدة وزارة الخارجية بمعرفتهم وتفهمهم للموضوع. كل هؤلاء الاشخاص ساعدوا بطرق مختلفة لجعل هذا مجهوداً مثمراً، ويجب ان يعزى اي خطأ الى المؤلف فقط.

وفي الختام اود ان ادين باعترافي لزوجتي بالرغم من برنامجها المليء بالنشاطات العلمية والابحاث التي تؤدي الى رسالة الدكتوراة، حيث انها استطاعت ان تقدم لي اكبر الدعم الممكن والتشجيع خلال السنوات التي كانت في هذه الدراسة تحت التحضير.

القاهرة WAR

ربيع ١٩٧٩



المقدمــة

لماذا يتـوجب علينـا دراسة الاعلام الاخباري العربي؟ لقد حظي الاعلام الاخباري في السنـوات الاخـيرة باهتمـام متزايد في كل بقاع العالم. وكان نمو اعداد مشاهدي التلفزيون ومستمعي الراديـو شيئـاً مثـيراً، وتـوسعت قراءة الصحف توسعاً مماثلاً. وكانت الابتكارات التكنولوجية المتزايدة احد أسباب هذا التقدم. مثل ثورة «الترانزيزتور» التي زادت من انتشار الاعلام. وكان الآخر هو الانفجار السكاني والذي والذي انتج بالتضامن مع الاتجاه نحو الهجرة الى المدينة أو إلى تجمع اعداد كبيرة من الناس في اماكن يسهل فيها الوصول الى وسائل الاعلام.

وازدياد معرفة القراءة والكتابة، قد وفر ايضاً قارئي صحف باعداد كبيرة.

يتحدث هذا الكتاب عن دور الصحافة في المجتمع العربي. ويصف الكتاب ويحلل التنظيم الصحافي وعلاقاته مع الحكومة والعجلة السياسية.

ونعني بالصحافة، بشكل اساسي، الاعلام الصحافي السريع؛ الصحف اليومية والراديو والتلفزيون.

وسوف ننوه الى مراجع اخرى في الاعلام المطبوع مثل المجلات الاسبوعية والشهرية. وتم استثناء الاعلام المعلوماتي الجماعي الغير اخباري مثل الافلام السينمائية لان دورها في المجتمع مختلف بعض الشيء، واذا اردنا بالقيام بدراسة تعالج هذه الموضوع بعمق كاف فانها ستكوّن كتاباً بحد ذاتها.

ان الاعلام الاخباري يقوم بدور كبير في حياة الناس اليومية في كل مكان. وبالتالي يعتبر السيـاسيون والحكومات أن هذه الوسائل الاعلامية، تحظى، اكثر من اي وقت مضى، باهمية سياسية كبيرة. ومن الواقعي ان نرى ان تلقي الاخبار وتوزيعها، ومنذ وقت طويل، يعتبر دور حيوي في المجتمع ذا اهمية سياسية وحيث يكون لهذه المواد الاخبارية وقعاً سياسياً ذا تأثير

سريع على اعداد كبيرة من الناس. ولقد عانت معظم التجمعات من مشاكل الرقابة على الاعلام او اعطائه الحرية، وعالجت بحدية مسألة العلاقة بين الاعلام والحكومة. ولكن ما ان تطورت وسائل ايصال المعلومات الفنية، حتى اصدرت الحكومات والرؤساء السياسيين، حكمهم على هذه المشاكل بانها حرجة بشكل متزايد، لانهم يعتقدون بان قوة هذه الادوات في التأثير على العمل السياسي آخذة في النمو ومن المرجح ان المؤسسات التي تتولى نقل الاخبار في الربع الثالث من القرن العشرين سوف تحظى باهتمام الحكومة والعامة الكبير وذلك لاعتبارها منظمة متشعبة الجنبات ويكلف نشاطها مصاريف كثيرة ولان الناس يعتبروها مهمة من الناحية السياسية. ان الطريقة التي تتعامل بها الحكومة والمجتمع مع هذه المؤسسة مهمة في فهم هذه الحكومة والمجتمع وكذلك فهم عجلة الاعلام، المعلوماتي.

والفرضية الاساسية التي يطرحها هذا الكتاب هو ان مؤسسة الاعلام الاخباري لا تستطيع البقاء مستقلة عن البيئة المحيطة بها ولكن تأخذ لحد ما، «شكل ولون الهيكل الاجتماعي والسياسي» الذي تعمل من خلاله.

وهناك علاقة صحيحة وعضوية بين المؤسسة الاعلامية والمجتمع في الطريقة التي يتم بها تنظيم هذه المؤسسات ومراقبتها. وليس هناك بالامكان فهم أيا من المؤسسة أو المجتمع، الذي تعمل فيه، فهما صحيحاً وكل على حدة من دون الرجوع الى دراسة احدهما الآخر.

وهذا بالتأكيد صحيح بالنسبة للعالم العربي. في الواقع يثير الاعلام الاخباري هناك الاهتمام وبشكل خاص، في هذا المجال، بسبب الدور الذي قام به خلال الربع الثالث من القرن العشرين، عندما حصلت معظم الدول العربية على استقلالها التام وطورت المؤسسات الوطنية الخاصة بها. ولقد اخذت الاجهزة الاعلامية العربية شكلها الحالي مؤخراً، حيث يمكن فهم هذه الاشكال بالرجوع الى الوقائع السياسية في المجتمع ككل.

وكان انتشار مرافق الاتصالات في العالم العربي ملفت للنظر. وبانتصاف السبعينات، قامت كل الدول العربية وحتى افقرها ببناء انظمة تلفزيونية خاصة بها، وتمتلك الاغلبية محطات اقمار صناعية ارضية قادرة على القيام ببث تلفزيوني عبر ـ قاراتي. وكانت الدول العربية تقوم في بثها

الاذاعي للمستمعين المحليين والخارجين على قدم وساق وفي اماكن عديدة كانت البرمجة متنوعة وغنية بشكل كبير. وتوجه خدمات البث الاذاعي الدولي المصري. مثلاً لاعداد مختلفة من المستمعين، ويأخذ مجموع ساعات البث أعلى ثالث مرتبة في كل دول العالم، واكثر من بث أي أمة اوروبية. ولا تصدر الثمانية عشر دولة عربية الصحف والمجلات الخاصة بها فقط، بل تمتلك كل واحدة منها وكالة انباء خاصة بها. وتفرز هذه الوسائل يوميا كميات هائلة من الاخبار والتعليمات والمعلومات الاخرى والتفاسير.

لقد اصبح الاعلام شيء مهم جداً في حياة معظم ال ١٨٧ مليون انسان الذين يعيشون في العالم العربي، لقد أعطت معرفة القراءة والكتابة النامية العديد امكانية الوصول الى الاعلام المطبوع ولكن ازدهرت كل من مشاهدة التلفزيون والاستماع للراديو عندما اصبحت اجهزة الاستقبال المصنوعة من الترانزسيوتر متوفرة. وهناك قصة تروى في السعودية، انه عندما كان عالم جيولوجي امريكي يعمل لشركة نفط، يقطع رقعة من الصحراء واجه بدوياً وحيداً يرعى قطيعاً من الابل فوقف يتحدث اليه ليجرب لغته العربية، عندما سأله البدوي من اين انت فاجابه:ـ انني اتيت لتوي من القمر. فاجئه البدوي حالاً:ـ آه لا بد انك «نيل ارمسترونغ». ولربما ان هذه القصة مشكوك في صحتها، ولكنه لمن المؤكد ان اقل اناس تعليميا وفي اكثر المناطق بعداً في العالم العربي قد عرف بتفاصيل الهبوط الامريكي القمري بواسطة راديو الترانز سيتور، وتتمتع في نفس الوقت اعداد كبيرة في المدينة بامتلاك التلفزيون الملون وكذلك ايضا المجلات والصحف المطبوعة على مستويات عالية.

يتابع مراقبو الاتجاهات الساسية والاتجاهات الاخرى في العالم العربي. الاعلام العربي بدقه وحرص، ويستعمل المراسلون الاجانب، الذين يكتبون عن المنطقة الاعلام العربي كمصدر لقصصهم. وتعتمد السفارات الاجنبية في البلدان العربية وبشكل قوي على الصحافة المحلية عندما تقدم التقارير لحكوماتها،وتنفق الولايات المتحدة ملايين الدولارات سنويا على مراقبتها لاربع وعشرين ساعة للبث الاذاعي العربي وهذا العمل الذي من خلاله يقوم موظفو واشنطن ومحللوها بغربلة أخبار مفيدة عن السياسات والافكار والمفاهيم العربية وبالنظر ببساطة الى عناوين

الصحف اليومية، نستطيع بالواقع ان نأخذ فكرة عن الاهتمامات والمشاغل المحلية ونستشهد بالمثال التالي: لقد كتبت الصحافة العربية في ٢٨ ايار ١٩٧٣ عن اجتماع رؤساء دول منظمة الوحده الافريقية في نفس اليوم تحت هذه العناوين الرئيسية «لقد تم انتخاب الجنرال جوان رئيساً لدورة القمة الافريقية» (الصباح التونيسية) «جوان:ـ يجب علينا السيطرة على مواردنا لتمرد افريقيا إقتصادياً» (الرأي المغربية) «لقد انقسم العرب ـ الافارقة في منظمة الوحدة الافريقية بسبب الصومال واثيوبيا» (المدينة السعودية) «قدم الاتحاد السوفياتي التهاني بالعيد العاشر لمنظمة الوحدة الافريقية» (الصحافة السودانية) «اهتمام افريقيا بمشاكل الشرق الاوسط» (الدستور ـ الاردنية) «خطوط جديدة نحو تحرير فلسطين» (الشعب الجزائرية) «ظهرت نتائج اتصالات السادات في تقوية القرارالافريقي في تعرية الوقف الاسرائيلي» (الاخبار ـ المصرية)

وهناك، بالطبع اكثر بكثير من العناوين في الصحافة. وينظر القراء الى المعلومات، ولكنهم يبحثون ايضاً في التقارير عن الفوارق البسيطة في اللغة وحتى المحذوفات التي يتابعوها عند الاستماع لبث اذاعي أجنبي. وفي تلك المنطقة من العالم التي من النادر ان يحصل فيها استفتاء في الرأي العام ومناقشات برلمانية مفتوحة. ينظر المراقبون الى الاعلام باحثين عن ما تحويه من مؤشرات عن التوجهات السياسية والتطورات المستقبلية المحتملة.

وعلى كل حال لا تركز هذه الدراسة على محتويات الاعلام. انما تدرس تنظيم مؤسسات الاعلام العربي التي تشكل هذا المحتوى. وتحلل المؤثرات التي توجه الصحافيين العرب في كتابتهم للاخبار والافتتاحيات، ومواد أخرى. وحتى يتسنى للصحافي العربي النجاح، يجب عليه ان يكون حساساً جداً للحقائق السياسية القائمة التي تدور في بلده والتي تفرض عليه القيود الحقيقية او تحفزه عن القيام بعمله. ويجب عليه ان يأخذ بعين الاعتبار حقيقة ان المنظمة التي يعمل من اجلها تدور في فلك النظام السياسي الحاكم وكما يجب عليه ان يدرك الطرق التي ترتبط منظمته بالحكومة و/أو النظام السياسي.

وقد تم تحليل العلاقة بين الصحافة والحكومة، في اماكن اخرى من العالم، بالتفصيل، وتم وصف عدة انواع مختلفة من الاجهزة الصحافية. هل تقع اي من اجهزة الصحافة العربية في

هذا التصنيف؟ ويجيب الفصل الاول من هذا الكتاب على السؤال سلبياً، بالرغم من انه هناك، صفـات ممـا يدعى بالجهاز الدكتاتوري الذي يعمل في العديد من البلدان العربية. وتتصف الصحافة العربية، على كل حال، بصفات تجعلها بعيدة عن الانظمة مشابه في اماكن أخرى، لذا يجب علينا أن نصف هذه بالرجوع الى طريقة ظهورها في مختلف البلدان العربية. ويقدم الفصل الاول تلك الصفات التي يتصف بها الاعلام الاخباري العربي في كل الدول العربية الثمانية عشر والذي يمثل نموذجاً للصحافة العربية ككل. ويقدم الكتاب بعدها تحليلاً للصحف اليومية العربية، والذي يبين انه يمكن تقسيمها الى ثلاث تحت صنف اساسية، التي ظهرت وبقيت بعد الاستقلال. ولقد نظمت الدول العربية صحفها اليومية حسب احد هذه التقسيمات الثلاث، ولكن هذا التنظيم ليس بالضروري ساكنـاً:ـ فقد قامت بعض البلدان بالانتقال من نظام الى آخر، معتمدة على الظروف المذكورة في الفصول من الثاني الى الخامس التي تناقش هذه الصنوف.

ويصفُ الفصل السادس ويحلّل التنظيم والدور الزي يقوم به مؤسسة الراديو والتلفزيون في العالم العربي. وتستطيع ان نعالج هذه الانظمة مجتمعة (مؤسسة التلفزيون الراديو) لانها سهلة من ناحية التنظيم ويوجد وهناك تشابه كبير بينها، أكثر من ذلك الذي بين تنظيمات الصحف.

ويناقش الفصل السابع مختلف مصادر الاخبار الاجنبية المتوفرة للمحررين العرب ـ وبطريقة مباشرة او غير مباشرة ـ للشعب العربي. وفي النهاية، يجمع الفصل الثامن كل نتائج التحاليل، ويعطي بعض التعميمات عن الظروف التي ظهرت من خلالها الاشكال التنظيمية والتي ستستمر في الظهور ـ في المستقبل ـ في العالم العربي.



الفصل الأول

إعلام المعلومات العربي

الوظيفـة والبنيـة

يتضمن العالم العربي في الثمانينات ثمانية عشر دولة مستقلة ذات سيادة تقع على ارض تمتد من المحيط الاطلسي الى الخليج العربي وبتعداد سكان يزيد عن ١٨٧ مليون نسمة. وتختلف هذه الدول، في بعض الاوجه، اختلافاً تاماً. وقد تفاوتت في الازدهار الاقتصادي، حيث يقاس بمقدار الدخل الفردي في السنة، من اقل من ٣٠٠ دولار عام ١٩٧٨ في جمهورية اليمن العربية الى رقم عالي اكثر من ٢٢٫٠٠٠ الف دولار في الامارات العربية المتحدة. ويتفاوت مستوى التعليم من ذلك الذي في عُمان حيث تم افتتاح اول مدرسة ثانوية هناك في عام ١٩٧٠، الى ذلك الذي في لبنان، حيث يوجد هناك عدة معاهد تعليم عالي عريقة في التأسيس ومعدل في عدد الذين يقرأون ويكتبون يقارب الـ ٩٠٪. وهناك انواع مختلفة من الحكومات، ايضا، ملكية دستورية وملكية مطلقة، جمهورية وذات حزب واحد ومؤسسات تمثيلية. ويختلف، حتى تاريخ استقلالها السياسي اختلاف ليس بقليل ونشير الى مثالين؛ فالجزائر، وكانت تعتبر لاكثر من قرن جزء لا يتجزأ من فرنسا، أخذت حريتها من في عام ١٩٦٢ بعد حرب دامية، بينما حصلت السعودية والتي لها اقل خبرة مع حكم الاستعمار، استقلالها ووحدتها الكاملة قبل الحرب العالمية الثانية بوقت ليس بقليل.

وتشعر شعوب الدول العربية الثمانية عشر، بالرغم من ذلك، بانها مرتبطة ببعضها بعضاً برباط ثقافي ونفسي قوي. حيث يعتبر الاغلبية العظمى منهم ان اللغة العربية هي لغتهم الام؛ ويشترك معظمهم بثقافة ولغة ودين واحد، وشعورهم بوحدة المصير شعور قوي جداً.

ونرى الوطنية، في كل من مفهوم القومية العربية او ذلك الذي يتبلور في الدول ذات الشعوب الجديدة المستقلة، كقوة عظيمة. ويعيش العرب، بالرغم من تفاوتهم في الثراء، في بيئة العالم النامي الذي يتميز بالتغيرات الاقتصادية والسياسية، ذات السرعة العالية، وحيث تعطى الاولي العظمى الى التحديث.

ما هو الدور الذي تقوم به وسائل الاعلام الاتصالي في هذه المجتمعات لعربية؟ وتفترض هذه الدراسة فرضية مبدأية؛ وهي ان الاعلام يتجاوب بالضرورة، مع هذه المجتمعات ويعكس بيئتها، وبالاخص الحقائق السياسية القائمة، ولكنه يعكس كذلك العوامل الاقتصادية والثقافية وعوامل اخرى. وتقوم وسائل الاعلام ـ الراديو والتلفزيون والصحافة ـ بالطبع، وفي كل مكان، بمهمة توزيع (نشر) الرسائل من مصدر واحد الى الجماهير، وتحدد مسؤولياتها الى هذه الدرجة، ويمكن فهم مهمة الاعلام المحدودة وهيكلها المحدد في دوله ما من خلال إطار الواقع السياسي وعوامل اخرى في تلك الدولة. وبما أنه يوجد هناك، بالتالي، بعض العناصر الثقافية واخرى غيرها في كل ارجاء العالم العربي فانه يوجد بعض التشابه في انظمة الاعلام العربي؛ وبما انه يوجد هناك اختلافات سياسية واقتصادية واختلافات اخرى فانه بالطبع هناك اختلافات في انظمتها الاعلامية.

سننظر في هذا الفصل على بعض على بعض الصفات العامة لوسائل الاعلام العربي، وسننظر في الفصول الخمسة القادمة على العوامل التي تجعلها مختلفة. اولاً كم هي وسائل الاعلام العربية واسعة الانتشار؟

كثافة وسائل الاعلام في العالم العربي

تصدر الصحف والمجلات في كل واحدة من الدول العربية الثمانية عشر، وبعضها له تقاليد صحافية تعود الى الوراء الى اكثر من قرن. وكانت اول صحيفة عربية تصدر - اول دورية تصدر حاملة اخبار كتابها عرب وموجه للعرب - هي كما هو معروف «جورنال العراق والتي بدأت في الظهور في اللغة العربية والتركية في بغداد عام ١٨١٦. وصدرت صحيفتين في القاهرة في عام ١٨٢٠؛ وتبعتها الجزائر عام ١٨٤٧ ثم بيروت عام ١٨٥٨ وتونس ١٨٦١ ودمشق ١٨٦٥ وطرابلس (ليبيا) ١٨٦٦ وصنعاء ١٨٧٩ وللدار البيضاء ١٨٨٩ والخرطوم ١٨٩٩ ومكة ١٩٠٨. وصدرت الصحيفة اليومية العربية الاولى في بيروت عام ١٨٧٣.

وبدأ الاستماع للراديو عام ١٩٢٠ ولكن عدد المستمعين كان قليلاً لعقود لاحقه، بدأت فقط بعض من الدول العربية بالبث الاذاعي في الفترة التي سبقت الحرب العالمية الثانية. وبدأت مشاهدة التلفزيون وعلى نطاق ضيق، في أواخر الخمسينات في كل من العراق ولبنان، عندما شرعت هاتــان الدولتــان وحدهما بالبث التلفزيوني في عاصمتيهما. والدول العربية الاخرى التي كان بامكانها مشاهدة التلفزيون في اواخر الخمسينات هي تلك الدول القليلة التي كان باستطاعتها مشاهدة تلفزيون غير عربي: كان بالامكان مشاهدة التلفزيون الفرنسي من قبل دول الغرب العربي، وكان بامكان الليبيين الذي يقطنون بالقرب من قاعدة ويليس الجوية مشاهدة تلفزيون يديره طاقم عسكري من الولايات المتحدة، وكان كذلك بامكان السعوديين القاطنين من قيادة الارامكو مشاهدة بث شركة النفط العربية الامريكية. ولم يكتمل البث المحلي الاذاعي في كل الدول العربية الا عندما باشرت عمان بثها الاذاعي في عام ١٩٧٠، كما لم تمتلك كامل الدول العربية قدرات بث تلفزيوني محلي الا عندما بدأ التلفزيون اليمني، عام ١٩٧٥ ببث برامجه عبر الاثير.

وبالرغم من ان الاعلام المطبوع بدأ رحلته بوقت طويل، فان الاعلام الالكتروني في العالم العربي وبحلول الثمانينات من هذه القرن انتشر بين الجماهير انتشاراً اوسع بكثير وكما يبينه الجدول التالي (رقم ١).

جدول رقم (١) كثافة الاعلام .(ارقام عام ١٩٨٥ ـ ١٩٨٦)

	السكان (مليون)	اجهزة راديو (الف)	اجهزة راديو لكل ١٠٠٠ من السكان	اجهزة تلفزيون (الف)	اجهزة تلفزيون لكل الف السكان	معدل معرفة القراء والكتابة (١٠)	الصحف اليومية	توزيع الصحف اليومي (الف)	عدد النسخ اليومية لكل الف من السكان	الاسبوعيات	الدخل القومي (بليون دولار امريكي)	الدخل القومي /شخص
الجزائر	٢ر٨	٤٢٠٠	١٥٠	٢٤٠٠	٨٦	٤٢	٤	٤٦٥	١٧	٧	٤٩	١٧٥٠
البحرين	٠ر٤	٨٤	٢١٠	٦٩	١٧٣	٧٦	٢	٢٩	٧٣	٦	٤	١٠ر٠٠٠
مصر	٥٠ر	٤٠ر٠٠٠	٨٠٠	١٠ر٠٠٠	٢٠٠	٤٤	٦	١٨١٨	٣٣	١٧	٣٢	٦٤٠
العراق	١٦ر	٢٥٠٠	١٥٦	٤٠٠	٢٥	٤٠	٥	٥٢٥	٣٣	٤	٦٥	٤ر٠٦٣
الاردن	٣ر٥	٢٠٠٠	٥٧١	٤٠٠	١١٤	٧٠	٤	١٣٢	٣٨	٥	٤	١ر١٤٣
الكويت	١ر٧	١٠٠٠	٥٨٨	٤٥٠	٢٦٥	٧١	٧	٢٩٥	١٧٤	٤	٣٠	١٧٦٤٧
لبنان	٣ر١	١٢٠٠	٣٢٣	٥٠٠	١٥٦	٨٦	١٥	١٧٥	٥٦	٤٥	٦	١ر٩٣٥
المغرب	٢٤ر	٩٥٠٠	٣٩٦	٢ر٠٠٠	٨٣	٢٨	١٢	٢٧٣	١١	٢٤	١٦	٦٦٧
عُمان	١ر٥	١٠٠	٦٧	٥٠	٣٣	٢٥	٣	٤٣	٢٩	٣	٧	٤٦٦٧
قطر	٣ر	٤٠٠	١٣٣٣	١٣٠	٤٣٣	٣٠	٤	٣٤	١١٣	٦	٦	٢٠ر٠٠٠
العربية السعودية	٦ر	٦٤٠٠	١ر٠٦٧	٥٢٠٠	٨٨٣	٦٠	١١	٧٠٠	١١٧	٩	١٢٧	٢١ر١٦٧
السودان	٢٢ر	٣٥٠٠	١٦٠	١٠٠٠	٤٥٥	٢٨	٢	١٧٠	٨	٩	٨	٣٦٤
سوريا	١٠ر	٣٥٠٠	٣٥٠	١٠٠٠	١٠٠	٧٥	٧	١٣٨	١٤	١٣	١٧	١٧٠٠
تونس	٧ر	١٤٠٠	٢٠٠	١٢٠٠	١٧١	٦٥	٥	١٣٢	١٩	١٩	٩	١٢٨٦
أ ع م	١ر٢	٧٠٠	٥٨٣	٣٠٠	٢٥٠	٦٥	٨	١٩٨	١٦٥	٣	٢٦	٢١ر٦٦٧
اليمن الشمالي	٧ر	٣٥٠٠	٥٠٠	٢٠٠٠	٢٨٦	١٣	٢	٣٠	٥	٥	٤	٥٧١
اليمن الجنوبي	٢ر	٢٥٠	١٢٥	٥٦	٢٨	١٠	١	١٨	٩	٥	١	٥٠٠
ليبيا	٣ر٦	٤٠٠	١١١	٢٠٠	٥٦	٦٠	٣	٨٤	٢٣	٠	٢٥	٦٩٤٤
المجموع العربي	١٨٧ر	٨٠ر٨٨٤	—	٢٧٤٥٥	—	—	١٠١	٥٢٥٩	—	١٨٩	٤٣٦	—

المصادر: «يو اس آي ايه. كونتري واتابييرز ١٩٨٥: مقابلات؛ المعلومات صحيحة لاغراض المقارنة العامة. (كل المعلومات المذكورة من ارقام ١٩٨٥و١٩٨٦ ما عدا الدخل القومي من عام ١٩٨٣).

وبمقدور الناس في معظم البلدان العربية الاستفادة من الخدمات التي يقدمها التلفزيون والراديـو بينما تبقى الصحافة، كوسيلة اعلامية، منحصره بشكل رئيسي على النخبة الراقية، وبالامكان مشاهدة ذلك اذا قارنا مثلاً الارقام الاحصائية في البلدان العربية مع القياس الادنى الذي تستخدمه «اليونسيكو»، والذي اقترح، ان على كل دولة ان توفر الوسائل الاعلامية التالية لكل الف شخص، خمسين جهاز راديو، عشرين جهاز تلفزيون ومئة نسخة من الصحف اليومية.

وقد تجاوزت كل من الدول العربية هذه المقاييس الدنيا لكل من الراديو والتلفزيون. ولا تزال بعض هذه الدول مثل السودان واليمن الجنوبي تشتمل على نسب عدد أجهزة الى سكان قليلة، في الغالب الاسباب اقتصادية بالرغم من إستمتاع بلدان مثل الاردن واليمن الشمالي ومصر وبشكل مثير للدهشة، بنسب عالية، في ضوء مشاكلهم الاقتصادية.

ويعتبر الاستماع للراديو في معظم الدول العربية شيئاً عاماً تقريبا (يفترض ان هناك ٥ ـ ١٠ مستمع لكل جهاز راديو) بسبب توفر اجهزة الاستقبال «الترانسيستريه» الرخيصة، وانتشار الاستماع الجماعي، الكمية الهائلة من بث الوجة المتوسطة الاذاعي العالي الذي يجلب اهتمام المستمعين العرب، وخاصة في منطقة الهلال الخصيب البحر متوسطية، ويصل البث التلفزيوني الى اعداد كبيرة من العرب تلفت الانتباه يحتمل انها تتعدى المئة مليون ـ وقد نما هذا البث نمواً سريعاً، سرعة هائلة، في السنوات الاخيرة، وبالمقارنة مع مناطق العالم النامية الاخرى، فقد جارى العرب في نسبهم تلك المناطق في الاستماع للراديو ولكن يظهر انهم بشكل عام قد تخطوا تلك المناطق في نطاق المشاهدة التلفزيونية، وقد تمكنت دول تصدير البترول الغنية، وبشكل خاص من تحقيق كثافة جماهير راديو وتلفزيون عالية نسبياً حيث انفق سكان هذه الدول مزيداً من الاموال لشراء اجهزة إستقبال لمتابعة المحطات الوطنية خاصتهم والاجنبية. (انظر الى الفصل السادس)

ولا يزال الاعلام العربي المطبوع من ناحية اخرى، يصل الى النخبة العليا من الجماهير، ولم تحقق اي واحده من الدول العربية، وحتى عام ١٩٧٥ المستوى الادنى لليونسيكو لتوزيع الصحف اليومية، وحققت هذا المستوى بحلول عام ١٩٨٦، اربع دول عربية فقط ـ العربية

السعودية، الكويت، قطر والامارات العربية المتحدة ـ وكلها دول غنية ذات تعداد سكاني صغير (مجموع سكان الدول الاربع كان اقل من عشرة ملايين) وعدد كبير، نوعاً، من المغتربين العرب، المتعلمين القارئين للصحف، الذين يعملون هناك وتعتبر نسبة تعلم القراءة والكتابة المتدنية العامل الرئيسي في منع انتشار الصحف العربية ولكن هناك عوامل اخرى مثل مشاكل التوزيع. وتحظى لبنان. مثلاً بمعدل تعلم قراءة وكتابة، عالٍ نسبياً، وتقاليد عريقة في انتاج واستهلاك الاعلام المطبوع. ولكن اثرت المعاناة القائمة في لبنان وبشكل شديد على توزيع الصحف في مناطق مختلفة من البلاد وساعدت على تخفيض ارقام الانتشار بينما تمكن كل من الراديو والتلفزيون من تخطي هذه العوائق.

وكانت الصحافة العربية تكتب دائما للنخبة من الجماهير. وحازت احدى الصحف المصرية، قبل خمس وثلاثون عاماً، على معدل انتشار اعلى من ذلك الذي حققته اي يومية عربية اخرى، وهو سبعة آلاف نسخة وعندما لم تتجاوز غالبية اليوميات الالفي نسخة. ولا يزال تعداد قراء الصحف العرب في الثمانينات قليلاً نسبياً. ومن المتحمل ان يقرأ كل نسخة ما معدله اثنان الى ستة اشخاص، حيث يعتمد ذلك على الصحيفة والمكان، ولكن كثير من القارئين يقرأون اكثر من من واحدة. وبالتالي، من المحتمل ان لا يكون هناك من العالم العربي اكثر من عشرين مليون قاري صحيفة منتظم وبمعنى آخر اقل من عشرة بالمئة من تعداد السكان. ولم يتوفر لبعض الدول العربية، عدد كاف من قاريء الصحف الا مؤخراً، ليتسنى لها الابقاء على اصدار صحيفة محلية. ولم تمتلك قطر والبحرين صحف يومية ناجحة حتى عام ١٩٧٥ و١٩٧٦ بالترتيب، وكذلك الامر بالنسبة لعُمان وحتى عام ١٩٨٠. وتمتلك خمس دول عربية فقط صحف يومية يوزع منها اكثر من ستين الف نسخة وبعضها تصدر صحفاً يومية توزع في مستوى الاقل من ١٠ آلاف. وتصدر مصر، لوحدها، صحف يومية يوزع منها اكثر من نصف مليون نسخة.

الظروف المؤثرة على وسائل الاعلام العربي

ما هي الاحوال والظروف التي أثرت على وسائل الاعلام بشكل عام في العالم العربي؟

القاعدة الاقتصادية الضعيفة

لقد تأسس الاعلام الاخباري العربي وبصورة عامة على قاعدة اقتصادية ضعيفة. حيث تطورت الصحف عندما كان كلا الدخل القومي والتعداد السكاني قليل وكانت معدل المعرفة بالقراءة والكتابة متدني. ولذا كانت كل من عوائد نشر الاعلانات ومبيعات التوزيع الكلي للصحف، وهما المصدرين الرئيسين لدخل الصحف، معدومة. وحتى بعد الحرب العالمية الثانية، او عندما بدأ الاقتصاد العربي بالتطور، لم يحظ نشر الاعلانات باهتمام كافٍ من رجال الاعمال العرب، ولم يكن مشجعاً بقدر كاف في الصحف المنتشرة المتواضعة ليساعد ناشري الصحف كثيراً.

وتمكن القليل من الناشرين، مثل دار الاهرام للنشر، من توسيع عملياتهم لتشمل طبع الدوريات والكتب في مطابعهم الخاصة، بالاضافة الى نشر الاعلانات وتوزيع المنشورات الاجنبية، ولكن كانت غالبية الصحف اليومية ذات قاعدة مالية متواضعة اكثر بكثير من تلك الانفة الذكر.

ولقد عمل النقص في ورق الصحف ومصاريف الطباعة الاخرى بالاضافة الى مختلف القيود على التوزيع مثل المفارقات السياسية وضعف وسائط النقل المحلية والعالمية، ضد الناشر الذي كان يحاول أن يستدر الربح من بيع صحيفة. ولا تعتبر الصحف اليومية، بعد الان، كمالية غالية الثمن. للطبقة الوسطى في المنطقة، كما كانت عليه في بداية الخمسينات وانتشرت الصحف في الثمانينات في دول الخليج انتشاراً سريعاً جداً نتيجة للثراء النفطي هناك، ولكن لا تزال الاسعار والآمية تبقي ارقام التوزيع بالاضافة الى العوائد المادية، منخفضة.

وتحجم الاسعار العالمية وبشدة عملية الانتشار في مضمار الاعلام الالكتروني، والذي يكلّف غالياً كثيراً لتشغيله ولم يتمكن اي من المقاولون العرب في معظم الحالات دفع مصاريف هكذا مشاريع. وهذا سبب رئيسي في ان محطات الراديو والتلفزيون هي مشاريع تحتكرها الحكومة.

التسييس

ان وسائل الاعلام العربي كانت دوماً مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالسياسة. ولم تكن الصحف الاولى التي ظهرت في العالم العربي صحف خاصة انما نشرات رسمية حكومية تهدف الى اعلام

موظفي الحكومة والشعب بما تريد ان تسمعهم اياه الحكومة. وكان الهدف من صحيفة «نابليون» التي طبعت في مصر «بمطبعة نابليون» وصحيفة «كوريور دي لا إيجيبت» هو اعلام وتوجيه قوات الحملة الفرنسية ورفع معنوياتها ايضاً. وقامت الحكومة المصرية بنشر الصحف المصرية المحلية الاولى، «جورنال الخلدي» «والوقائع المصرية» في الاعوام ١٨٢٧ و١٨٢٨ بالتتالي. ولقد حوت هذه الصحف على الاخبار ومواد التسلية مثل قصص من «الف ليلة وليلة». ولكنها حوت ايضاً توجيهات حكومية رسمية وافتتاحيات مسؤولة من قبل الحكومة. وكانت الصحف، التي ظهرت لاول مرة وفي اماكن اخرى من العالم العربي في ذلك الوقت، الادوات الرسمية للسلطات. وصدر «جورنال العراق» لاول مرة عام ١٨١٦ من قبل الحكومة الى الجيش والموظفين والمتعلمين من الشعب. وصدر «المبـاشر» في الجزائر لاول مرة عام ١٨٤٧ كصحيفة نصف اسبوعية رسمية؛ وصدر «الرائد التونسي» في عام ١٨٦١ من قبل السلطات التونسية، و«سوريا» من قبل السلطات في دمشق في عام ١٨٦٥، و«طرابلس الغرب» من قبل السلطات في طرابلس عام ١٨٦٦، و«الزورا» من قبل حكومة بغداد عام ١٨٦٩، وصنعاء من قبل الحكومة اليمنية عام ١٨٧٩، و«السودانية» من قبل حكومة السودان عام ١٨٩٩ و«الحجار» من قبل الممثل العثماني في مكة سنة ١٩٠٨.

وكان هناك القليل جداً من الصحف التي قام بنشرها اشخاص او عائلات من القرن التاسع عشر ولكن ظهرت هذه فقط في مصر، وسوريا، ولبنان والمغرب. حيث نشر خليل خوري «حديقة الاخبار» في بيروت سنة ١٨٥٨، وظهرت «وادي النيل» و«الاهرام في مصر عام ١٨٦٧ و١٨٧٦ بالترتيب وبدأت «المغرب» المغرب عام ١٨٨٩. وكما يراها احد طلاب الصحافة: فانه بامكاننا القول ان الصحافة العربية (في القرن التاسع عشر) كانت تنشر رسمياً ما عدا في اماكن قليلة مثل لبنان والمغرب، وكانت الصحافة متأثرة بهذا الطابع الرسمي حيث انها من وجهه نظر القاريء كانت تعبـر عن أراء وميول الحكومة... وادرك الصحافيون العرب اللذين كانوا يعملون تحت الحكم العثماني انها كانت اداة للمعركة والثورة.

وقد اتجهت الحكومات العربية للسيطرة على اوائل الصحف، وكذلك حذت حذوها الادارات الاستعمـارية في العالم العربي، لاسباب سياسية. وقد انجذبت الصحف الغربية نحو قضية

القومية العربية، وذلك مع نمو القومية العربية المطردّ في القرن العشرين، في معارضتها للحكم الاستعمـار؛ وبـالتـالي كانت مشغـولة بقضايا سياسية، وبقيت فكرة القومية العربية ومعاداة الاستعمار الرئيسية قوية في الاعلام العربي وحتى يومنا هذا. وحقيقة أن الفرنسيون والبريطانيون كانوا يمتلكون صحافة حرّة في وطنهم قد أدت في معظم الحالات، الى تأثير أقل وقعاً على نمو الاعلام في المناطق العربية الواقعة تحت سيطرتهم من تأثير مسألة القومية العربية وتأسيس المؤسسات المهمين. وما ان أصبح الراديو ميسراً من ناحية تكنولوجية للبث الاذاعي الاعلامي حتى ادركت معظم الحكومات اهميته ايضاً وسيطرت عليه كذلك.

وقـد ساعـدت ، في السنوات الاخيرة، التغيرات في الاوضـاع السياسية، والخلافات على السياسات، وتغيير انظمه الحكم، وتغيير النظام السياسي على توجيه الانظار الى قيمة الاعلام للاغراض السياسية. وقد جعلت فترات التوتر وعدم الاستقرار الحكومات قلقه بشكل خاص من تأثير الاعلام. وكيف يمكن السيطرة عليها. وتقف محطات الاذاعة ـ وهذه الايام التلفزيون ايضا ـ كهدف اساسي للثوريين، الذين يقومون باحتلالها أولاً في اي تحرك لهم لاخذ السلطة. وتهتم الانظمة العربية، بالتالي اهتماماً خاصاً للمحافظة عليها وبحرص من خلال حراستها من قبل الجيش وضد اي احداث سياسية مهمة.

وزادت الدول العربية منذ الحرب العالمية الثانية من سيطرتها وتأثيرها على وسائل الاعلام بشكل خاص، مدّعية ان شعوبهم الحديثة العهد تواجه مشاكل خارجية وداخلية مهيمنة تتطلب الوحدة والمعارضات الهادفة واقل الانشقاقات في المناقشات العامة. وتسهب قائلة ان البلاد لا تحتمل نزاعات الاحزاب وعلى وسائل الاعلام تعزيز الصالح الوطني بدعمها للسياسات الحكومية.

ويستخدم الجدل المذكور آنفا جنباً الى جنب مع مشاكل التطور الاقتصادي ومشاكل محلية اخرى، ولكن كان اكبر استخدامات هذا الجدل شعبية هو النزاع العربي الاسرائيلي. وكان هذا النزاع شغل العالم العربي، السياسي الرئيسي الوحيد، الشاغل منذ اواخر الاربعينات. وكان على كل حكومة عربية معالجته وكانت مجبرة على اعلان دعمها «للنضال» ضد العدو الاسرائيلي، داعية شعوبها بالتضحية من اجل هذا المبدأ الوطني الحيوي. وكانت بامكان الحكومات العربية، وضمن

هذا الاطار، تبرير تأثيرها المباشر وغير المباشر على وسائل الاعلام وكما تقتضيه الضرورة «والدولة في حالة حرب» مع اسرائيل. وكان صعبا معارضة هذا التبرير لان الدرجة التي وصل اليها النزاع العربي الاسرائيلي جعلته مسألة مركزية وقضية مواطنة عربية.

التأثير الحضاري الثقافي

وترتبط الصحافة العربية، تاريخياً، ارتباطاً وثيقاً بالحضارة الثقافية العربية. ولقد سبق الادب العربي ـ الشعر والحكايات القصص ـ وسائل الاعلام العربي باكثر من الف عام، وطور تقاليد غنية جداً في الوقت الذي ظهرت به اول جريدة. وقد أعتبر ناشرو هذه الصحف، المتأثرين لدرجة ما بمثل الصحف الفرنسية الحديثة المثقل محتواها ثقافيا، الصحافة العربية وبصورة طبيعية وسيلة اساسية لنقل الادب العربي.

العوامل التي تؤثر على الاعلام العربي

اثرت العوامل الاقتصادية والثقافية في صفات وشكل وسائل الاعلام العربي بعدة طرق:ـ

الرعاية السياسية

أدت القاعدة الاقتصادية الضعيفة للصحف الى ان تسعى اعداد منها الى طلب الدعم المادي من مصادر حكومية وخاصة متنوعة، وقد ساهم الاعتراف باهمية الصحافة السياسية في التشجيع برعايتها. وما استطاعت كثير من الصحف الخاصة في ارجاء الوطن العربي البقاء الا لانها، فقط، كانت مدعومة بشكل علني او بشكل آخر من قبل عناصر خارجية. ويأخذ الدعم شكل الوضع لحكومي، الخارج عن حده، الى كل وسائل الاعلام، الاعلانات الحكومية، او الفوائد المادية مثل الاجور البريدية المتدنية، مساعدات الاحزاب السياسية، ورجال الاعمال والاشخاص او مدفوعات سّرية من مجموعات محلية او حتى اجنبية. ولان هذا الدعم يبقى سراً، فمن الصعب معرفة مقداره بشكل دقيق وطبيعته، وبالرغم من انه كانت هناك محاولات لاخذ فكره عن ذلك،

بحساب ميزانية الصحف منفردة واعتبار ان تلك التي تقع في المنطقة الحمراء قد استلمت عوائد خفية.

ويمكن بالطبع ان يرتبط الدعم ارتباطاً مباشراً مع محتويات الاعلام. وتم تمويل كثيراً من الصحف العربية الاولى في القرن التاسع عشر من قبل الحكومات ومصالح الاحزاب السياسية، وذلك لتعزيز وجهات نظر هذه المصالح. وقام حتى، اصحاب الصحف الخاصة، وقد وجدوا انفسهم بحاجة الى مصادر مالية اخرى للابقاء على صحفهم، «بالتسوق بين الحوانيت» في الاجواء التي توافقها الرأي سياسياً وفلسفياً، لتجد من يدعمها. وكان في العادة، يتم ايجاد «الراعي» ذا التفكير المماثل، لذا لم يكن هناك لزوماً على صاحب الصحيفة التخلي عن مبادئه وتغيير سياسة التحرير لايجاد الدعم، ولكن ذلك حدث احياناً ايضاً.

وتمكن العديد من الصحف البقاء من دون ان يكون هناك من يرعاها، وكان لا يزال الاخريات صحف احزاب ومعروفة انها كذلك وبشكل واضح. ولم تتجه هذه الصحف الاخيرة الى اتباع توجيهات الاحزاب في السياسات لتحرير فقط ولكن قامت بتوظيف طاقم من نوع موالٍ ايضاً. وكان لدى الصحافة العربية بعد الحرب العالمية الثانية مباشرة، صحف موالية للاحزاب ولائاً قوياً اكثر من مالديها اليوم، وفي ذلك الوقت قارئها المراقبون بالصحافة الامريكية قبل سنة ١٨٦٠.

وتتشابه الصحف الحزبية ذات «المؤسسات الصغيرة العديدة، التي هيمنت على الصحافة الامريكية في السنوات التي تلت الثورة الامريكية مع تلك التي ظهرت في العالم العربي، ما ان خرجت الدول العربية من هيمنة الاستعمار، وناضلت مع القضايا الاساسية للتنظيم السياسي الوطني، مشابهة قوية. وازدادت الصحافة، الحزبية في الولايات المتحدة، والتي ظهرت بعد الثورة الامريكية، خلال فترة الثلاثين سنة السابقة للحرب الاهلية لدرجة ان أحضر كل انقسام حزبي أو قائد بارز جديد معه صحيفة جديدة، «لقد نظم السياسيون ولائات هذه الصحف بحرص واعتبروها من اساسيات النجاح». وقد شاهد العالم العربي مثل هذه التنظيمات ايضاً.

وقد نقصت نسبة الصحف الموالية للاحزاب في العشرين سنة الماضية، وكان هناك زيادة في مهمة الصحف المعلوماتية الموجه لى جمهور الاعلام. ولكن لم تتطور الصحافة بشكل كلي وحتى

الاعلام الالكتروني بشكل اكثر، في اتجاه الاعلام الامريكي التجاري الضخم، الجماعي الاتجاه كما توقع بعض المراقبون. انها لا تزال حقيقة ان «وما كل الصحف اليومية العربية الا جزء تجاري وجزء سياسة ولكن جزء السياسة مهيمنة.

ولا تزال الرعاية معلم رئيسي واضح من معالم الصحافة العربية، ولكنها اصبحت بشكل رئيسي مهمة الحكومات، وكما سنرى في الفصول القادمة، فان النظام وعملائه في العديد من الدول قد استولى على حق رعاية الصحف ذات الاهمية السياسية واصبح هذا الحق مقصوراً عليه مانعاً الاحزاب والجماعات الخاصة الاخرى من رعايتها. ويمول الراديو والتلفزيون، ايضاً، وغالباً من دون استثناء من قبل الحكومات، لسبب تكاليفه العالية نوعاً ما، وترددات البث المحدودة العدد، والاهمية السياسية الواسعة التي يشغلها.

ولقد تعرضت وسائل الاعلام، بشكل مختصر، لتأثير سياسي بشكل او بآخر، وبالاخص، في السنوات الاخيرة من قبل حكومات وطنية. ويجب ان نتذكر، على كل حال، انه ليس بالامكان «تسييس» كامل محتويات الصحف او البث الاذاعي او التلفزيوني، حيث سنرى أن جزءاً كبيراً منه ثقافيا وبمعنى آخر غير سياسي.

الانقسـامـات

ثانياً : لقد أدت العوامل التي تم ذكرها آنفاً الى انقسامات كبيرة في الاعلام العربي. ولقد أدى تطور الصحـافة في حقب من النزاعات والمنافسات السياسية المختلفة، وبدعم الاحزاب السيـاسية والفردية المتنوعة، إلى تكاثر الصحف في معظم الدول العربية تكاثراً تجاوز ارقام معدلات معرفة القراءة والكتابة.

وبالرغم من ان اكتظاظ الصحف الموجودة في العقود الاولى من القرن العشرين عندما كانت تتألف الاحزاب والعصب بسرعة كبيرة، كان مشكلة اكثر منه أي شيء آخر، فان ذلك الاكتظاظ لا يزال مشكلة تعاني منها لبنان على سبيل المثال، وهذا الاتجاه يؤثر كذلك على دول عربية اخرى، وهناك تكتلات صحف اكثر مما مضى (تعتبر دار الاهرام للنشر القاهرية اكبرها)، ولكنها لا تزال استثنائية وقد حاولت كثير من الحكومات دمج الصحافة في السنوات الاخيرة. وبالنظر الى العالم

العربي نظرة كلية، نجد بالاضافة الى ذلك، انه يحدد توزيع معظم الصحف اليومية، لبلد واحد فقط، بسبب القيود على على استيراد الصحف التي تفرضها عادة الحكومات للابقاء على الافكار العدائية خارجاً، وبسبب ضعف اجهزة النقل والتوزيع في كل ارجاء المنطقة. ويعاني كل من التلفزيون والراديو بشكل أقل من هذه العوائق، ولكنها ايضا منقسمة وعلى طول الحدود بين الدول حيث انه لا توجد هناك حكومة عربية ترغب ان تسيطر دول اخرى وباي شكل من الاشكال على هذه الوسائل، ولذلك تمتلك حتى دولتين صغيرتين متجاورتين مثل البحرين وقطر اجهزة راديو وتلفزيون منفصلة. لا يوجد هناك محطة بث قومية عربية، ولم تلاق، محاولات التعاون بين اجهزة وطنية كثيراً من النجاح.

وكان هناك بالاضافة الى ذلك، في الماضي معدلات ولادة واختفاء عالية للصحف العربية، بالرغم من ان الاوضاع قد استقرت نوعاً ما في السنوات الاخيرة. لم يعد بالمقدور «انشاء صحيفة مصرية ببساطة قرار عقد ربّاط الحذاء» كما كان عليه الوضع في اواخر الاربعينات، ولكن التغييرات السياسية في البلدان العربية كانت ولا تزال تجلب معها انقلابات في الصحف. ولقد مرّت الدول العربية، التي خاضت غمار اكثر التغييرات السياسية بعد الحرب العالمية الثانية، بتجربة الصعود والسقوط للعديد من الصحف بحيث يصعب سردها كلها حسب الترتيب الزمني. وباستقرار سياسي اكبر في الستينات والسبعينات أتى.

ولم تتغير سياسات الراديو والتلفزيون اللذان عنيا في تلك الحقبة الاخيرة، واللذان يتطلبان مصادر تمويلية اكبر، الا قليلاً منذ نشأتها.

الكثافة الجغرافيــة

ونتيجة ثالثة للعوامل المذكورة سابقاً، هي ميل الاعلام في ان يتركز في المراكز المدنية، ذات الكثافة السكانية الاكبر، من العالم العربي. ولقد شجعت، كل من الروابط القويّة مع كل من السياسة والتعبير الثقافي بالاضافة الى تلك العوامل الاقتصادية مثل معدلات تعلم قراءة و«كتابة متدنية» قلّة الاعلانات وضعف في اجهزة التوزيع، الصحف العربية على النمو في المدن ولكن ليس بنفس القدر في المناطق الريفية.

وتخدم مدينة واحدة، في معظم الدول العربية، كمركز سياسي اقتصادي وتجاري، وينبعث منها كل من الصحف اليومية بالاضافة الى البث الاذاعي والتلفزيوني. لا يوجد في العالم العربي مكافىء لمدينة نيويورك»، حيث جذبت النشاطات الاقتصادية والتجارية معظم وسائل الصحافة والمعلومات منذ البداية، بالرغم من نمو الحكومة المركزية في مكان آخر، وبقيوا كذلك في «نيويورك». ولقد بدأت جدّة والاسكندرية بهذه الطريقة، ولكن تفوقت عليهم بالتالي العواصم الوطنية السياسية في الرياض والقاهرة. ويعتبر وجود مدينة ثانية مهماً اقتصادياً في هذه الدول ودول اخرى (سوريا، المغرب، الجزائر، اليمن) حيث ويصدر منها صحف يومية ايضاً ولكنه لا يوجد برامج يومية او بث ذات وزن وطني خارج هذان المدينتان. وينتشر الاستماع للراديو في كل ارجاء البلد ولكن تتركز قراءة الصحف ومشاهدة التلفزيون في مناطق مدينة قليلة.

مصداقية الاعلام وقلّة هيبة الصحافة

ولقد تطورت الصحافة كمهنة تطوراً بطيئاً بسبب العديد من هذه العوامل ولم تحقق المركز المـرمـوق الذي حققته في الغرب مثلاً. ولقد جعلت التأثيرات السياسية على الاعلام، وضعفها الاقتصادي نسبياً، وغياب فكرة «السلطة الرابعة» المستقلة عن المهنة، الصحافة مهنة اقل من المهن الاخرى في العالم العربي جاذبية. وبالرغم من وجود صحافيين عرب محترفين وكفوئين هذه الايام، الا ان الاخطار الاقتصادية وأحياناً السياسية في اقتحام هذه المهنة قد ابعدت، لدرجة ما، الاشخـاص الموهوبين عنها، ويعتبر نقص الموظفين المدربين مشكلة اساسية في كل الدول العـربية وتجعل الضغوط الاقتصادية والسياسية على الصحافة، ببساطة، الظروف اسوأ على الاعلام. ويوجد القليل من مدارس الصحافة وقد أسست مؤخراً، ولذا فان معظم موظفي الاعلام قد تعلم المهنة اثناء العمل. وعلى كثير من موظفي الاعلام، وبشكل خاص، في الصحف الصغيرة ان يكمل دخله بعمله، في نفس الوقت، عملاً آخر وبالتالي يعرض (حرفيته) للمعاناة. وبالرغم من أن الوحدات الاعلامية، بشكل عام، على نطاق واسع ومزدهرة ازدهاراً اكبر من ذلك الذي كان في اواخر الاربعينات، والحرفية قد ازدادت، فانها لا تزال مشكلة في اماكن عديدة.

وقد حظيت حفنة قليلة من الصحافيين، في كل العالم العربي، بالشهرة والاحترام في كل

ارجاء المنطقة، جزئياً بسبب انتشار الاعلام المحدود، ولكن ايضاً بسبب ان صحافيين عديدين مهتمـين، ببساطة، بانهم ناطقون رسميون أو متكلمون او «اقلام مأجورة» لاحدى الجماعات السياسية او أخرى.

ولم يحظ محمد حسنين هيكل، الصحافي صاحب الكتابات الاكثر قراءة في العالم العربي، وعلى نطاق واسع، في العصور الحديثة، بشهرته لتمكنه من اللغة العربية فقط ـ حيث ضمنها له حتى ناقديه ـ ولكن لاعتقاد قراءة، ايضا، بانه كان ذلك الصديق الحميم لرئيس مصر ناصر وكان يتكلم، وبشكل فعلي باسم ناصر، اكثر القادة اهمية في العالم العربي. وقد تابع آلاف من العرب مقالاته الاسبوعية وتابعوا ايضاً الاخبار التي كان يحررها في الصحف اليومية، ليس كثيراً من أجل التقرير عن الحقائق والتحاليل الموضوعية بل لمعرفة الدلائل عن ما يفكر به النظام المصري وماذا ينوي عمله.

وقـد حظيت صحف عربيـة مثل «النهار» البيروتية بسمعة لموضوعيتها النسبية في نقل الاخبـار، بالرغم من ان كاتبي مقـالاتها معروفين في تنوع ميولهم السياسية. وينظر الجمهور كالعادة، لمعالجة الاخبار وكذلك التعليق على الصحف او محطات البث، بكميات كبيرة من التشكك الدفاعي مجاريا تلك النظرة من الرجل الامريكي تجاه الاعلانات التجارية. ولا يقبل اكثر الجماعات رقيـاً او الى درجة كبيرة الناس الآخرون كذلك، أخبار الاعلام بشكلها المطروح كلياً، ولكنهم يفترضون أنها ممكن ان تكون غير موضوعية او يعتمد عليها بشكل كلي. انهم يقرأون بين السطور باحثين عن حذوفات مهمة ومعاني ضمنية. ان مصداقية، كاتبي الاخبار والمقالات السياسية في الاعـلام تميل الى ان تكون ادنى من تلك التي في الغرب. وهم متهمون بشكل متكرر، بانهم محـرضون سياسياً بدلاً من ان يكونوا محترفين مكرسين جهودهم لنقل حقائقي دقيق وتنوير الجماهير. وتأخذ الصحافة كمهنة مكانة متدنية. ما عدا تلك الحفنة من كتاب المقالات البارزين في كل بلد ـ وهم عادة أقل من نصف درزينة ـ الذين يكتبون التحاليل السياسية الموقعة والتي تظهر في الصحافة اليومية. وهم بالعادة رؤساء تحرير ايضاً، وتعتبر علاقتهم مع النظام الحاكم عاملاً سياسياً مهماً جداً، كما سنرى في الفصول اللاحقة. اما في الاعلام الكتروني فينال قارىء

الاخبار المحترف بعض الشهرة والمكانة بينما يبقى المراسلين والمعلقين غير معروفين بشكل عام.

وتميل رتبة درجة المراسلين والكتاب والمحررين العرب في الاعلام كله لان تكون غير معروفة للشعب ولا يرغب الكثيرون في امتهان حرفتهم. بالاضافة الى مكانتهم المتدنية (مقارنة مع الحرفة في الولايات المتحدة مثلا)، فيعاني الصحافيون العرب من دخولهم المتدنية، ونقص الكوادر المدربة يبدو ظاهراً للعيان في معظم المجتمعات العربية في هذه الفترة من النمو الاقتصادي السريع جداً. ويعتبر القيام بوظيفتين في آن واحد والعمل في الصحافة على نظام جزئي شيء شائع. ويعتبر اتقان اللغة العربية، بهذا الشكل، مؤهل كافٍ للدخول في المهنة، ويتم تعلم المهارات الاخرى اثناء العمل. وقد حظيت المهنة في الستينات والسبعينات بعض من المكانة وخاصة بانتشار وسائل الاعلام الالكتروني الجديدة، ولكنها لا تزال غير قادرة على تحقيق المكانة التي تتمتع بها في الغرب.

تتفاوت خاصّية الصحافة في ارجاء العالم العربي تفاوتاً كبيراً، وسيتم مناقشة الصفات المحلية في الفصول اللاحقة. ويكفي القول هنا، ان المناطق التي تطورت بها وسائل الاعلام في الاونة الاخيرة والتي تتوسع اليوم توسعاً سريعاً ـ وبشكل خاص تلك الدول الصغيرة التي تقع على الخليج العربي ـ قد اجتذبت اليها العديد من الفلسطينيين والمصريين وغيرهم من الذين تدربوا كصحافيين محترفين في مناطق معروفة بحرافة صحافتها. وبعض من المواهب الفائقة متوفرة. وينجذب هؤلاء الى الرواتب العالية التي تدفعها لهم دول النفط الغنية التي تشجع توسع وسائل الاعلام باسرع ما يمكن. ولذا وتمتلىء محطات الراديو والتلفزيون وكذلك مكاتب الصحف في كل من:ـ البحرين وقطر وابو ظبي ودبي ـ ولدرجة ما لا تزال كذلك في الكويت ـ، وفي الثمانينات، محترفون اعلاميون من غير عرب الخليج ومن ضمنهم بعض من اكثر المؤهلين في العالم العربي. ولقد رفعوا، وفي فترة قصيرة من مستويات الصحافة، فنياً على الاقل، لينافسوا الاعلام الاقدم في مناطق اخرى من العالم العربي. فتنقلات الصحافيين حول العالم العربي ليست جديدة؛ فقد أسس الصحيفة المصرية الشهيرة الاهرام لبنانيين اثنين عام ١٨٧٥. ولكن حركة التنقل، بشكل اساسي، تبقى باتجاه دول الخليج العربية الحديثة الثراء. ولذا فان مستويات الصحافة في هذه المناطق ترتفع بسرعة كبيرة.

اهمية الاتصالات التنمية المستمرة

ونتيجة خامسة للاحوال المذكورة آنفاً بالرغم من انتشار وسائل الاعلام الاتصالي ونموها السريع، لدرجة، في الآونة الاخيرة في العالم العربي، فان قنوات الاتصال الشفهي تبقى ذات اهمية عظمى في كل انحاء المنطقة.

يسعى العرب للحصول على المعلومات من خلال الاتصال اللفظي في عدة (مسارح). او شيء، تميل العائلات لان تكون قريبة من بعضها، وتبقى على اتصال، وتناقش مواضيع متعددة بينها وبشكل منتظم. ثانيا ان يدعم الاصدقاء الجديرون بالثقة، العائلة كمجموعة من الناس الذين يمكن ايضاً الاعتماد عليهم في تزويد المعلومات المفيدة. انه لمن الشائع في المجتمع العربي المعاصر ان تجد حلقات غير رسمية من الاصدقاء ـ عادة لا تتجاوز الاثني عشر ـ التي تجتمع بانتظام وتتحدث بكل صراحة عن امور عامة وكذلك عن اهتمامات خاصة. وتتكون الاراء ويتبادل المجتمعون وجهات النظر في هذه الحلقات بطرق لا ترغب الوسائل الاعلامية ولا تستطيع ان تقوم بنقلها. في هذه الجماعات، او ما يعرف بـ «الشلة»، او باسماء أخرى متعددة، يتحدث الاصدقاء الجديرون بالثقة بصراحة عن امور سياسية او بمعنى أخر حساسة جداً لا يسمح بان تظهر اية تفاصيل منها في الصحافة او في الراديو، ويعتمدون على هذه اللقاءات الغير رسمية ليرفدوا وسائل الاعلام. ثالثاً، تتم الاتصالات اللفظية ووجها لوجه بشكل واسع في المجتمعات العربية بين زملاء يجتمعون في اماكن خاصة، وبين اشخاص يجتمعون في اماكن شبه عامة، مثل مكان العمل أو البازارات او المقاهي او المسجد. ويتم تبادل الأراء في السياسة او ذات الطبيعة الغير سياسية في هذه المسارح.

لقد كان الاتصال الشفهي وجهاً لوجه، دائماً مهماً جداً في المجتمع العربي، واستمر الاعتماد التقليدي على اخذ المعلومات من الاصدقاء والافراد المعروفين شخصياً يأخذ مكانته كخيار قوي عند العرب. ليس من الضروري ان نثق في المعلومات المستقاة من وسائل الاعلام بشكل اكثر من تلك التي نستقيها من المحادثات الشخصية ـ لمجرد انها مطبوعة او مثبتة، في الواقع ان مصداقيتها، في بعض الحالات، تعتبر متدنية وذلك لبعد مصدرها عن السامع. ان

الاصدقاء ـ الجديرون بالثقة ـ يصدّقون؛ انهم لا يعانون من مشاكل المصداقية التي تعاني منها وسائل الاعلام. وبالاضافة الى ما سبق لا تصل وسائل الاعلام، طبعاً الى العرب بشكل منتظم، لذا يعتمد العديد على الاتصالات الشفهية اعتماداً كبيراً. ولدى العرب المتعلمين ـ الذين يعرفون القراءة والكتابة ـ الذين يعيشون في المدينة، والذين بامكانهم اقتناء تلفزيون وراديو، امكانية الوصول الى قنوات وسائل الاعلام، وتقلل كل من الامّية، والاقامة في الريف والفقر هذه الفرص للعديد من العرب، الذين بدورهم يعتمدون، اكثر على كلمات الخارجة من الافواه ليكونوا مطلعين. ولهذه الاسباب، يبقى الاتصال الشفهية المباشرة مهمة في كل ارجاء العالم العربي كقناة معلومات تتعايش مع وسائل الاعلام وترفدها.

التغييرات بين البلدان

يجب التأكيد على انه، بالرغم من اشتراك وسائل الاعلام في كل ارجاء العالم العربي ببعض الخصائص، ولكن يوجد هناك، بالطبع اختلافات متعددة بين البلدان. وبعضها في البلد الواحد. وكما سنرى في الفصول التالية، فان وسائل الاعلام قد خرجت ـ من تجربتها باشكال مختلفة وحسب عوامل متعددة. لقد مرت الصحافة بانماط تطوّر تاريخية مختلفة؛ ان التطوّر المبكر للصحافة في كل من لبنان ومصر واماكن اخرى، لم يكن ليتبعه تطور في صحافة الجزيرة العربية الا في وقت متأخر جداً. لقد تسارع التوسع الاعلامي وخاصة في حقل الراديو والتلفزيون، التي بدأ استعمالها معا في نفس الوقت، لاسباب اقتصادية، مثل ازدياد الثراء النفطي المفاجىء في بعض الدول العربية بعد الحرب العالمية الثانية، أي ان الدول المنتجة للنفط امتلكت بعضاً من احدث الاجهزة وبعضاً من أحسن الكوادر في المنطقة. وأثرت كذلك الصلات والارتباطات، مع بلدان اخرى، على تطور الاعلام. ولقد تركت صلات، شمال افريقيا الفرنسية. وراءها اجهزة اعلام لا يزال نصفها تقريباً فرنسي وببطء فقط بدأ تعريبها. وتؤثر الاحوال السياسية تأثيراً عميقاً على عمل الاعلام، بحيث ان الاخير يتغير في عمله كما يحصل مع الدول.

وظائف الاعـــلام

يقوم الاعلام العربي، بشكل عام، بنفس الوظائف الاساسية التي يقوم بها الاعلام في

مناطق العالم الاخرى ولكن بشكل مختلف. ويمكن تعريف الوظيفة الاساسية للاعلام على النحو التالي:-

١) نقل الاخبار والمعلومات ذات الاهتمام العام
٢) تفسير الاحداث والتعليق عليها واعطاء الآراء والمنظورات.
٣) تقوية المعايير الاجتماعية والوعي الثقافي ـ الحضاري ـ بنقل المعلومات عن المجتمع وثقافته.
٤) توفير المعلومات المتخصصة عن ترويج المواد التجارية (الاعلانات التجارية) والخدمات المتوفرة.
٥) التسلية. كيف يقوم الاعلام العربي بهذه المهام؟

ويتبع الاعلام العربي، على وجه العموم، نفس خطوط الاعلام في مناطق اخرى من العالم، وهناك أوجه شبه سطحية. وتقوم محطات الاذاعة العربية، عادة، بالبث لمدة ١٨ الى ٢٠ ساعة يومياً، يكرّس منها أقل من عشرين بالمئة للاخبار والتعليق عليها، ويتم ذلك بنشرتين للاخبار او ثلاث اطوال، او بنشرات قصيرة خلال اليوم. وبامكان مستمع الراديو العربي الاستماع الى شبكة بلده الوطنية الوحيدة خلال اليوم، ويكون له الخيار، بعد غروب الشمس، هذه محطات في منطقة من البلدان مجاورة (لان انتقال الموجات يتحسن عندئذ)، وتباشر معظم محطات التلفزيون العربية بثها على الهواء منذ حوالي السادسة مساء وحتى منتصف الليل، وبرنامج اضافي في العصر في العطلة الاسبوعية. ويتحدد مدة نشرات الاخبار لنشرتين كل منها عشرين دقيقة، ويتبعها تعليق احياناً، ولكن يعير القليل من المحطات الكثير من الانتباه لهذه المواضيع.

ويبلغ حجم الصحف العربية اليومية ما معدله ثمان الى عشر صفحات، والذي يعتبر اكبر من صحيفة الاربعينات العربية ذات الاربع الى ست صفحات ولكن ليس باية حال قريب من حجم اليـوميـة الغربية الناجحة الضخم. ويتشابه احجمها ـ الطول والعرض ـ وطباعتها مع الصحف الغربية في كل مكان ما عدا تلك التي تصدر في البلدان ذات التطور القليل مثل اليمن حيث لا يوجد هناك الصحف ذات الاوراق الصغيرة، المطبوعة طباعة سيئة، والتي لا تحتوي على صور. وتكرّس الصفحة الأولى، عادة، للاخبار الوطنية الرئيسية والحكومية والاقليمية والدولية

والافتتاحيات الرئيسية. وتميل العناوين لان تكون مكتوبة باحرف اعرض وجمل اطول من تلك التي في الصحافة الغربية، وتميل القصص الاخبارية لان تكون اقصر، ذات تفاصيل وخلفية قليلة. وتحوي الصحف العربية في الداخل على صفحة اخرى من الاخبار العالمية وواحدة او إثنتان آخرتان من الاخبار المحلية بالاضافة الى الافتتاحيات - في العادة لا يوجد هناك صفحة خاصة برئيس التحرير - وصفحة او اثنتان بمقالات خاصة عن الرياضة والعلوم وامور المرأة والثقافة، وتحمل الصحف الكبيرة في جنباتها اعلانات مبوبة. وتظهر الاخبار الشخصية عن أمور المواطنين البارزين في عمود خاص مرفقة باعداد من الصور الفوتوغرافية، وهذه الصفحة لها شعبية عند القراء في هذا المجتمع يتسم بملامح شخصية مميزة. وتحوي بعض اليوميات، الاكثر نجاحاً، في لبنـان ومصر مثـلاً، على ملحقات اسبوعية تتضمن مقالات خاصة عن الفن والسينما والادب والتاريخ. وتصدر اليوميات، فعلياً، ست مرات في الاسبوع ولا تظهر في اي من ايام الجمعة او السبت او الاحد؛ ويظهر الملحق الاسبوعي، عادة، اذا كان واحداً، في يوم العطلة.

ولا يختلف الاعلام العربي عن الاعلام في مناطق اخرى اكثر ما يختلف في الشكل، وانما في الضمون. كيف يعالج كل من الوظائف الخمسة المذكورة آنفا؟

وظائف : الاخبار والتعليق:

سندرس معاً، الوظيفة الأولى والثانية الأخبار والتعليق. ستكون كل من معالجة الاخبار ومهمة التعليق الفكرة الاساسية الرئيسة في كل الفصول اللاحقة وذلك لانها المظهر الرئيسي في العلاقة بين الاعلام والبيئة السياسية. سنقوم، هنا، بتقديم عدد من التعليمات التي تنطبق على الاوضاع في كل ارجاء العالم العربي. وحيث انه لم يجرِ إلا عدد بسيط من تحاليل المضمون النظامية في العالم العربي، تعتمد هذه التعميمات بشكل اساسي على استنتاجات مراقبين مؤهلين الذين درسوا انفسهم اوجه الشبه بين وسائل الاعلام بشكل مفصل.

وتميل الصحف ومحطات الراديو العربية لان تكون اكثر وضوحاً في تعليقاتها الافتتاحية من الصحف واذاعات الراديو الامريكية. وينقل التلفزيون العربي، عموماً، تعليقات اقل، ولكن فترات بثه اقل بكثير من تلك التي في الولايات المتحدة.

ويعتبر الاعلام العربي، في وظائف التفسير واعطاء الرأي، نشيط جداً اذا ما قورن بالاعلام الغربي ولكنه يقوم بهذه الوظائف بطريقة مختلفة نوعاً ما. ونادراً جداً ما يرقى الاعلام العربي الى مثاليات الصحافة الامريكية في هذا الاتجاه، اي بتوفيره «حلبة تبادل التعليقات والانتقادات»[٢٤]. ان الآراء المعنية والمفاهيم والتعبير عن الاهداف التي يعبر عنها في الاعلام العربي هي، في العادة، تلك التي تخص مجموعة منتخبة صغيرة، ولكن ليس هنا كثير من تبادل في اتجاهين. ونادراً ما تنشر الرسائل الموجه الى المحرر. ويتم التعبير عن المشاعر، لا تتبع الاتجاه الحكومة، في بعض الاحيان، ولكنهما تمر على عدة محررين لغربلتها، ولذا فان سيولة الآراء مقيدة نوعاً ما.

ولا يظهر مفهوم ما يجب ان يقوم به الاعلام من وظيفة «الكلب الحارس» ليقف مع الشعب ضد الحكومة الا بطرق محدودة في العالم العربي. وبالنظر الى العالم العربي ككل، يحدث، على كل حال، تبادل في الآراء بين مجموعات في اقطار عربية، حيث يتكلم النخبة فيها مع بعضهم، بشكل فعلي، من خلال الراديو ومن خلال الصحافة والتلفزيون لدرجة ما. ويحمل النخبة من هؤلاء، آراء مختلفة لا يتوانون عن انتقاد بعضهم اذا لزم الامر.

ويعتبر محتوى الاخبار موضوع معقد. واستنتج صحافي امريكي محترف، في كتابته عن الاعلام في بلد عربي، انه كان هناك بالكاد أي تمييز بين الاخبار والمواد التي يكتبها رئيس التحرير[٢٥] قاصداً بذلك ان المحررين العرب لا يتبعون مبادىء الصحافة الامريكية المعاصرة والتي تنص على فصل الاخبار عن التعليق وبشكل صارم. وما هذا الرأي الا تعميم شامل يتطلب منا ان نقيّمه ونجعله اكثر تحديداً. انه لمن الحقيقة بشيء أن المحرر العربي اثناء قيامه بعمله، عند انتقاء المواد الاخبارية وترتيبها في صحيفة او نشرة اخبارية ان يقوم بذلك بطريقة يحتمل أن تعكس آراء يعبر عنها في تعليق ذلك الوسط الاعلامي. وباستطاعة المحرر ان يفعل ذلك بالعديد من الطرق ـ بحذف أجزاء من قصة ما، وبالتأكيد والتضخيم لاجزاء اخرى بوضعها في الفقرة الرئيسة او في العنوان، بوضعه عناصر من قصة بجانب بعضها ليخلق انطباع معين او بان يطبع معلومات، لا تدعمها حقائق موثقة، من مصدر واحد، في موضوع مثير للجدل والخلاف، وبنشره معلومات

غير مقيمة من مصدر مشكوك في امره، وبصناعة خبر من عنده، ولقد قام المحررون العرب في وقت من الاوقات بعمل كل هذه الاعمال. وتختلف اسباب قيامهم بذلك.

والسبب الاكثـر شيـوعاً هو ان بصيرة المحرر في تحليل الاحداث، والتي تقررها خبرته الشخصية وبيئته الثقافية والاقتصادية والسياسية، تدفعه الى انتقاء الخيارات في عرض الاخبار ويعتبر هذا الانحياز الثقافي السبب الرئيسي في ميل وسط اعلامي ما في تقديمه للاخبار. حيث يؤدي ذلك الى تشابه في الدور الاعلامي في معالجة الاخبار على مستوى البلد الواحد وفي العالم العربي ككل على المستوى الاخر.

ويعتبر الميول السياسي ثاني اهم عامل مهم. تأثيراً على المحرر العربي. أي يترتب عليه انتقاء الخيارات أحيانا عند تقديم الاخبار بسبب العوامل السياسية الراهنة؛ مثل السياسات التي تنتهجها الحكومة والخيارات التي تفضلها. وقد يفعل المحرر ذلك ليدعم الحكومة التي يميل اليها او يتحاشى ببساطة المشاكل مع حكومة يخاف من سخطها. وما الميل السياسي الا عبارة عن عمل مقصود، يقوم من خلاله المحرر بالتوفيق، عامداً متعمداً، بين الحقيقة التي يراها والنتائج المترتبة على عرض حقائق الامور كما هي. بينما يعتبر الميل الثقافي عادة او بالمقارنة مع الميل السياسي، التزام غير متعمد مع المعايير المقبولة. ويتفاوت مدى الميل السياسي في العالم العربي بدرجة كبيرة؛ حيث لا تؤثر الا قليلاً على الصحف والبث التلفزيون والاذاعي في بعض الاماكن، بينما تخترق كل الوسائل الاعلامية في اماكن أخرى.

ويحدث تشويه في معالجة الاخبار ايضاً، وذلك بالطبع بسبب الاخطاء او الصحافة الغير متقنة، وذلك عندما يفشل المراسل المحرر في القيام بواجبه على اكمل وجه ولا يقوم بتجميع كل الحقائق او يقوم بعرضها حسب ما تستحقه من اهتمام بشكل صارم. وتحدث مثل هذه التشويهات في كل ارجاء المنطقة ولكنها نادرة نسبياً في تلك البلدان التي كان لديها الوقت لتطور المهنة.

كم هي الاخبـار صادقة في الاعلام العربي؟ ويعتمد الجواب جزئيا على تعريف تعريف الصادقية. فكما رأينا، يحتمل ان هناك عرض غير صحيح وغير متعمد للحقائق يكون ناتجاً عن صحافة ضعيفة، وهذا ليس تشويهه للحقائق متعمد؛ وهناك انحراف ثقافي، والذي يدفع المحررين

العرب لانتقاء خيارات تختلف عن المحررين في اماكن اخرى، بسبب الطريقة التي يرون العالم فيها. وهم بهذا لا يكون متعمدين في عدم قول الصدق وانما يخبرون بامانة عن ادراكهم الحسي المختلف. واذا وضعت هذين النوعين من التأثيرات على اختيار الاخبار جانباً، وتركنا على هذه الانحراف السياسي المتعمد، الذي يعتبر النوع الحقيقي الوحيد من تشويه الاخبار الغير صادقة فاننا نرى ان غالبية اخبار الاعلام العربي غير متأثرة به ومستقيمة.

انه لمن الواقع ان تتأثر العديد من قصص الاخبار السياسية الرئيسية في البلدان العربية، بالانحراف السياسي، بطريقة ما، وانه باستطاعة القراء العرب كشف هذا الانحراف، في بعض الاحيان، بقراءتهم للصفحة الاولى من الصحف او الاستماع الى الاخبار، على شرط ان يتوفر لهم مصادر اخبار اخرى للمقارنة وانه حقيقة ايضا، ان العديد من القصص الاخبارية الواردة في الاعلام العربي لا تجاري مثلاً، بشكل كلي، المبادىء التي وضعها البعض للصحافة الامريكية، مما تحويه من عرض صادق وشامل وذكي من احداث يوم وضعت في اطار يجعلها ذات معنى. وبامكاننا، على كل حال، اعتبار معظم ما تحويه الصحف اما ما يعطى في يوم بث من مواد حقيقة واقعة. يقوم الاعلام العربي بواجبه بعرض الحقائق عن الاحداث من أجل اعلام جمهوره، وان لربما من العدل ان نقول ان معظم هذه الحقائق يلتزم بالواقع. وتقبل الحقائق بدرجة من الشك، كما لاحظنا سابقاً، وما يرفدها من الاتصال اللفظي، ومع ذلك فانها توفر للجماعات من الناس القواعد لتبادل المعلومات عن مواضيع ذات اختلاف واسع.

(دور) وظيفة : التعزيز الثقافي

ويقـوم الاعلام العربي ايضا بوظيفة تعزيز القيم العربية الثقافية، والتي يمكن تعريفها بشكل عام على انها تلك القيم التي يتعلمها الفرد لانه عربي. ويقدم الاعلام المعلومات، كما لاحظنا سابقاً، بطرق مفهومة فقط بالتنويه الى العوامل الاجتماعية المحلية والسياسية وعوامل اخرى. وتساعد بالتالي، على تعزيز المفهوم العام للمجتمع وادراكه الحسي او بشكل ادق ذلك الذي يعني غالبيته[٢٨]. وبالرغم من ان للبعض يعتقد بالاضافة الى ذلك، ان وسائل الاعلام اليوم تقوم بتحطيم الثقافة العربية بمحاولتها ترخيصها او وبتشجيعها للتقاليد العامية، فانه بامكاننا ان نقول ان

الاعلام يقوم بنقل قيم الثقافة العربية تلك، التي تعرف بشكل ضيق على انها تراث، بجهد وتفكير مبدعين. ولقد تطورت الثقافة العربية قبل قدوم وسائل الاعلام بمئات السنين. وكان من المنطق ان يتـأثـر الاعـلام ومنذ البداية، بالتقاليد العربية الفكرية الغنية في الادب والدين والفلسفة والموسيقى. وكان المضالعين في هذه المساقات موجودين في المجتمع العربية، ولذا كان من الطبيعي ان تشابه العديد من الصحف العربية الاولى في القرن التاسع عشر، تلك الصحف السياسية الادبية التي كانت تصدر في اوروبا في ذلك الوقت. ولقد قُلدّت تلك الصحف الاوروبية بالشكل ان لن يكون بالمضمون، وبهذه الطريقة، ووجد الكتاب والشعراء العرب، مخرجاً لابداعهم من خلال الصحافة.

ولا تكتب كثير مواد الاعلام العربي، حتى اليوم، من قبل صحافيين محترفون بالمعنى الحـديث، انمـا يكتبهـا مثقفون عرب يعملون خارج سلك الاعلام. ولقد حظي المؤلفون الغير سياسيون الشهرة الواسعة والاحترام الكبير بكتابتهم للشعر والقصص للصحافة والتمثيليات للتلفزيون والراديو. وتحمل الصحف العربية مواد أدبية، بشكل عام، اكثر من الصحف الغربية، ولا يعتبر شيئاً غير عادياً بالنسبة للشخصيات الادبية المحلية البارزة ان تكتب للصحف والاعلام الالكتروني. ففي مصر مثلا، فقد عرف المصلح الديني والكاتب الشهير الشيخ محمد عبده ببادىء الامر من خلال مقالاته في صحيفة الاهرام، وقد اعطت الصحافة، حديثاً جداً، المجال الكبير لخيال الطبقة المثقفة ـ وتعليقاتهم على الاحداث الجارية ـ المعروفة بشكل واسع في كل ارجاء العالم العربي (انظر الفصل الثاني). وتدرج أسماء العديد من هؤلاء وبشكل منتظم في جداول رواتب موظفي الصحف، وحتى أنه اصبح القليل منهم رؤساء تحرير[٢٠].

يساعد الاعلام، باعطائه الوقت والمجال الكافيين للادب، بتعزيز الهوية العربية الثقافية. ويقوم الاعلام الالكتروني بهذه المهمة ببثه مقداراً كبيراً من الموسيقى العربية والتمثيليات التي التي تتحدث عن الافكار الرئيسة التقاليدية وتقدم الموسيقى بشقيها التقليدية والحديثة فنانون محليون وفنانون معروفون في كل ارجاء المنطقة مثل «ام كلثوم». وتأخذ هذه البرامج في عرضها، في العديد من الدول العربية ساعات من الوقت الرئيسي للتلفزيون وكذلك من الراديو. ويبث كذلك

وبانتظام قراءات من القرآن من محطات في كل ارجاء الوطن العربي، وتقدم في بعض الاماكن على الراديو والتلفزيون الاحاديث العربية والنصائح في القيم المستقيمة والتصرفات الاخلاقية.

اللغة العربية

وتقوم اللغة التي يستخدمها الاعلام، بدورها في نشر الهوية الثقافية. وتعتبر اللغة العربية عنصراً مهماً بشكل خاص، حقاً في ربط العرب ببعضهم وربطهم بثقافتهم؛ ولا يمكن فصلها عن الثقافة العربية، ولا التاريخ ولا التقاليد ولا الاسلام دين الغالبية العظمى من العرب. ولا يتأتى أحسن تعريف في من هو العربي من خلال الدين والجغرافيا بل يأتي اللغة والوعي ـ وهو انه ذلك الذي يتكلم العربية ويعتبر نفسه عربياً. وتعتبر اللغة العربية مهمة جداً للعرب؛ انهم يعيرونها الكثير من الاهتمام وتصقل هي بالتالي تفكيرهم بطرق عديدة. وهناك اعتماد متبادل بين العربية والنفسية والثقافية العربية وكون الاعلام، بالتالي، ناقل للغة فانه مهم جداً في نشر بديهيات الثقافة العربية. وكما قال المؤرخ «فليب متي»:ـ لا يوجد هناك شعب في العالم مثل العرب يمتلك ذلك الاعجاب الحماسي للعبارة الادبية، ويتأثر بشكل كبير، بالكلمة سواء المقولة او المكتوبة.

وهناك اسباب عدة لحقيقة ان اللغة تحمل للعربي المعاني الخاصة. ترتبط اللغة العربية، اولاً، بالاسلام؛ يأخذ القرآن على انه اعلى انجاز لغوي في اللغة ويبقى معيار الاستخدام الجيد اليوم وبعد مرور اكثر من ١٣ قرن. وثانياً وهناك ارتباط وثيق اللغة العربية والماضي الذي يفخر به العرب؛ انهم فخورون باستخدام لغة اجدادهم اللامعين. وثالثاً تعتبر اللغة العربية اليوم عنصراً اساسياً في مفهومهم القوي جداً عن «اللغة العربية» اي القومية العربية التي يقسم الزعماء العرب وباستمرار بولاءهم لها. وتستعمل حتى الكلمة لعربية المقابل لكلمة اجنبي بالانجليزية «أجنبي» لتعني، عادةً اليوم، الاجانب الغير عرب. وفي الختام، يحب العرب لغتهم لجمالها الجوهري ناهيك عن المعاني التي تنقلها. وتمتلىء اللغة العربية، بما يعتبره متحدث الانجليزية، بالمبالغة والاعادة. وقد لاحظ المراقبون نوعاً من «القوة السحرية المعزية بقصد او بغير قصد للكلمات». في اللغة العربية وعند اهتمامهم باللغة نفسها لاحظوا ان «هناك ميل لمطابقة الافكار للكلمات، بدلاً من العكس.

فاللغة العربية ولكل هذه الاسباب، لها وقع معين على ساميعها، ليس بمقدور ترجمة حرفية الى الانجليزية ان تنقله. وتساعد اهمية اللغة في تشكيل مضمون الاعلام. بينما ينجرف الصحافي الامريكي وراء التفاصيل الواقعية والارقام يعطي الصحافي العربي. بشكل مغاير، اهتمامه للكلمات الصحيحة، والتراكيب والقواعد التي عليه ان يستعملها لوصف حدث ما. وسيكون زيادة في التبسيط لو قلنا «إنها لصفة من صفات التفكير العربي ان تحيز من الكلمات اكثر من الأفكار ومن الأفكار أكثر من الحقائق[٢٤]، ولكن يمكن مشاهدة الميل الى ذلك الاتجاه في الاسلوب الاعلامي.

مستويات من التعزيز الثقافي

ويمكن اعتبار وسائل الاعلام العربي فريدة من نوعها في نقلها القيم الاجتماعية الثقافية على مستويين أثنين ويعني جمهور الأمة العربية الكبير، وشعب الدولة الاصغر.

ويشارك الفرد العربي العرب الآخرون في كل ارجاء المنطقة، بمقدار كبير من القيم الثقافية. وينقل وسائل الاعلام العربية مثل هذه الرسائل الثقافية. ومن الناحية الثانية تعتبر المظاهر الثقافية الاخرى مقتصرة على الاستخدام المحلي، ويشترك بها فقط هؤلاء الذين يعيشون داخل حدود الدولة او المنطقة. وتقوم وسائل الاعلام بنقل هذه القيم العربية المحلية ايضاً وبفعالية. ولا تنقل وسائل الاعلام في العربية السعودية، مثلا صوراً لنساء سعوديات بالغات لانه لا يزال مطلوب منهم ان يلبسوا الحجاب في الشارع العام. ولكنها تقوم بنقل صور نساء من بلدان عربية اخرى. ولذا تحمل كل الصحف العربية وبث محطات الراديو والتلفزيون صفات بلدهم الاصلي الاجتماعية والثقافية، وتحمل معها ايضا نكهة قومية عربية كافية لتجعلها مفهومه للعرب في كل مكان.

ويمكن رؤية ازدواجية دور الهوية الثقافية، بوضوح، في اللغة التي تستعملها وسائل الاعلام. ان اللغة العربية المستعملة في الصحف في كل ارجاء العالم العربي هي شكل، معدل ومحدث من اللغة العربية الفصحى او الادبية والتي يفهمها المثقفون العرب بغير استثناء. فابمكان المغاربة والسعوديون واللبنانيون، الذين يستطيعون قراءة اللغة العربية، ان يقرأو صحف

بعضهم بعضاً مثلما يقدر كلهم على قراءة القرآن، المرجع الاعلى للغة العربية الفصحى. ويستخدم الراديو والتلفزيون، بشكل مشابه، في كل ارجاء المنطقة، نفس العربية الفصحى المعدلة قليلاً في نشرات الاخبار والبرامج الاخرى. وهناك اختلافات ثانوية في لهجة الاشخاص العاملين في الراديو والتلفزيون بين بلد وآخر، ولكن اكثر بشيء قليل من تلك الاختلافات في اللهجة التي بين ولايات الولايات المتحدة، وكل هذه اللهجات مفهومة.

ويستعمل الاعلام العربي، بنفس الوقت، ولاسباب خاص اللغة العامية. وقد عُدّلت اللهجة المحلية، التي نشأت اللغة الفصيحة، بشكل كبير على مدى السنين لدرجة انها اصبحت مفهومة، فقط، وبشكل جيد للجماعات التي تستخدمها. وتظهر هذه اللغة العربية العامية، فقط لدرجة محدودة في الاعلام المطبوع ـ في بعض التعليقات على رسوم الكاريكتير والقصة القصيرة ومقتبسات من اللغة العربية المحكية ـ لانه، وبشكل عام، ليس من المناسب ان تكتب. ولكنها تستعمل، على كل حال، وبشكل كبير في الراديو والتلفزيون، وبالاخص عند معالجة مواضيع اقل اهمية. وتظهر، في العادة، المقابلات والمناقشات حول المواضيع المحلية، وكذلك التمثيليات العامية والمسلسلات التلفزيونية والاذاعية التي تعالج مشاكل الحياة المنزلية، والمسرحيات الكوميدية المتكررة وبرامج اخرى المهيئة للجمهور المحلي، باللغة العامية الدارجة. وليس من غير الشائع لأي زعيم وطني، عندما يقوم بالقاء خطاب على الراديو والتلفزيون، ان يطعّم خطبته بعبارات عامّية يقصد منها تنمية الالفة والوئام بينه وبين جمهوره، بالرغم من انه يعتبر من الصواب ان يكون متن الخطبة الرئيسي في اللغة الفصيحة. وكان الرئيس عبدالناصر، مثلاً، يبتدأ خطبته، في العادة، في اللغة الفصيحة، ولكن يزيد من استعمال العامية المصرية عندما كان يشتد في الحماس مع المستمعين له؛ وكان يظهر، على كل حال، النص المطبوع من خطابه في الصحف في اليوم التالي من دون النكهة المحلية تلك.

وبالتالي ينقل الاعلام المعلومات للجماعات من النخبة المستعملة في كل ارجاء الوطن العربي بشكل افقي، بلغة عربية فصيحة مطورة، ويقوم بنفس الوقت بنقل المعلومات للذين يعرفون القراءة والكتابة والاميين من الشعب بشكل عمودي. وانه لمن مميزات اللغة ان تستعمل انواع اللهجات

العـاميـة المتعـددة، بالرغم من اختلافها عن بعض، كلمات واقعية وملموسة في معناها. وللغة الفصيحـة، على النقيض، القـدرة على ابداء الغموض واللبس والمبالغة. ونتيجة لذلك يصعب. وبشكل خاص، اخذ المعنى الدقيق من المقالات الافتتاحية عندما تتطرق لمواضيع اكثر تجرداً. وتنقـل هذا المقـالات الافتتاحية حس ما يدور في خلد الكاتب ولكن بتدبير اقل بكثير من تلك الافتتاحيات التي يقوم بكتابتها متكلم اللغة الانجليزية(٣٥). ويعتبر مثل هذه اللبس والغموض الدور التفسيري من مميزات الاعلام العربي. ويعتبر استعمال اللغة الفرنسية بشكل واسع. بسبب الارتباطات الاستعمارية السابقة، والروابط الثقافية المستثمرة مع فرنسا احد العوامل التي تزيد الامور تعقيداً في كل من المغرب والجزائر وتونس. وكان نصف وقت البث في الراديو والتلفزيون ونصف المنشـورات الصحفية في تلك البلدان في السنين الاولى التي تلت الاستقلال في اللغة الفرنسية لان الطبقة المثقفة من الناس قد تعلمت الفرنسية في المدرسة واستعملتها للقيام بعملها. وشجعت الدول الثلاث تشجيعاً متعمداً سياسات التعريب وادى ذلك الى رجوع كفة اللغة العربية، ولكن لا يزال يستعمل قطاع كبير من الاعلام اللغة الفرنسية. ففي الجزائر، مثلاً، حيث ثقافة ثلث الـ ٤٢٪ المتعلمة من الشعب ثقافة فرنسية فقط، وثقافة الثلث الاخر، ثقافة فرنسية عربية، نستطيع ان نفهم ان «المجاهدين»، اكثر اليوميات السياسية اهميةً، لا تزال تكتب، بشكل اساسي، باللغة الفرنسية (بدأت كجريدة فرنسية قلب وقالباً)(٣٦).

وتصـدر هناك ايضا، صحيفتان من ثلاث اسبوعية بالفرنسية، ويصدر كل من الجيش والنقابات العمالية نصوص لمنشوراتهم بالعربية والفرنسية.

ويقوم الاعلام العربي الذي ينقل رسالته في الفرنسية بدور مختلف بعض الشيء، بسبب التصفية التي تضيفها الفرنسية. ولذا تكون النتيجة معقدة. ولكن يميل العرب الذين يتعاملون بالفرنسية، الى نقل وجهات النظر والقيم، التي هي جزء عربي وجزء فرنسي، وبالتالي يحافظون على الادراك الحسي الفرنسي حياً في المجتمع. ويحدث هذا في لبنان ايضاً الى حد معين، حيث يقدم الارسال الاذاعي والتلفزيوني وكذلك تصدر صحيفة ذات اهمية بالفرنسية.

وتصدر معظم وسائل الاعلام في بقية العالم العربي على كل حال، بشكل اساسي باللغة العربية.

(دور) وظيفة الاعلان والتسلية

ويميـل الدورين اللذين تم للتـو مناقشتهما ـ التفسير وتعزيز العملية الاجتماعية ـ الى التشابك مع الادوار الاخرى كلها وتخللها، متضمنة حتى التسلية والاعلان. ولذا تتحكم المعايير الاجتماعية المحلية والثقافية وحتى الظروف السياسية في نوع التسلية والاعلانات المعروضتين وكميتهما، وبالتالي فان وجودهما يساعد في تعزيز هذه المعايير والظروف.

وتقوم التسلية، بحد ذاتها، بدور صغير نسبياً في الصحافة العربية. فتأخذ الرسومات الكاريكاتيرية التي تظهر عادةً، طابعاً سياسياً، ومقتطفات الرسوم الهزلية، هي تلك القليلة التي تترجم من الانجليزية وتصدرها الحفنة القليلة من الصحف: اما الكلمات المتقاطعة والاحاجي فهي نادرة. وتنشر الصحف القصص الخيالية وحتى الشعر، ولكن يمكن اعتبار هذه ثقافية اكثر منها مسليّة. وينظر الى الصحافة بشكل رئيسي على انها الوسيلة المهمة في نقل الاخبار والمعلومات والآراء، ليقراءها، النخبة المثقفة، وليس على انها وسيلة للتسلية.

ويكرّس كل من الراديو والتلفزيون، التي تعتبر وسائل اعلامية موجهة نحو الجماهير، عموماً الجزء الاكبر من وقتها للتسلية، ولكن تقوم برامج التسلية، عادة، بعمل باكثر من التسلية فقط. ولا تنقل تمثيليات الراديو والتلفزيون الافكار فقط عن المجتمع عربي، ولكنها تكو ن تكون، في احوال كثـيرة اسـاسيـة بشكـل صريح وتنقل الافكار الرئيسة التي تتعلق، مباشرةً، للقضايا الساعة السياسية مثل النزاع العربي الاسرائيلي ومعاداة الاستعمار... الخ، وتقوم الاغاني الشعبية بنفس الدور؛ فقد قامت مطربة مصر الشهيرة ام كلثوم، مثلاً، باذاعة بعض الاغاني الوطنية في وقت حرب ١٩٦٧ الشرق اوسطية، وكانت هذه مكتوبة لتحض، بشكل خاص، الجنود العرب للقيام بجهد اكبر.

اما بالنسبة للدور الاعلاني، فيتأثر هو أيضاً بهذه العوامل. ويقوم الاعلان التجاري بدور

صغير نسبياً في الصحافة العربية: اذا ما قورن مثلاً، بذلك الدور الذي يقوم به في الصحافة الامـريكيـة. فبينمـا يستغـل الاعـلان في الصحافة الامريكية كعمل تجاري في نظام الاعلان الاستهلاكي، ينظر الى الصحافة العربية على ان لها، بشكل اساسي، اغراض اخرى مثل نقل المعلومـات والتعليق عليها، بينما ينظر الى الاعلانات بشكل واضح بأن لها دور ثانوي وحتى هامشي. وتحتل عائدات الاعلانات التجارية جزءاً بسيطاً في ميزانية صحيفة نموذجية، بالرغم من ان الاعلانات الحكومية تأخذ مكاناً مهماً في بعض البلدان. وبالرغم من ان معظم محطات الراديو والتلفزيون العربية تقوم ببث الاعلانات، فانها محددة بشكل قطعي، وتأخذ حيزاً ثانوياً في ميزانية المحطة، لانها كلها تقريباً محطات تمتلكها الحكومة وتتلقى معظم دخولها منها. وتقوم الصحافة العربية اليومية. بوضع اعلانات.بضائع المستهلكين التجارية جانباً، على العموم بعمل، بما يدعى «لوحة بلاغات للقطاع الحديث»(٣٩) باعلانها عن الافلام المعروضة بدور السينما واحداث عامة محلية أخرى، ولكن هذا الدور محدود.

الاجهـزة الاعلامية

كيف نصنف أجهزة وسائل الاعلام العربي؟ مما يتكون تركيبها؟ من يسيطر عليها ولاي غرض؟ ما هي النظرية او النظريات التي يقوم عليها الاعلام العربي؟

ولا يكفي، للاجـابـة على هذه الاسئلة، النظر على وضع الصحافة والاعلام الالكتروني القانوني. ولا توضح قوانين الصحافة والبث الاذاعي والتلفزيوني، في العالم العربي، كل التفاصيل عمن من هو الذي يقرر محتويات المقالات الافتتاحية في الصحف ولماذا؟. ويمكن في الواقع بالنظر الى القوانين وحدها، ان نضفي مسحة من الغموض على نشاط وفعالية النظام، الاعلامي الحقيقية، لان القوانين تميل الى التلميح الى ان الاعلام اكثر حرية مما هو اكثر حرية مما هو حقاً عليه ولا تذكر هذه القوانين بعض المؤثرات الاساسية الخارجة عن القانون. ولا يمكن فهم هذه الانظمة، في العالم العربي، من دون الرجوع المباشر الى الظروف السياسية والظروف الاخرى السائدة في ذلك الوقت في البلد.

وتعتبر العوامل مثل وجود احزاب او جماعات سياسية معارضة ومنفتحة، وقوة وشرعية

الجماعة الحاكمة، ونوعيتها (ثورية ام تقليدية مثلاً) واستقرار النظام السياسي، وادراك التهديدات الخارجية، ووجود تقليد صحافي وطبقة رابعة (الصحافة) وقوة الصحافة الاقتصادية، مؤثرات مهمة جداً على بنية الاعلام.

ويميل الجهاز الاعلامي العربي والنظرية التي يعمل من خلالها، ان يتخطى الحقائق السياسية والاقتصادية وحقائق اخرى تسود ذلك البلد نضوجاً. لذا يجب علينا ان ننظر بتمعن الى البلدان بشكل فردي لنرى كيف يعمل جهازها الاعلامي وسنقوم بعمل ذلك في الفصول من الثاني الى السادس.

هل نستطيع ان نصوغ اي قوانين عامة عن اجهزة الاعلام العربي؟ هل بامكاننا تصنيفها تحت اي من التصنيفات التي يستخدمها طلبة الانواع الاخرى من وسائل الاعلام؟ احد هذه التصنيفات المعيارية هو التصنيف الرباعي الاطواق (١) السلطوي (٢) المؤيد لمذهب الحرية (٣) مسؤولية المجتمع (٤) دكتاتوري (استبدادي)(٤٠). ولا يأخذ الاعلام العربي مكانه في اي من هذه التصنيفات بشكل كامل ومحدد فهناك بعض العناصر من كل التصنيفات الاربع في العالم العربي. ويعمل الاعلام على اية حال في معظم البلاد العربية ـ ليس كلها ـ تحت اشكال مختلفة من النظرية السلطوية ويأتي هذا من بين النظريات الاربع قريباً من تفسير ما يحدث. (وتميل حكومات هذه البلدان لان تكون سلطوية ايضاً، معتمدة على نفس النظرية العامة).

ويقوم الاعلام، في النظام السلطوي، بدعم وتعزيز سياسات الحكومة، التي تسيطر على الاعلام بطريقة مباشرة او غير مباشرة من خلال اعطاء الاجازات (الترخيص)، الاجراءات القانونية، او ربما بالوسائل المالية. ويسمح النظام للاعلام بمناقشة امور المجتمع والجهاز الحكومي. ولكن ليس امور رجال السلطة. ويعتمد هذا النظام على النظرية القائلة ان الحقيقة هي: «ليست حصاد الاغلبية العظمى من الشعب، انما القلة من الحكماء... الذين باستطاعتهم ارشاد وتوجيه رفقائهم»(٤١). فوجّه التعليقات والانتقادات بحرص وتطابق أهداف المجتمع الواضحة اهداف النظام نفسه. هناك معالم سلطوية في العديد من اجهزة الاعلام العربي، وحتى

في المناطق التي لا تخضع فيها الصحافة لملكية الحكومة ـ عنصر مشترك في الاجهزة السلطوية في اماكن اخرى.

وقد وصف رئيس تحرير لبناني مشهور، ووزير اعلام احيانا، الفلسفة التي تسود والعالم العربي، معزياً اياها الى كل دول العالم النامية، قائلاً:ـ لقد كانت الحقيقة في المجتمعات النامية، تعتبر دائماً وأبداً الاهمية في القلب والقالب على حد سواء، بغض النظر عن الآله او النبي التي تعزى إليه. وتعتبر معرفة هذه الحقيقة بالتالي، الامتياز الذي يمنح لرجل واحد او للعدد القليل من الرجال، والذين بالتالي يحتكرون الحرية ـ حرية الذين يعلمون ولهم وحدهم الحق بتلقين الاخـرين ما يجب عليهم معرفته والايمان به. تلك الظاهرة التي تؤكدها ميزة الكلمة المكتوبة المقـدسة، التي تكتب باكثر الاساليب فساداً: في الصحف... في اطار كهذا، انه لمن الطبيعي والمنطقي ان تأخذ الصحافة دوراً خاصاً جداً. بدلاً من ان تكون الصحف «وسيلة الاعلام» بكل ما في الكلمة من معنى، تصبح اداة لنقل الحقيقة الرسمية، هذا الاعلام الذي تنقل به الحقيقة الى الجماعات بطريقة سلطوية(٤٠).

وبالمقارنة تنص النظرية المؤيدة للحرية على انه يجب ان يكون للاعلام مطلق الحرية وخارج عن سيطرة الحكومة، ويوفر للمستهلك معلومات موضوعية وافية واراء متنوعة ليتمكن المستهلك من اتخاذ موقف معين. ويمثل الاعلام الحرّ ـ الذي تتبع النظرية المؤيدة للحرية ـ مراقباً خارجياً على الحكومة ـ دور كلب الحراسة ـ ووسيلة نقل لما يسميه «ميلتون» «المواجهة الحرة والصريحة» للافكار، التي يفترض انها تساعد الناس في التفكير بمنطق ليميزوا الحقيقة من الخطأ. وتظهر نظرية المسؤولية الاجتماعية على انها نمط معدّل مما سبق، ثم تطويرها في الاونة الاخيرة عندما بدأ للعيان ان مبدأ عدم التدخل في السيطرة على الاعلام لم يضمن الحرية. ولم يعالج المنظرين للمذهب المؤيد للحرية مشاكل الاستقلال الاقتصادي او التأثير السياسي لحزب ما، وكلاهما امران حاسمان بالنسبة للاعلام العربي كما انهما مهمان بالنسبة لتاريخ الصحافة الامريكية: «وكان من السهل (في القرن التاسع عشر في امريكا) الدخول في النشر، ولذا عملياً قام كل حزب بتأسيس صحيفة تتكلم باسمه. وكانت صحافة الحزب. ولسوء الحظ، مصدر اجهاد شديد بقدرة منطق

الانسان المتبجح بها، في التمييز بين الحقيقة والخطأ، لان اخبارها كانت منحازة مثلما كانت اراء محرريها(٤٢).

وكان رد الفعل في امريكا ان تطورت نظرية المسؤولية الاجتماعية. وهذه ليس لها مطلق الايمان في «عملية التقويم الذاتية؛ من خلال التنافس الحرّ في المعلومات والافكار، انما تصقل، بدلا من ذلك، نظرية المذهب المؤيد للحرية وتطالب اكتفاء ذاتي مالي للاعلام، وتشجيع حكومي لحرية الصحافة، واخذ إلتزام من الصحافيين بعدم نشر فقط إي يريدون نشره انما لرفع النزاع الاجتماعي المستوى المناقشة».

وكانت ردة الفعل العربية مختلفة، وللتأكد من ذلك، هناك امثلة من المسؤوليات الصحافية كهذه في العالم العربي، وأدلة على ان بعض من اوساط الاعلام العربية تعكس القليل من معالم نظريتا المذهب المؤيد للحرية والمسؤولية الاجتماعية. ولكن تميل هذه المعالم لان تكون في تأثيرات النظام بدلاً من ان تكون في الفلسفة الباطنية او الغرض منه. ويبدو ان الموقف العربي السائد تجاه الاتصال الجماهيري مماثل للنظرة السلطوية اكثر منه لنظرة ميلتون، وقد وقعت الجهود المبذولة لنشر او إذاعة الحقيقة، تحت ضغوط من مصادر متنوعة ـ ثقافية واجتماعية وخاصة سياسية. وهذا في الواقع، من منظار عالمي، المعيار اكثر منه الاستثناء؛ وكما لاحظ احد العلماء: «فقد ميزّ، قلق تجاه نتائج تصريح ما اكثر من مطابقته لمقياس حقيقة موضوعية ما... معظم المجتمعات الانسانية». ويعتبر التقليد الديمقراطي الحر هو الشيء الغير عادي في هذا المجال(٤٥).

ويعاني محرر الصحيفة أو النشرات الاذاعية والتلفزيونية، العربي من ضغوط هائلة من مجتمعه الذي يمر، وبنفس الوقت، في مراحل تطور اقتصادي وتحقيق ذات وطني. يميل التوتر الاقليمي والاحساس بالتهديد الخارجي لان يفاقم من الاوضاع، ويقع المحرر في وسط هذا كله بسبب دوره العمومي. وينطبق تعليق احد مراقبي الصحافيين، في المجتمعات الاخرى، بشكل جيد على المعالم العربي: «حيث تكون درجة الحرارة السياسية عالية، فان الصحافي من يعتبر، في العادة، الموضوعية والالتزام، شيء وحيد، لان كلاهما مطابق للحقيقة»(٤٦).

وبالنظر الى منطقة الاعلام العربي برمتها، من ناحية اخرى، يبدو أنه يحدث هناك تشابك «ميلتوني» في الآراء. هناك اصوات احزاب متنوعة في كل من الشرق والاوسط وشمال افريقيا، وبالنشرات الاذاعية فالاخص، والتي لا يمكن حجزها داخل حدود وطنية، تلك التي زودت الجماهير العربية بمواجهة صريحة للآراء ليختاروا منها ما يشائون. وتكون القيود اكثر فعالية داخل كل بلد.

هل هناك اي اعلام عربي دكتاتوري؟ فبينما ظهرت عناصر نظام دكتاتوري في اوقات سابقة، الا انه لا يمكن تصنيف اي من الاعلام العربي في هذا التصنيف الرابع. فتسيطر الحكومة تحت النظام الدكتاتوري، مركزياً على كل وسائل نقل المعلومات(٤٧)، بغض النظر عن كونهم في ايدي الخاصة او ايدي العامة، ولا يمكن نشر اي وسائل اعلام اجنبية او منافسة اخرى لم يوافق عليها، مطلقاً في البلدة ويقصد من السيطرة الدكتاتورية، مخالفةً بذلك السيطرة السلبية لنظام وسائل الاعلام السلطوي والذي يمنع ببساطة النصوص المعادية للنظام الموجودة في الوسائل الاعلامية المتوفرة، ان تدفع الاعلام لان يقوم ايجابي نشيط في التهييع والدعاية، ضمن خطة متكاملة، لتعبئة الجماهير. والاكثر اهمية، هو انه بينما يهتم النظام السلطوي، بشكل عام بوسائل الاعـلام والطاعة المعلنة ويسمح بحرية الكلام في السر، يحاول الحكام في النظام الدكتاتوري بالسيطرة على كل امور حياة الفرد، مطالبون الفرد بالتزام ايجابي نشيط في السر والعلانية لخدمة اهدافهم.

وهناك بعض القيود ، في العالم العربي، على استيراد الصحافة الاجنبية المطبوعة وحتى إنه هناك حالات قليلة من التشويش على البث الاذاعي الاجنبي. وهذه القيود ليست باي شكل شاملة. فلم يُجبر الاعلام. وحتى تحت حكم الحزب الواحد، الى بذل جهود، عقلية التهييج والدعاية الواحدة، من النوع الموجود في الاتحاد السوفييتي والانظمة الدكتاتورية الاخرى. وقد كان اكثر الانظمة العربية تقيداً مقتنعاً بشكل عام بالالتزام علني من قبل الصحافة والراديو والتلفزيون ولم يقتحم دوائر الاتصالات الشفهية وجها لوجه والتي لا تزال مهمة جداً في المجتمعات العربية. وبـالتالي بينما يوجد هناك عناصر قليلة من التفكير الدكتاتوري خلف المسيطرين على الاعلام العربي، فلا يمكن وضع هذه الاجهزة الاعلامية في هذا التصنيف الكلي.

بهـذه التصنيفـات الاربـع، على كل حال:ـ السلطوي والمؤيد لمذهب الحرية والمسؤولية الاجتماعية، والدكتاتوري، لا يمكننا الا ان نضع الاعلام العربي بشكل تقريبي في اطار عالمي. فلا تعني هذه التعميمات على الاطلاق، ان تضع الاعلام العربي، ونشاطاتها في قالب يمكن فهمه. ولا تساعد حقاً، أي من النظريات التحليلية الموجودة كثيراً في الدخول تحت السطح انظمة الاعلام العربي، ومن اجل تفسير عملهم الحقيقي يجب علينا ان نضع النظريات الجديدة التي تناسب الحالات التي أمامنا.

ولقد وجدنا ثلاث تصنيفات تحتية رئيسة، خارج حدود التعميمات الموجودة في هذا الفصل التي تنطبق على الاعلام في كل البلدان العربية الثمانية عشر، سنناقشها لاحقاً. ويتضمن احد هذه المجمـوعـات الجمهـوريات العربية التي تدعو نفسها بالاشتراكية ومرت باكثر التغييرات السياسية في السنوات الاخيرة ـ مصر، سوريا، العراق، ليبيا، الجزائر، السودان واليمن الجنوبي. وقد اختبرت كل واحدة من هذه الدول الاستعمار الاوروبي، وتطور اعلامها خلال فترات من الاضطراب السياسي وتصاعد المشاعر الوطنية والمعادية للاستعمار والاحداث التي مرت بها عندما شاركت الاحزاب السياسية بالحياة الوطنية. وقد مرت كلها بمراحل اربع مميزة في تطور الاعلام، منتهية بتأميمها نوعاً ما من قبل النظام. ويحاول النظام ان يعبأ الاعلام، باعطاءهم الارشاد الكبير عن الاهداف التي يجب التأكيد عليها، وكيف تفسر الاحداث، وحتى في طريقة عرض الاخبار.

وقد مرّت اجهزة الاعلام في المجموعة الثانية من الدول ـ العربية السعودية، الاردن، تونس، قطر، والامارات العربية المتحدة والبحرين ـ بتجربة تطور مستقيمة واكثر استواءاً على خطوط سلطوية تقليدية، بالرغم من انه كان هناك فترات ازدهار وفترات انحسار بدرجة الحرية. ولم تقم الاحزاب السياسية الا بدور بسيط او لم يكن هناك لها اي دور في تطور الاعلام من هذه الدول، وبقيت ملكية الصحافة بشكل كبير، في ايدي القطاع الخاص، بالرغم من ان الحكومات تمتلك الراديو والتلفزيون. فالنزعة العامة، مثل المجموعة الاولى، التي ينتزعها الاعلام سلطوية، ودرجة تأثير الحكومة عالية، ولكن النظام والاسلوب مختلف تماماً.فالتأثيرات والتحكمات في الصحافة، بالاخص، غير مباشرة بشكل كبير، وسلسلة ليست مميزة كثيراً، عند قراءة قوانين الصحافة بحثاً

عن قيود قانونية، مثلما هي مميزة عند قراءه الصحف ذاتها. وتميل لان تكون، عملياً موالية للنظام في تقديمها للاخبار وتعليقاتها على القضايا الهامة.

ويعتبر التصنيف الثالث لانظمة الاعلام اقل سلطوية في طبعه من التصنيفات الاخرى، ويبدي درجة واضحة من تنوع وحرية التعبير لا توجد في اي مكان اخر من العالم العربي. ويمتلك النظام اللبناني نموذج هذه المجموعة، اكثر الصحافة حرية في العالم العربي وهو عملياً، حالة بحد ذاته. وتمتلك الصحافة في كل من الكويت والمغرب، على كل حال، درجة من التنوع والاستقلال تضعها أيضاً، في مصاف هذه التصنيف الخاص ـ ولنفس بعض الاسباب التي تظهر في لبنان.

وتحظى هذه التصانيف الثلاثة كل البلاد العربية الثمانية عشر ما عدا أثنتان. وقد حذفت الجمهورية العربية اليمنية وعمان لان اعلامهما لا يزال متخلفاً نسبياً ولان الصحافة تنظم هناك بطريقة تميزها عن الاجهزة العربية الاخرى. وكانت عمان واليمن الشمالي اخر دولتين عربيتين يبدأ بهما البث التلفزيوني (١٩٧٤ و١٩٧٥ بالترتيب)، وكانت عمان آخر دولة عربية تمتلك صحيفة يومية خاصة بها. وقد بدأت الصحيفة «عُمان» بالظهور اسبوعياً في ١٩٧٢ ولم تصبح يومية حتى عام ١٩٨٠. وبدأت بعد ذلك، صحيفتان بالظهور يومياً «عمان ديلي اوبزيرفي» و«الوطن» في عام ١٩٨١ و١٩٨٤ بالترتيب. ولكن تعاني هاتان اليوميتان والاسبوعيتان «اخبار عمان» و«تيمز اوف عمان» من توزيع قليل. ويمتلك «الوطن» وحدها من اليوميات الخاصة، وتعتمد بشكل كبير على الحكومة كمصدر للاخبار، بينما الاخرتان تمتلكهما الحكومة كلها. ويمتلك الاسبوعيات الخاصة، ولكن ليس لها الا تأثير سياسي قليل.

وتم تأسيس كل من الصحيفتين اليوميتين في اليمن الشمالي «الثورة» في صنعاء و«الجمهورية» في تعز، عام ١٩٦٠ بعد الثورة، وكلاهما يصوران من قبل الحكومة «منظمة سبأ العامة للصحافة والاخبار الحكومية». وقد سمحت حكومة اليمن لعدد قليل من الاسبوعيات والشهريات التي تمتلكها الخاصة بالظهور، ولكنها لم تتمكن من إحراز توزيع كبير، ولا تختلف كثيراً في محتوياتها عن الصحافة الحكومية. وقد ظهرت الاسبوعية «الامل» منذ ١٩٨٢ وهي تعكس آراء يسارية مرتبطة الجبهة الوطنية الديمقراطية السابقة، بينما تميل الاسبوعيتان الخاصتان

اللذان ابتدأتا عام ١٩٨٥ «الرأي العام» و«الصحوة»، الى ان تعكس وجهات نظر المتعصبين المحافظين الاسلاميين. وتحرص كلها، على كل حال، ان تحترم الزعامة السياسية وان لا تتجاوز حدودها في انتقاد السياسة الوطنية؛ ولا يطبع اي منهم، ايضاً، اكثر من عدة آلاف نسخة.

وستحذف الفصول الاربع القادمة، التي تعالج الاعلام المطبوع، عمان وجمهورية اليمن العربية (اليمن الشمالي). وستركز على الثلاثة تصنيفات الرئيسة المذكورة آنفاً.

المجـلات المهمـة

ويجب ان تقال كلمة عن المنشورات الدورية الغير يومية في العالم العربي، وذلك لانها مهمة ولكنها لم تناقش بالتفصيل في الفصول الخمسة القادمة، التي كرّست للصحافة اليومية والراديو والتلفزيون.

يوجد في منشورات غير يومية في كل بلد عربي. ويحوى العديد منها العديد من الانواع المختلفة. واكثر هذه شعبية، هي مجلات الاحداث الجارية المصورة الاسبوعية مثل «المصوّر» المصرية و«الحوادث» اللبنانية ومجلات الراديو والتلفزيون. ولكن هناك ايضاً المجلات العلمية مثل «السياسة الدولية»، ومجلات دينية مثل «الدعوة» السعودية، وهناك مجلة اخرى في مصر تحت نفس الاسم، والادبيات الفصلية، والمنشورات الخاصة بالنساء، الشباب، والجيش. ويعكس كل واحد من هذه المنشورات، بطريقة او بأخرى بلده الاصلي، ومعظمها غير معروف خارج حدودها. ولكن نجحت بعضهـا، بالاخص بعض الاسبـوعيات اللبنانية والمصرية وواحدة شهرية كويتية «العربي»، في تنمية اعداد من القراء خارج حدود بلدها (انظر الى الفصل السابع).

يجب علينا ان ننظر بتمعن على كل دولة عربية على حدة. وتنفرد كل دولة في طريقة عمل الاعلام فيها، بمجالات متعددة. ولكن سنقوم بدراستها مجتمعة بثلاث تصنيفات تحتية، من أجل اغراض التحليل، مبتدأين بما سنسميه تعبئة الصحافة.



الفصل الثاني

الصحافة التعبوية

تلعب الصحف اليومية في الثمانينات في سبع من الدول العربية وهي الجزائر ومصر والعراق وسوريا وليبيا واليمن الجنوبي (جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية) والسودان، دوراً متشابهاً بشكل عام في العملية السياسية بالرغم من أن هذه الصحف تتباين كثيرا في عمرها وأصولها وتاريخها (انظر الجدول رقم٢). وتبدو الصحافة لدى تفحصها تفحصا سطحيا كأنها قد أممت في هذه الدول، ولكن هذا التعبير سيكون غير دقيق ومبسط أكثر من اللازم. فالدولة نفسها لا تملك الصحف والعلاقة بين الحكومة والصحفيين علاقة دقيقة ومعقدة سيتم بحثها في هذا الفصل. وسنقوم بوصف موجز لسلوك الصحفيين ثم نحلل العوامل التحتية وبنية الصحافة وأقنية النفوذ السياسي.

سلوك الصحافة

عدم انتقاد السياسة

لا تنتقد الصحافة التعبوية السياسات الأساسية للحكومة الوطنية ولا يجوز بشكل خاص انتقاد سياسات الحكومة الخارجية، ولا يجوز ايضا انتقاد الخطوط العريضة للسياسة الداخلية على الاطلاق.

ولكن يمكن أن تنشر الصحف مقالات وافتتاحيات تنتقد الخدمات التي تقدمها الحكومة على المستوى المحلي كنقص الكهرباء أو نواقص دائرة الصحة العامة ولكن في هذه الحالات تحمل المسؤولية للبيروقراطي في المستويات الدنيا وليس للقيادة العليا ويخدم النقد في هذه الحالة غرضا بيراغوجيا للقيادة بالاضافة الى أنه يمثل منفسا لجدال محدود جدا. وهذا التنفيس عن آراء الجمهور غير الراضي عن الخدمة وعن البيروقراطي الذي يفترض أن يقدمها هو النقاش السياسي

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الجدول رقم ٢

الصحف اليومية في سبع دول (١٩٨٥ ـ ١٩٨٦)

أسم الدولة والصحيفة	التوزيع	الموقع	أول طبعة عام
مصـــــر			
الأخبـار	٦٥٠ ٠٠٠	القاهـرة	١٩٥٢
الأهــرام	٥٥٠ ٠٠٠	"	١٨٧٥
الجمهوريـة	٤٠٠ ٠٠٠	"	١٩٥٣
المســاء	٥٠ ٠٠٠	"	١٩٥٦
* The Egyptian Gazette	١٠ ٠٠٠	"	١٨٧٩
+ Le Progres Fgyptien	٨ ٠٠٠	"	١٨٩٧
العــــراق			
الثــــورة	٢٦٠ ٠٠٠	بغـداد	١٩٦٨
الجمهـــورية	١٨٠ ٠٠٠	"	١٩٥٨
العــــراق	٢٥ ٠٠٠	"	١٩٧٦
* The Baghdad Observer	٥ ٠٠٠	"	١٩٦٧
القادســية	٥ ٠٠٠	"	١٩٨٣
ســوريا			
الثــورة	٥٠ ٠٠٠	دمشــق	١٩٦٤
البعــث	٥٠ ٠٠٠	"	١٩٦٤
الفــداء	٨ ٠٠٠	حمــاة	١٩٦٣
العروبــة	١٠ ٠٠٠	حمــص	١٩٦٥
الجماهــير	١١ ٠٠٠	حلــب	١٩٦٦
تشـــرين	٤ ٥٠٠	دمشــق	١٩٧٤
* The Syrian Times	٤ ٠٠٠	"	١٩٧٩
الســودان			
الســياسة	١٠٠ ٠٠٠	الخرطـوم	١٩٨٦
الرايــــة	٤٢ ٠٠٠	"	١٩٨٥
الســوداني	٤٠ ٠٠٠	"	١٩٨٠

تابع الجدول رقم ٢
الصحف اليومية في سبع دول (١٩٨٥ ـ ١٩٨٦)

اسم الدولة والصحيفة	التوزيع	الموقع	أول طبعة عام
الأسبوع	٤٠٠٠٠	الخرطوم	١٩٨٦
الميدان	٣٧٠٠٠	"	١٩٥٤
* The Sudan Times	١٥٠٠٠	"	١٩٨٦
صوت الأمة	١٠٠٠٠	"	١٩٨٦
الهدف	٧٠٠٠	"	١٩٨٦
الوطن الاتحادي	٥٠٠٠	"	١٩٨٦
الاتحادي	٥٠٠٠	"	١٩٨٦
صوت السودان	٣٠٠٠	"	١٩٨٦
الجزائر			
المجاهد	٣٥٠٠٠٠	الجزائر	١٩٥٦
الشعب	٧٥٠٠٠	"	١٩٦٢
النصر	٢٤٠٠٠	قسطنطين	١٩٦٣
الجمهورية	١٦٠٠٠	اوران	١٩٦٣
ليبيا			
الفجر الجديد	٤٠٠٠٠	طرابلس	١٩٧٢
الرأي	٢٤٠٠٠	"	١٩٧٣
الجهاد	٢٠٠٠٠	بنغازي	١٩٧٣
اليمن الجنوبي			
١٤ أكتوبر	١٨٠٠٠	عدن	١٩٦٧

* تصدر بالانجليزية

\+ تصدر بالفرنسية

الداخلي الوحيد الذي يظهر في الصحف وفيما عدا ذلك فأن المواضيع السياسية الهامة لا تعالج من زوايا عديدة وانما تقدم من وجهة النظر الوحيدة التي تقبلها الحكومة[1].

قدسية القادة

لا تقوم الصحافة التعبوية بأنتقاد الشخصيات التي ترأس الحكومة الوطنية سواء في الافتتاحيات أو في عرض أخبار معارضة ولا توجد المعلومات السلبية عن شخصية أو سلوك او حياة القادة الكبار طريقها الى النشر مهما بلغ مدى معرفة رجال الصحافة أو حتى الجمهور بهذه المعلومات.

عدم التباين

ومن المنطقي أن لا يكون هناك تباين في الآراء بين الصحف في أي من هذه الدول حول القضايا السياسية الهامة، حيث أنها جميعا تحترم القيادة القومية وسياساتها الجوهرية بشكل كبير وبالتالي فأن افتتاحياتها ومواضيعها حول هذه الأمور تكون متشابهة بشكل ملفت للنظر[2].

ويمكن ملاحظة هذه الصفات الثلاثة للصحف ليس في البلدان السبعة التي نحن بصددها فحسب وانما في أماكن أخرى في العالم العربي. (أنظر الاسفل). ولكن ما يميز هذه الدول السبع ويجعلنا نعاملها كمجموعة واحدة هي الصفات الخاصة التالية.

أداة التعبئة

ينظر النظام في هذه الدول السبع الى الصحافة على أنها اداة مهمة جدا لتعبئة الدعم الجماهيري لبرامجه السياسية. وتميل هذه الانظمة الى الالتزام بسياسات داخلية وخارجية فعالة تدعو الى التغير الاجتماعي والاقتصادي والسياسي وتتضمن أيديولوجية هذه الانظمة في المعتاد عناصر نضال مكثف ضد قوى عدائية مزعومة موجهة للرفاة القومي وتحاول الجماعات الحاكمة استخدام الصحافة للدفاع عن قضاياها ولمساعداتها في هذه المعارك.

وقد استعمل تعبير «التعبئة» في عبارة «التعبئة الاجتماعية» وهو «عملية شاملة للتغير تحدث لجماعات كبيرة من السكان في الدول التي تنتقل من وسائل الحياة التقليدية الى الحديثة، حيث

تقبل الممارسات المتطورة وغير التقليدية في الثقافة والتكنولوجيا والحياة الاقتصادية على نطاق واسـع... العمليـة التي يتم بمـوجبهـا ابـادة أو خرق مجموعات من الالتزامات الاجتماعية والاقتصادية والنفسية القديمة.. ويصبح الناس مستعدين لأنماط جديدة من التكيف الأجتماعي والسلوك[٣].

وقد تم تطبيق تعبير «التعبئة» أيضا على الأنظمة السياسية التي تم بموجبها خلق قيم جديدة والتي «يحاول قادتها السياسيون أن يتوصلوا الى نظام أخلاقي للسلطة» وذلك «لانشاء أشكال تضامن وهويات مختلفة» من أجل تحديث المجتمع وتصنيعه بسرعة ومن أجل أن تحصل القيادة الجديدة على الشرعية[٤] وهذا هو بشكل اساسي، ما كان يحدث في هذه الدول العربية السبع في الربع الثالث من القرن العشرين ومن المناسب استخدام التعبير نفسه للصحافة في هذه الدول السبع لأن الانظمة الحاكمة فيها ترى أن لوسائل الاعلام دور حاسم في عملية التعبئة. فقد لاحظ بعض المراقبين الخارجيين أنه «يمكن استخدام وسائل الاعلام لتعبئة طاقات الأحياء... وذلك بالتبـريد المنطقي للاهتمامات الجديدة... وتستطيع وسائل الاعلام، في الوقت نفسه، أن تشجع عملية تكيف اجتماعي جديدة بين الأجيال الصاعدة بحيث تجتذب هذه العملية مشتركين جدد الى الحياة السياسية بالاضافة الى تأثيرات أخرى»[٥].

هذا التأثير لوسائل الاعلام مقدر تماما بل لعله مقدر بشكل مبالغ فيه في الدول العربية السبع. فأنظمة هذه الدول في سعيها لتحقيق تغير ثوري وللحصول على تأييد جماهيري نشيط ضد العتبات التي تواجه التنمية والاعداء المصورون تتطلع الى وسائل الاعلام للحصول على الدعم. ويعبر القانون العراقي عن ذلك كما يلي «تتطلب الحرب التي تشنها الأمة العربية اليوم ضد الامبريالية والصهيونية والرجعية تتطلب أن توجه الصحافة العراقية في خطوط قومية سليمة... أن تنشر الافكار السليمة وتقدم التوجيه الصحيح والنقد البناء الذي من شأنه المحافظة على الدولة»[٦].

والنقد البناء لا يعني حرية الكلام بل أنه جزء من عملية التعبئة. اذ كما أعلن حزب البعث الحاكم «ان للجماهير حق النقد البناء ضمن حدود الخط التقدمي المصيري للأمة. ولا يمكن أن

يكون النقد في ظل النظام الثوري الاشتراكي هدفا بحد ذاته بالطبع كما لا يمكن أن يسمح له بالمعنى دون مراقبة الى حد تشويه الخط القومي الاشتراكي نفسه»(٧).

وللنظام السوداني نفس الموقف جوهريا تجاه الصحافة ويعبر عن موقفه هذا بألفاظ أقل حماسا «تلعب وسائل الاعلام دورا هاما في الثورة القومية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية وتسهم في خط استراتيجي مهم للثورة والتغير وذلك بايضاح الطريق أمام الجماهير»(٨).

وتستخدم لغة ثورية اشتراكية متشابهة في كل من هذه الدول السبع. فالجبهة الوطنية الحاكمة في اليمن الجنوبي تصدر تصريحات مثل «نشر الأفكار العلمية والاشتراكية بين عمال وكادحي الثورة... (الذي) جعل من الممكن وضع أسس علمية لربط الفعل السياسي بالعمل الانتاجي من أجل تقدم المجتمع والجماهير»(٩).

وقد ركزت ندوة عقدها الحزب الحاكم في الجزائر حول الاعلام والتثقيف الحرفي على (الحاجة الى تكثيف الحساسيات السياسية وتطوير وسائل العمل لتحقيق تعبئة اكثر فعالية لدعم اهداف الثورة) وهي بشكل اساسي القضاء على عدم المساواة، التخلف والآثار المتبقية للاستعمار(١٠).

وتدعو كافة القيادات في هذه الدول السبع الى اهداف اجتماعية واقتصادية وسياسية وحتى ثقافية وحضارية متشابهة ويفترض من الصحافة أن تعبىء لدعم هذه الأهداف ويتوقع من الصحف أن تساعد في الاعلان عن الحملات الكبرى التي ينظمها النظام ضد عقبة تعترض التنمية الاقتصادية أو ضد عدو أجنبي مثلا ويتوقع منها أن تعلن وتفسر بشكل واضح ومعلن أية سياسات حكومية جديدة ويتوقع منها في خلال هذه العملية أن توصل فكرة أن كافة الاشخاص ذوي التفكير السليم متحدون وراء هذه السياسات وأن النظام قد أختار الأهداف بحكمة»(١١).

وتتميز لهجة الافتتاحيات والعناوين الرئيسة في الغالب بالعدائية الحادة والميل للقتال والغلواء في المبالغة والسرعة في ابداء ردود الفعل للاحداث ورسم الصور باللونين الأبيض والأسود ويكون المقصود من رسائل التعبئة الضمنية الصريحة أن تولد الدعم لبرامج النظام على مستويات

عديدة وبشكل رئيسي على المستويين الفلسفي والمؤسسي وعلى المستوى الشخصي أيضا وهي موجهة بشكل أولي الى الجمهور المحلي ولكنها أحيانا توجه الى هدف أجنبي وذلك على سبيل المثال لاقناع حكـومة أجنبية بتعيير سياستها وفي الوقت نفسه اقناع الناس في الداخل بضرورة قيام هذه الحكومة الأجنبية بتعيير سياستها(١٢).

وتنطبق هذه الخصائص على الصحافة في الأنظمة الديكتاتورية ولكن النظام في هذه الدول السبع ليس ديكتاتوريا فهو يسعى للحصول على دعم فعال بدلا من القبول السلبي لبرامجه ولكنه يفسح المجال لشيء من السلبية ولا يذهب بعيدا في اختراق مجال الخصوصيات الشخصية ففي الانظمة الديكتاتورية يتميز جو التعبئة بالأزمة والهجوم، جو يطور في بعض المناسبات في هذه الدول العربية ولكنه لا يستمر لفترات طويلة ولا ينطبق على قضايا كثيرة(١٣).

ولم تصبح الصحف في هذه الدول العربية السبع «صارمة أو رسمية أو بيروقراطية» ومملة مثل الصحف في الانظمة الديكتاتورية التي «تلتزم بخطوط صارمة للشكل والمضمون»(١٤) ولو أن بعضا من هذه الصحف قد تحرك بهذا الاتجاه في الأجزاء التي تعالج الأخبار السياسية الحساسة.

كيف تحصل الحكومة هذا النوع من الدعم من الصحافة؟ الجواب هو أن نوعا معينا من هيكلية الصحافة والسلوك الصحفي قد تم انشاءه في ظل ظروف سياسية مشجعة لظهور هذا النظام بشكل خاص دعونا ننظر الى هذه العوامل بدءا بالبيئة السياسية.

الظـروف السـياسية

يبدو أن هناك خصائص مشتركة عديدة في البيئة السياسية في كل من الجزائر والعراق وسوريا ومصر وليبيا واليمن الجنوبي والسودان، مهمة لتطور الصحف التعبيرية فبالاضافة الى العوامل السياسية التي قد تكون مهمة لأغراض أخرى فأننا نجد أربعة عوامل تتصل مباشرة بنظام الصحافة.

أولاً ، هناك فئة صغيرة حاكمة عدائية في السلطة تسيطر فعليا على كافة المفاتيح المهمة

للنفوذ ولا تواجه أية معارضة منظمة حقيقية ولا تسمح لأي متحد لسلطتها أن يشهر رأيه على الساحة المحلية.

ثانيا ، تميل هذه الفئة الى اعتبار نفسها طليعة ثورية للناس والى طرح فكرة أنها معنية بالكفاح من أجل التغير الاجتماعي داخليا وممثلة لمشاعر قومية قوية في قتال اعداء الشعب المزعومين في الداخل والخارج. وتدعي أنها تمثل المصالح الحقيقية (للجماهير) وتستعمل غالبا لغة ثورية اشتراكية لجذب الدعم والقضاء على الأعداء.

ثالثا ، لا تقبل هذه الفئة الحاكمة بالخضوع السلبي من السكان بل انها داعية بشكل كبير للحاجة لأن تحصل على دعم فعال من الناس وتعترف بأن هذا يجب أن يتم من خلال وسائل الاعلام.

وأخيرا ، غالبا ما يكون وراء الفئة الحاكمة حزب سياسي وحيد يكون المنظمة السياسية القوية الوحيدة التي يسمح لها بالعمل في الدولة فهو احتكار «حزب تضامن» بدلا من الحزب التمثيلي كذلك النوع الموجود في الأنظمة الاخرى للحصول على النفوذ على أسس متساوية ومثل هذه المنظمات السياسية تسمى اسماء مختلفة في هذه الدول السبع الاتحاد الاشتراكي العربي أو جبهة التحرير الوطنية مثلا، وفي ثلاثة من هذه الدول لا توجد منظمات سياسية قانونية اخرى وفي الدول الاربعة الباقية مصر، سوريا، العراق، واليمن الجنوبي لا تعتنق المنظمات السياسية الاحرى المسموحة سياسات مختلفة جوهريا عن تلك التي يعتنقها النظام وحزبه. ويحتفظ النظام بهذا الحزب لكي يساعده في تعبئة الدعم الجماهيري اذ أن أسلوب القيادة هو مواجهة من يعتقد أنهم أعداؤه بطريقة موالية على نحو كبير، بالرغم من حقيقة أن ليس هناك أحزاب معارضة حقيقية وليس هناك نظام حزبي حقيقي.

وفي بيئة كهذه هناك دوافع قوية للصحفيين لكي يدعموا النظام وسياساته على الأقل في القضايا الحساسة للنظام وبدون وجود حزب أو جماعة معارضة منظمة لن يتم تبليغ نقد عام للنظام لكي ينشر في أعمدة الصحف ويجعل الوضع النفسي العام من الصعب على كاتب العمود المستقبل في الصحف أن يصرح بنقده للحكومة. وبالاضافة الى الضغط النفسي على الصحفيين

فأن الفئة الحاكمة في كل من هذه الدول قامت بهيكلة الصحافة بحيث أصبح لها آليات واضحة ومشروعة للتأثير على سلوك الصحفيين وقد تم تحقيق هذا الأمر بشكل رئيسي بأنتزاع كل الصحف المهمة من أيدي المالكين الخاصين ووضعها بأيدي الوكلاء السياسيين ومؤيدي السلطة وفي أغلب الحالات في أيدي الحزب الخاص بالفئة الحاكمة وفي كل هذه الدول تنبع أهمية الحزب الحاكم من حقيقة أن أعضائه يتمتعون بنفوذ سياسي وغالبا ما تكون هذه الاحزاب ضعيفة جدا في أساسها ولكن الفئة الحاكمة تنشئها كأدوات للحكم ولتعبئة الاعلام فمن الطبيعي اذن لي تستخدم هذه الاحـزاب للسيطرة على الصحافة وهذه السلطة مضمونة في النهاية حيث أن رأس الفئة الحاكمة هو نفسه رئيس الحزب الحاكم(١٦).

وفي الجـزائـر وليبيا وفي السودان لغاية ١٩٨٦، وفي مصر لغاية ١٩٧٦ كانت الاحزاب الحاكمة هي الاحزاب الوحيدة المشروعة في الدولة والمالكة للصحف المهمة من الناحية السياسية في الوقت ذاته.

وكانت مصر الدولة العربية الاولى التي تبنت هذا النظام فقد نص القانون المصري رقم ١٥٦ المؤرخ في ٢٤ أيار ١٩٦٥ بأنه لا يسمح بصدور اية صحيفة دون الحصول على اذن من المنظمة السياسية الوحيدة، الاتحاد القومي (الذي أعيدت تسميته فيما بعد بالاتحاد الاشتراكي العربي).

كما نقل هذا القانون ملكية أربع دور صحف خاصة كبرى - دار الأهرام ودار أخبار اليوم ودار الهلال ودار روز اليوسف - الى الاتحاد القومي الذي كان يملك أيضا قبل ذلك دار التحرير للنشر. كما نص القانون على أن يقوم الاتحاد القومي بتعيين مجالس ادارة الصحف التي يملكها. وبالتالي فقد منح هذا التنظيم السياسي سلطات «ترخيصية» ومالية وتوظيفية واسعة على الصحافة الصحافة وحيث أن النظام كان يسيطر على التنظيم السياسي فأنه كان في الواقع يسيطر على الصحافة عن هذا الطريق(١٧).

وقد عدل هذا النظام تعديلا طفيفا في آذار ١٩٧٥ حين تم انشاء مجلس أعلى للصحافة وتم اعـطاؤه ٤٩٪ من ملكية الصحافة ومن سلطة منح رخص الاصدار. وحيث أن الاعضاء

الرئيسية في المجلس الاعلى كانوا يتألفون من وزير الاعلام ومسؤولي الاتحاد الاشتراكي العربي ومسؤولي الاعلام وحيث أنه كان لا يزال يتم تعيين هؤلاء الاخيرين من قبل النظام فأن الحكومة لم تفقد سيطرتها الفعلية على الصحافة(١٨).

ويقول المصريون ان ما حدث في عام ١٩٦٠ لم يكن حقا تأميما للصحافة لأنه لا الدولة ولا الحكومة كانت هي التي استولت على ملكية الصحف وقد استعمل قانون ١٩٦٠ بشكل مقصود، عبارة «تنظيم الصحافة» بدلا من «تأميم» كما أن القانون المصري لا يرى في الاتحاد العربي الاشتراكي أو الاتحاد القومي جهازا من اجهزة الدولة. ويضيف خبير في القانون أنه ليس لدور النشر أية «علاقة بسلطة الدولة»(١٩) وأنه ليس هناك علاقة حكومية مالية اعتيادية مع الصحافة(٢٠).

ومنذ عام ١٩٧٦ وضع الرئيس السادات الاطار العملي لتغييرات ممكنة في بنية الصحافة بسماحه للاحزاب السياسية بالاندماج وبالسماح للأحزاب بأصدار صحف ولكن لغاية عام ١٩٧٩ لم تحدث اية تغييرات مهمة.

وفي أعقاب الانتخابات البرلمانية في عام ١٩٧٦ أعلن السادات أن ما سمي بالمنابر الثلاث للاتحاد الاشتراكي العربي التي تنافست في الحملة الانتخابية ستكون منذ ذلك الوقت أحزابا سياسية منفصلة وقد نص القانون رقم ٤ لعام ١٩٧٧ على هذا التغيير وجعل من الممكن تشكيل أحزاب جديدة من قبل أعضاء البرلمان وبالتالي أصبح الاتحاد الاشتراكي العربي شيئا من الماضي وفي حزيران ١٩٧٧ قام السادات بالغاء كافة مراتب الاتحاد الاشتراكي العربي فيما عدا اللجنة المركزية التي ظلت معلقة لحين اصدار قرار سياسي حول ما يجب فعله بشأن أمور مثل ملكية الصحف القائمة التي كانت لا تزال قانونيا ملكا للاتحاد الاشتراكي العربي.

وبعد مناقشات مطولة بين سياسيين وصحفيين تمت اجازة قانون الصحافة الذي أعطى مجلس الشورى الملكية القانونية لخمسة دور نشر رئيسة التي تصدر الصحف اليومية القومية الثلاثة وعددا كبيرا من المجلات. ويعين مجلس الشورى الرئيس وثمانية من بين الخمسة عشر عضوا لكل دار نشر ويقوم الرئيس المصري ايضا بالتطبيق العملي بالموافقة على الرئيس ورئيس

التحرير وفي هذه الاثناء سمح قانون الاحزاب لعام ١٩٧٧ بظهور صحف أحزاب سياسية نمت ومن ثم قيدت تحت حكم السادات ثم عادت فنمت في اثناء حكم مبارك بعد عام ١٩٨٢ (أنظر الاسفل) ولكن الصحف اليومية القومية الثلاثة ظلت الأوسع تداولا في مصر.

وفي الجزائر اتبع أحمد بن بيلا طريقا مشابها لما جرى في مصر في عام ١٩٦٠. ففي أيلول ١٩٦٣ وضع النظام الجزائري كافة الصحف فيما عدا واحدة تحت سيطرة الحزب السياسي الوحيد في الدولة وهو جبهة التحرير الوطنية الذي يرأسه بن بيلا[٢١].

أما الصحيفة الوحيدة الباقية فقد كانت في ذلك الوقت مؤيدة للحكومة وفي حزيران ١٩٦٥ اندمجت مع صحيفة جبهة التحرير اليومية ومنذ ذلك الوقت ظهرت هذه الصحيفة باسم (   ) وأصبحت كافة الصحف الجزائرية تحت سيطرة النظام ومثلهم مثل المصريون يقول الجزائريون أن الصحافة ليست تحت سيطرة الحكومة ولكنها تتكلم بأسم الحزب[٢٢].

وفي السودان ايضا كانت الصحافة مملوكة للحزب السياسي الوحيد في الدولة حزب الرئيس جعفر النميري (الاتحاد الاشتراكي السوداني) ولكن القانون السوداني ايضا أعطى الوزارات سيطرة مشتركة مع الاتحاد السوداني على الصحف وأنتزع قانون آب ١٩٧٠ كافة دور النشر من أيدي المالكين الخاصين ووضعها بأيدي مؤسسة عامة واستمرت الصحيفتين اليوميتين الناهجتين (الصحافة) و(الايام) في الصدور ولكن تحت ملكية دور نشر مستقلة يملكها القطاع العام التي كانت تصدر دوريات أخرى[٢٣].

وفي العام الذي تلى صدر مرسوم جمهوري يقضي بجعل كافة دور نشر الصحف والمجلات مملوكة للاتحاد الاشتراكي السوداني.

وأوضح قانون الصحافة لعام ١٩٧٣ نظام السيطرة الحزبي الوزاري المزدوج كما يلي: «تكون الصحف ملكا للشعب الذي يقوم الاتحاد الاشتراكي السوداني بالنيابة عنه بادارتها... (الذي يملك الحق في ترخيص المنشورات في حين) يكون (وزير الثقافة والاعلام) مسؤولا عن الرقابة اليومية المباشرة للصحف لضمان الانسجام مع الخط الاعلامي العام والالتزام بالخطة

السياسية للاتحاد الاشتراكي السوداني»[٢٤]. وفي الواقع هناك فقد كانت صلات شخصية جعلت الرقابة أيسر[٢٥].

وحين أطيح بالرئيس النميري تم الغاء الاتحاد الاشتراكي السوداني وقامت الحكومة المنتخبة الجديدة باعداد مسودة قانون جديد للصحافة يتيح للشركات والاحزاب والمؤسسات امتلاك الصحف ولكن الحكومة حافظت على تأثير لا بأس به في الواقع.

أما في العراق واليمن الجنوبي وسوريا فهناك أحزاب أخرى الى جانب الحزب الحاكم وملكية الصحافة ليست مقصورة على الحزب الحاكم ولكن النتيجة هي في الواقع كما لو كانت هذه الملكية مقصورة على الحزب الحاكم فعلا.

ففي العراق الغي القانون رقم ١٥٥ الذي بث من اذاعة بغداد في ٣ كانون أول ١٩٦٧ كافة الصحف ونص على أنه لا يجوز اصدار صحف دون الحصول على اذن تصدره «المنشاة العامة للصحافة والنشر» التابعة لوزارة الاعلام. ومنذ ذلك الوقت كانت سياسة الوزارة أن تمنح الرخص فقط لتلك الصحف الملتزمة بالخط السياسي الأساسي للفئة الحاكمة، وتمارس الفئة الحاكمة العراقية في الثمانينات سيطرتها على أكبر الصحف اليومية «الثورة» من خلال تنظيم حزب البعث الذي يملك كما تسيطر على صحيفة «القادسية» من خلال وزارة الدفاع وتسيطر على صحيفتين يوميتين أخريتين هما «الجمهورية» و«بغداد أوبزيرفر» من خلال وزارة الاعلام التي تصدرها.

وفي السبعينات تم السماح لصحيفتين يوميتين صغيرتين بالظهور هما «طريق الشعب» و«التآخي» وذلك لأنهما كانا تحت رعاية حزبين عضوين في الجبهة الوطنية هما الحزب الشيوعي العراقي والحزب الديمقراطي الكردي على التوالي وكانا مواليين ولم يختلفا في سياسيتهما عن البعث[٢٦]. ولكن «طريق الشعب» توقفت عن الصدور في عام ١٩٧٩ حين منع الحزب الشيوعي.

وأما سوريا التي حكمتها منذ عام ١٩٦٣ أجنحة حزب البعث الذي تسيطر قيادته على الصحافة اما من خلال الحزب أو من خلال الأجهزة الحكومية ويقوم الحزب حاليا باصدار أوسع

الصحف اليومية انتشارا «البعث» فيما تقوم وزارة الاعلام بأصدار الصحيفة اليومية الرئيسية الاخرى «الثورة» وبنفس الأسلوب تسيطر الجبهة الوطنية الحاكمة في اليمن الجنوبي على كافة الصحف في حين لا تسيطر أي من الاحزاب الاخرى على أي صحيفة(٣٧).

أجهــزة الرقــابــة

يؤثر النظام على الصحافة في ظل هذا النظام من خلال سيطرته على الموظفين فحتى لو لم تملك الدولة الصحافة فأن النظام قادر على ضمان ولاء الصحافة من خلال الأشخاص الذين يديرونها.

أولا ، ان رأس الجماعة الوطنية الحاكمة هو في العادة رئيس الحزب السياسي أو اية وكالة اخرى التي تملك الصحافة ويكون الصحفيون العاملون في هذه الصحف مدركين دون أن يعملوا بذلك صراحة بأنه يتوقع منهم أن يدعموا هذه السياسات الى الحد الذي يستطيعون تحقيقه. وخلافا لذلك فان الفئة الحاكمة تستطيع أيضا السيطرة على محتوى الصحافة من خلال تأثيرها على المهام الموكلة لموظفيها. فهي تستطيع أن تضمن أن الاشخاص الذين يفكرون بالشكل السليم هم الذين يعينون في المناصب الرئيسة للتحرير.

وتستطيع بالاضافة الى ذلك أن تجعل حزبها السياسي أو أية وكالة مالكة للصحف أن تطرد صحفيا متمردا من الصحيفة أو أن توقفه عن العمل ولا بد أن التهديد بحرمان المرء من ممارسة عمله يشكل حافزا قويا للولاء وغالبا ما توقع الاقالات أو الايقاف عن العمل بشكل انفرادي ولكن عام ١٩٧٣ جعلت الفئة الحاكمة الاتحاد الاشتراكي العربي يسحب رخص المهنة لأكثر من مئة صحفي بحيث اضطروا الى ترك صحفهم وبعد ستة أشهر تمت اعادة رخصهم لهم وعادوا لأعمالهم بعد أن تم تذكيرهم بشكل فعال بأنهم يعتمدون على النظام في الحصول على معاشاتهم هذا على الرغم من أنه كان يتم دفع رواتبهم خلال هذه الفترة كلمة انسانية ولكن التهديد بأنهم قد يحرمون من ممارسة مهنتهم لفترة طويلة ظل حافزا فعلا لهم وتستطيع الفئة الحاكمة في ظل هذا النظام أن تستخدم سلطات الدولة مثل الاعتقال والتوقيف للصحفيين وذلك للمساعدة في تعزيز

الولاء لسياسات النظام الاساسية ويمكن بالطبع استخدام هذا السلاح في الدول الاخرى ولكنه يكون أيسر على نحو خاص عندما يكون القانون قد وضع ملكية الصحافة في ايدي وكالة معروفة باهتماماتها السياسية. ويمكن استخدام تهمة الانحراف الخطير عن السياسية الاساسية كمبرر للاعتقال أو العقوبة لمرتكبة.

وبنفس الاسلوب فأن مكافأة رجال الصحافة المفيدين بتزويدهم بمعلومات سرية تعزز دورهم كصحفيين يعد أسلوبا تستخدمه الأنظمة في بلدان كثيرة ولكن هذا الاسلوب شائع بشكل خاص في ظل هذا النظام بسبب التقارب السياسي بين الفئة الحاكمة وغالبية الصحفيين الرئيسيين وأشهر مثال على العلاقة الأخوية بين قائد عربي وصحفي هي تلك التي ربطت عبدالناصر وهيكل في مصر منذ بداية الخمسينات ولغاية وفاة عبدالناصر في ١٩٧٠ كان تفكيرهما متشابها، فقد وجد عبدالناصر في هيكل مصدرا مفيدا لنشر الاراء والافكار في حين اكتسب هيكل منه معلومات عن خطط القائد المصري جعلت أعمدته أكثر تشويقا(٢٨).

وفي النهاية فأن النظام في الغالب قادر على ممارسة رقابة مباشرة على الصحف بشكل أيسر لأن هذه الصحف مملوكة لوكالة سياسية وبسبب المناخ السياسي العام وخاصة في وضع الازمة(٢٩). ولكن في معظم الأحيان يكون هناك اتفاق جنتلمان بين السلطة والصحافة ولا تضطر الفئة الحاكمة لأن تلجأ للرقابة بسبب الرقابة الذاتية التي يمارسها الصحفيون ورجال الصحافة على أنفسهم(٣٠). وهكذا فان المناخ السياسي والاعتبارات الوظيفية بما فيها المهمات والتسريح والتوقيف بالاضافة الى تهديد العقوبات القانونية ومكافأة الحصول على معلومات داخلية كل ذلك يشكل حوافز قوية لجعل الصحفيين موالين للخط الاساسي لسياسة النظام وسواء كان الصحفي مدفوعا بالتعاطف الحقيقي أو الولاء أو الالتزام بالقيود أو الخوف الانتهازية فأنه يدعم هذا الخط ويعززه بفعالية. فهو سيكتب اخبارا وافتتاحيات مستقلة حين يستطيع ذلك ولكنه حين يمس أمورا حساسة للنظام فأنه سيؤيد السياسة الرسمية(٣١).

أقنيـة التوجيـه

كيف يعرف الصحفي الخط السياسي بصورة مستمرة واعتيادية؟ وما هي أقنية التوجيه

في ظل هذا النظام؟ تعد الرقابة وسيلة من الوسائل المستخدمة لنقل وجهات نظر النظام المحددة بخصوص ما يجب وما لا يجب أن ينشر ولكن تعليمات المراقب تقوم بدور هام فقط خلال فترة أزمة حقيقية كوقت الحرب(٣٢).

أما في الظروف العادية وعلى أساس يومي لنقل التوجيه للصحافة بطرق أكثر حساسية ويعرف المحررون أنه لن يكون هناك اعادة طباعة بسبب الرقابة لأن أوراقهم ستقرأ بعناية وسيتم اعلامهم ان كان فيها أي خطأ.

والكثير من التوجيه الذي يستعمله المحررون والصحفيون الاخرون في ظل هذا النظام لا يدعى توجيهـا بل يستمـد من مصدرين مفتوحين الأول أنهم يراقبون بعناية كل التصريحات الرسمية عن السياسة التي تصدرها الجماعة الحاكمة وتمثيلها وذلك ليكونوا على علم بالمبادرات السياسية المعاصرة ووجهة نظر النظام الرسمية تجاه الاحداث سواء كانت تصريحات رسمية أو ملاحظات مؤتمر صحفي أو ايضاحات للسياسة في الجمعية الوطنية حيث تؤخذ هذه التصريحات من قبل رجال الصحافة كتوجيهات(٣٣).

ثانيا ، تسيطر الحكومة في كل هذه الدول على شبكة أخبار وطنية وتديرها وتستعمل هذه الخدمة كمصدر مهم لتوجيه السياسة فوكالة الأنباء العراقية ووكالة الأنباء السورية ووكالة الانباء السودانية ووكالة انباء عدن «والوكالة العربية الثورية للأنباء» الليبية وشبكة الانباء الجزائرية ووكالة انباء الشرق الأوسط المصرية كلها تقع عادة تحت سيطرة حكوماتها المعنية من خلال وزارات الاعلام وهي لا تنقل الأخبار عن نشاطات النظام كما هو متوقع منها وحسب بل انها تقدم من حين لآخر تعليقات أو خلفيات تحتوي على تفسير النظام للاحداث واذ تبث بواسطة المبرقة الكاتبة يوميا لكافة الصحف اليومية الرئيسة يتم نشر هذه المواد ويأخذها رجال الصحافة كدليل لما يجب أن ينشروا وما يرغب النظام بنشره (انظر الفصل السابع).

وبالاضافة الى الأقنية المفتوحة التي تستخدمها الجماعات الحاكمة هناك علاقات شخصية

وغير رسمية مع رجال الصحافة الذين تستخدمهم لايصال التوجيه السياسي من وقت لآخر في ظل نظام تنظيم الصحافة هذا وذلك بسبب المكانة الاعتمادية للصحيفة على النظام وتأثير النظام على موظفيها وفي المعتاد حين يرغب النظام بايصال توجيه معين حول موضوع سياسي حساس يقوم مؤول في وزارة الاعلام بمهاتفة المحرر المسؤول في كل صحيفة لتبيان موقف الحكومة. ولا يجد هذا الموقف القبول دائما دونما نقاش أو بعض التعديل أو التفصيل ولكن أساسياته لا بد أن تجد طريقها الى الصحافة في النهاية(٣٤).

هذه اذن هي أقنية التوجيه التي يستخدمها النظام لايصال سياسته على اساس يومي للصحافة التعبوية وعلينا أن نتذكر أن أقنية التوجيه وأجهزة الرقابة وبنية الصحافة والظروف السياسية التي تم وصفها في هذا الفصل هي خصائص تميز النموذج الذي قد تحيد عنه أنظمة الصحافة الفردية في هذه الدول العربية بشكل من الأشكال وسنقوم في الفصل الثاني بتحليل هذه الدول على نحو محدد أكثر وننظر الى مراحل التطور التي أدت الى هذا النظام، ولكننا سننظر في البداية بأختصار الى واحدة من هذه الدول التي تتميز بصحافة تعبوية لكي نرى كيف يمكن لدول فردية أن تحيد عن الخصائص الاساسية الوارد ذكرها أعلاه.

الصحافـة المصريـــة

تصف الخصائص المذكورة أعلاه بطريقة عامة نمطا من أنماط أنظمة الصحافة يمكن أن ترى في سبع دول عربية وهناك بالطبع فروق بين هذه الدول تم ذكر بعضها وتتطور هذه الفروق بمـرور الزمن حيث تتكيف الصحافة مع الأحوال المتغيرة ولكي نوضح الى أي مدى تستطيع الصحافة في التطبيق العملي أن تحيد عن الخصائص الاساسية المشتركة فأننا سننظر بعناية الى دولة واحدة هي مصر التي حادت صحافتها الى أبعد حد عن النموذج وعن الدول الاخرى في هذه الفئة.

تقع الصحافة اليومية المصرية ضمن نفس النمط الاساسي المميز للعلاقة بين الصحافة والسياسة أو بين رجال الصحافة والحكومة التي تم وصفه أعلاه فهي لا تنشر افتتاحيات تهاجم المذاهب الأساسية لسياسة الحكومة الخارجية أو مبادئها الاساسية الاشتراكية والوحدة الوطنية

والسلام الاجتماعي ـ وتظل كافة النقاشات ضمن الاطار الذي تحدده سياسة الدولة. وفي حين تظهر انتقادات لموظف الحكومة لفشلهم في تنفيذ احدى السياسات في الصحف اليومية فأن بدائل القيادة العليا لا تطرح فيها ابدا(٣٥).

وبالرغم من ذلك فأن الصحيفة اليومية المصرية ليست مملة أو متوقعة تماما أو ناطقة مستعبدة بأسم النظام كجريدة روسيا «برافدا» مثلا. اذ أن للصحيفة المصرية أسلوبها وحيويتها الخاصين بها أكثر بكثير من صحف العراق مثلا التي لها بعض الصفات المشابهة لصفات «برافدا» فالصحيفة المصرية ليست مجرد ورقة دعاية حكومية والمحرر المصري لا يشعر بأنه ملزم بنشر النص الكامل للخطاب الذي ألقاه رئيس الجمهورية في الأمس مع أنه غالبا ما يفعل ذلك فقد طلب من المراقبين البقاء في مكاتب الصحف في أوقات الأزمات مثلا قبل حرب أكتوبر ١٩٧٣ حين كان التوتر في الصراع العربي ـ الاسرائيلي على أشده ولكن حتى في هذه الفترات كان هناك أخذ وعطاء بين المراقبين والمحررين حيث كان هؤلاء الأخيرون يجادلون أحيانا حول ترتيبات معينة لم يوافقوا عليها(٣٧).

وقد تمكن المحررون المصريون ايضا من انتقاد الوضع الراهن بطرق ماكرة وغير مباشرة فقد نشروا قصصا قصيرة واشعارا لكتاب موهوبين لكي يوصلوا النقد للقراء من خلال قصص رمزية كما قام بعضهم بنشر تحليلات اقتصادية تصف الصعوبات الاقتصادية القائمة بطريقة متحفظة وعادية بحيث لا تجعل منها قضايا سياسية ولا تلوم القيادة ولكنها تبين أن هناك مشاكل فعلا. حتى في مجال التعليقات السياسية تمكن بعض الكتاب من توجيه لكمات لطيفة للنظام والنظام الحاكم وفي عام ١٩٦٥ حين أجبر علي أمين على ترك تحرير الصحيفة التي أنشأها كتب يقول «انني لا أختار الأغاني التي أغنيها ولا أختار الالحان (لكن)... أنا متفائل دون حدود الكثير من الناس مندهشون من تفاؤلي»(٣٨).

وباختصار فان الصحافة المصرية ليست خاضعة أو مستعبدة تماما للحقائق السياسية وبالفعل هناك دليل على حيوية ومهارة الصحافة المصرية على الرغم من أنها مقيدة في الغالب من قبل النظام السياسي وذلك لدعم جهود القيادة الحالية لتحقيق الوحدة من أجل معالجة القضايا

الملحة مثل قضية الصراع العربي الاسرائيلي أو التنمية الاقتصادية. وتتشابه الصحف اليومية المصرية في محتواها من حيث انها تعالج نفس المواضيع وتضعها في سلم الاولويات على نحو متشابه ولكن هناك فروقا واضحة في الاسلوب الصحفي وفي أصناف القراء المخاطبين فصحيفة «الاهرام» بتاريخها الممتد مئة عام تميل الى المحافظة وتجد قبولا لدى مسؤولي الحكومة ورجال الأعمال واساتذة الجامعات في حين أن صحيفة «الأخبار» ذات التوزيع الأعلى قليلا، تميل الى أسلوب أكثر اثارة وأكثر جماهيرية وبالتالي فهي تجد قبولا لدى البيروقراطيين والطلاب وغيرهم ممن يفضلون أسلوبها الحيوي وبكلمات كبير تحريري الأخبار فأن «الأخبار تشبه فتاة جميلة ثوبا جديدا كل يوم وتدير الرؤوس حين تدخل أي غرفة» في حين أن «الأهرام» تشبه رجلا كبيرا بمعطف وقبعة وعصا تساعده على المشي»[٣٩].

أما صحيفة «الجمهورية» ثالثة الصحف الكبرى فقد لاقت قبولا حتى وقت قريب لدى المفكرين اليساريين والعمال وغيرهم ممن يحبذون ميل الصحيفة للتركيز على القضايا الايديولوجية الاشتراكية العربية والقضايا اليسارية وقد كان محررو الصحيفة فخورين بأنهم لا يزالون يعملون بموجب نفس الترخيص الصادر في عام ١٩٥٢ (عام الثورة) لجمال عبدالناصر ويميلون الى تركيز الاهتمام على التعليقات السياسية أكثر من تركيزهم على الأخبار لاعتقادهم بأنهم كانوا منذ عام ١٩٥٢ متأثرين بمبادىء الثورة أكثر من الصحف الاخرى التي تركز على الأخبار[٤٠].

وفيما عدا هذه الاختلافات الاسلوبية فقد اظهرت الصحف المصرية اليومية من حين لآخر بعض التنوع والاستقلالية. وقد تميزت الدوريات غير اليومية بهذا التنوع وفي فترة رئاسة عبدالناصر (١٩٥٣ ـ ١٩٧٠) نشط الصحفيون اليساريون في معظم وسائل الاعلام ولكن المجلة الشهرية «الطليعة» أصبحت الجهاز الخاص للماركسيين المخلصين والمجلة الأسبوعية «روز اليوسف» كانت نفس الصحافة الصفراء غير المسؤولة التي بالغت في دعوتها لسياسة الحكومة المعادية للامبريالية ولغيرها من السياسات.

وفي أعقاب وفاة عبدالناصر في عام ١٩٧٠ أصبح أنور السادات رئيسا وأظهرت حكومته تساهلا أكبر تجاه النقاش والنقد السياسيين لدرجة معينة في الصحافة وفي الوقت نفسه طور

السادات سياساته الخاصة به في عهد ما بعد عبدالناصر مما نتج عنه تحولا في البنية السياسية للصحافة فقد ظل محمد حسنين هيكل الذي كان موضع سر الرئيس عبدالناصر وأكثر الصحفيين تأثيرا في فترة عبدالناصر بالتأكيد والذي طور دار الأهرام للنشر بحيث أصبحت مؤسسة متعددة الوجوه ظل على رأس الصحيفة لمدة ثلاث سنوات بعد وفاة عبدالناصر وظل أكثر من مليون قارىء من داخل مصر ومن خارجها يتابعون قراءة عموده الأسبوعي «بصراحة» الذي بين فيه أحيانا عدم اتفاقه مع سياسة الحكومة وفي أعقاب الحرب العربية ـ الاسرائيلية في أكتوبر تشرين أول ١٩٧٣ عبر هيكل عن معارضته الجوهرية لسياسة السادات في الحرب ولدعوته المباشرة للولايات المتحدة لحل القضية العربية الاسرائيلية(٤١).

وفي شباط ١٩٧٤ قام السادات اخيرا بصفته رئيس الاتحاد الاشتراكي العربي بازاحة هيكل من الصحيفة وقد ركز هيكل نشاطه بعد ذلك على كتابة الكتب والمقالات للنشر خارج مصر(٤٢). ثم في عام ١٩٧٤ وحين نفذ السادات سياسة التقارب مع الحزب والانتقاد للاتحاد السوفيتي تتلاشى تأثير الناصرين والماركسيين واليساريين الآخرين في الصحافة وخاصة في الصحف اليومية وتم اعادة الاعتبار للصحفيين البارزين الذين كانوا قد نفوا أو سجنوا أيام عبدالناصر وتم اعطائهم مراكز صحفية مسؤولة(٤٣).

وفي بداية عام ١٩٧٤ أعلنت الحكوم عن تخفيف القيود المفروضة على الصحافة وخلال الفترة من ١٩٧٤ ـ ١٩٧٥ انخرط كتاب الاعمدة في الصحف المختلفة في مناظرات مطبوعة حول الحاجة الى احياء الأحزاب السياسية وحول الناصرية وهموم الطلاب وحرية الصحافة نفسها.

وقد كان هناك تقارير تحرت في امور الفساد الرسمي(٤٤) ولكن النقد الاكثر صراحة خلال عهد السادات ظل يأتي من الصحف غير اليومية فقد ظلت «الطليعة» جهازا ماركسيا وظلت «روز اليوسف» التي حازت على شعبية اكثر لدى المثقفين الى يسار الخط الرئيسي للدولة وفي الطرف الآخر للنطاق السياسي كانت المجلتين الشهريتين «الدعوة» و«الاعتصام» اللتين كانتا قد أوقفتا خلال عهد عبدالناصر تمثلان آراء الدينيين المحافظين وحين قالت «الطليعة» و«روز اليوسف» أن الشغب الذي حدث في كانون ثاني ١٩٧٧ حول ارتفاع أسعار المواد الاستهلاكية كان تعبيرا

تلقائيا عن الاستياء الجماهيري كان هذا محرضا من قبل عناصر راديكالية وبعد ذلك بفترة قصيرة قام رئيس دار الاهـرام للنشر بأستبدال رئيس تحرير «روز اليوسف» برجل أكثر ولاءا ودعما لسياسات الحكومة وبالتالي توقفت الصحيفتان عن نشر آراء معارضة(٤٥).

ولكن بعد ذلك بفترة قصيرة بدأت الأحزاب السياسية الجديدة بأصدار صحفها الاسبوعية الخاصة بها بموجب قانون الأحزاب لعام ١٩٧٧ فكانت جريدة (مصر) التي أصدرها حزب الوسط ـ حزب السـادات في ١٩٧٧/٦/٢٨، موالية تماما للنظام ولكن النقد ظل يأتي باستمرار من صحيفة «الأحرار» التي بدأ يصدرها «حزب الاحرار» اليميني في ١٩٧٧/١١/١٤ كما ظل يأتي بشكـل أكبـر من صحيفـة الحـزب التقـدمي اليساري «الأهلي» التي ظهرت للمرة الاولى في ١٩٧٨/٢/١ وخـلال ربيع عام ١٩٧٨ ظهر نقاش حيوي حول العديد من القضايا الداخلية والقضايا المتعلقة بالسياسة الخارجية في «الأهلي» و«الأحرار» وفي مجلس الشعب وفي الجامعات وأماكن أخرى ولكن صحف الاحزاب واجهت مشكلات مادية خطيرة في تنافسها مع دور النشر الكبرى وبالاضافة الى ذلك اصطدمت «الاهلي» التي انتقدت باستمرار ما اعتقدت أنه سوء عدالة متـزايـد في توزيـع الدخل والآثار السلبية الأخرى لسياسة الحكومة الاقتصادية والارتباطات الامريكية وفساد الشخصيات البارزة اصطدمت بالمدعي العام الاشتراكي الذي بدأ منذ ١٧ أيار بأنتزاع قضايا لمحتوى غير ديمقراطي وهي تهمة تقرها المحكمة وفي هذه الاثناء حصل الرئيس السادات على الموافقة على قانون جديد يمنح النشاط السياسي للماركسيين وسياسي ما قبل الثورة وغـيرهم وذلك في استفتـاء عام اجـراه في ٢١ أيـار وأكد في تصريحات عامة كثيرة أنه ملتزم بالديمقراطية وبحرية الصحافة وبصحف الأحزاب طالما أنها تحلت بالمسؤولية(٤٦).

واستمر محررو الصحف والمجلات الاسبوعية في جهودهم في النشر طيلة صيف ١٩٧٨ ولكن ما أن حل شهر أيلول حتى كان معظمهم قد اختفى مما يعكس الى حد كبير ضعف الأحزاب السياسية نفسها وبعد هذه البداية المؤسفة كان مقدرا لصحافة الأحزاب أن تعود للظهور بشكل أقوى فيما بعد (انظر الى الاسفل).

وفي الوقت نفسه استمرت المجلات الدينية «الدعوة» و«الاعتصام» بطريقهما المستقلة تقريبا

وحتى بانتقاداتهما لمبادرة الحكومة السلمية(٤٦).

اولاً ، الذي دعا الصحافة المصرية لأظهار بعض التنوع في الأسلوب وفي الآراء والى انتقاد الحكومة أحيانا؟

ان الصحافة في مصر تعد مهنة محترمة وذلك عائد الى تاريخها الطويل والى حقيقة أن كتابا موهوبين كرسوا جزءا من مهنتهم بشكل عام للصحافة ويحتوي كادر الصحف والمجلات القاهرية على بعض أشهر الصحفيين المحترمين الرائدين بالاضافة الى بعض أفضل كتاب الرواية المسرحيات والقصص القصيرة في العالم العربي كله(٤٨). ويعد العمل في الصحف مميزا بعض الشيء ويدر العمل في المراكز العليا في الصحف دخلا يعادل ذلك الذي يمكن الحصول عليه في الحكومة. كما أن بعض المصريين أصبحوا شخصيات عامة بارزة عن طريق الصحافة أو من خلال مزج من الصحافة والكتابة والسياسة.

ثانيا ، بين هؤلاء الذين يكتبون أو الذين كتبوا لوسائل الاعلام يمكن تبين نطاق واسع من الاعتقادات والمفاهيم السياسية الشخصية وفي الأرجح يكون للعاملين في كل صحيفة مجال للتعبير عن الآراء الشخصية من الماركسية الى المحافظة، ومن الممكن أن تظهر هذه الآراء من حين لآخر اعتمادا على المناخ السائد.

والعامل الثالث والأكثر أهمية هو أن هؤلاء الصحفيين يعملون في المناخ السياسي المصري المتغير وغير الثابت وبالتالي فأن حظوظهم تتغير اعتمادا على مدى تطابق آرائهم وشخصياتهم مع الأوقات المختلفة وتعتمد ديناميكيات العلاقة بين الاعلام والحكومة على التفاعل بين النظام الحاكم الذي يحاول تعبئة الرأي العام عن طريق الصحفيين وبين هؤلاء الأخيرين الذين يحاولون أن يكتبوا ويقولون ما يريدون وتعتمد نتيجة هذا التفاعل على الشخصيات وعلى السياسات. والصحافة المصرية ليست بالتأكيد السلطة الرابعة المستقلة فحين تكلم هيكل بصراحة أكثر من الحد معارضا سياسة الحكومة فقد منبره وانتقده صحفيون آخرون لخلق مركز قوة وهي عبارة استخدمها السادات في هجومه على علي صبري وغيره من المنادئين للنظام بعد عام ١٩٧٠(٤٩) ولم يظهر أي

صحفي بديل لمركز هيكل البارز ولكن كل المحررين الرئيسين كانوا موالين جوهريا لسياسات الحكومة.

وقد حصل الصحفيون الذين دعموا سياسات الحكومة على الخطوة وقام السادات بتعيينهم في مراكز الصحافة الهامة وهاجم النقاد الصحفيين بشكل علني ولكنه على العكس من عبدالناصر لم يعامل الصحفيين المعارضيين بقسوة بالسجن أو بالحرمان من المعاش أو بالايقاف عن الكتابة وهيكل هو أحد الأمثلة على ذلك وفي عام ١٩٧٣ حين تم ايقاف عدد كبير من الصحفيين عن الكتابة استمروا في تلقي رواتبهم وكما قال السادات حين أعاد اليهم اعتبارهم «لقد عنيت التحذير ولا أزال أعني ذلك اذ لم يكن هدفي كما أنه ليس من طبيعتي أن أوذي أحدا في عمله أو مهنته أو معاشه... وأنني أريد حرية الصحافة ولكني في الوقت نفسه أريدها أن تكون صحافة ملتزمة(٥٠).

بعد ذلك بسنتين وكان لا يزال معنيا بنقاش حول حرية الصحافة استعاد السادات هذه الحادثة وقال «انني لم أقم بفصل أحد لقد كانت تلك عقوبة تأديبية لقد قلت: هذا عيب، تصرفوا جيدا. لماذا؟ الأنني في معركة وفي وضع يتطلب أن يقف الجميع الى جانب بلدهم ليس الى جانبي أنا شخصيا لأنها بلدهم. وفي ٢٨ أيلول ١٩٧٣ جئت وقلت أن جميع الصحفيين يجب أن يعودوا لصحفهم»(٥١).

وفي مناسبة أخرى في عام ١٩٧٧ وفي أثناء نقاش في مجلس الشعب لقانون جديد للصحافة أوضح السادات أن مفهومه للديمقراطية يتطلب سيطرة «شعبية» على الصحافة. «اليوم، الحمد لله بعد مضي ٢٥ عاما على ثورتنا استعادت بلدنا دستورتها القانونية... لدينا الان دولة مؤسسات مجلس الوزراء... مجلس الشعب... القضاء... والسلطة الرابعة التي خلقناها هي الصحافة هذا لأن الصحافة ذات تأثير عظيم على الرأي العام. نحن لا نستطيع السماح للصحافة التي تشكل الرأي العام أن تكون تابعة لفرد أو لناشر صحيفة مزاجي ومتعصب في رأيه ولا لمجموعة من الناس الذين يريدون فرض ارادتهم على الشعب. كلا ان الصحافة كانت وستظل ملكا للشعب(٥٢).

لقد كان موقف الرئيس السادات من الصحافة وحرية التعبير بشكل عام متعاطفا شيئا ما فقد حاول دعم الديمقراطية ولكنه في الوقت نفسه ظل يشعر بقلق كبير من أن تقوم عناصر

اعتبرها وطنية بأستغلال هذه الحرية وفي العامين الأخيرين من رئاسته (١٩٧٩ ـ ١٩٨١) أصبح تعاطف السادات مع الصحافة أكثر وضوحا وكذلك مع نقاده فقد حاول أن يسمح بنشاط الاحزاب وفي الوقت نفسه أن يبقى النقاش العام ضمن حدود معينة حين حاول الصحفيون أن يتكلموا بصوت أعلى كان التركيز المبدئي منصبا على التحضير لانتخابات مجلس الشعب في حزيران ١٩٧٩ وتمهيدا لذلك قام الرئيس السادات في نهاية عام ١٩٧٨ بأنشاء الحزب القومي الديمقراطي الذي انضم له اعضاء حكومته وبدأ هذا الحزب المدعوم من النظام الحاكم بأصدار صحيفة اسبوعية «مايو» (التي سميت تيمنا بثورة السادات التصحيحية في أيار ١٩٧٢) وقد حظيت هذه الصحيفة بدعم مادي كبير وكان لها السبق بنشر أخبار خاصة ومعلومات تزودها بها الدوائر الحكومية بالاضافة الى المقابلات الخاصة مع الرئيس.

وفي هذه الاثناء وتمهيدا لانتخابات ١٩٧٩ القادمة تم انشاء حزب سياسي جديد هو حزب العمل الاشتراكي الذي أنشأته قوى المعارضة وبدأ هذا الحزب أيضا باصدار صحيفته «الاهلي» التي يصدرها حرب التجمع الوحدوي التقدمي الى الظهور مباشرة قبل الانتخابات وأنضمت الى «الشعب» في نقدها اليساري للنظام الحاكم ولم تتمكن أي من هاتين الصحيفتين من احراز توزيع واسع (اذ ظلت المبيعات أقل من ١٠٠٠٠٠ نسخة بكثير).

كما واجهت الصحيفتان صعوبات مع السلطات بشأن محتويات الأعداد الفردية فمثلا عارضت «الاهلي» معاهدة السادات للسلام في ١٩٧٩ مع اسرائيل، كما عارضت تعديل قانون الأحزاب لعام ١٩٧٩ التي طلب من كافة الأحزاب دعم مبادىء معينة بما فيها معاهدة السلام وقد تم مصادرة الكثير من أعداد «الأهلي» بسبب الهجوم الذي كانت تحتويه ولكن الصحيفتين اليساريتين المعارضتين استمرتا في الصدور.

ثم وفي صيف عام ١٩٨١ فقد الرئيس السادات صبره بسبب النقد المستمر والهجوم من الكثير المصادر وقرر أنها تمثل عداءا أعمق للدولة لم يستطع أن يحتمله فأتخذ اجراءات تقييدية صارمة ضد نطاق واسع من مناوئية السياسيين بوضع العديد من منتقديه الرئيسين في السجن وبالأمر بايقاف العديد من المنشورات الحزبية بما فيها «الاهلي» و«الشعب» وصحيفة حزب

الاخوان المسلمين الشهرية «الدعوة» ومع أن حق هذه الصحف القانوني في الصدور لم يلغى الا أن الحكومة وجدت طرقا لتوقيفها عن الظهور في تلك الفترة وسمح لصحيفة الحزب الحاكم «مايو» ولصحيفة حزب الأحرار اليميني المعارضة قليلا «الاحرار» بالاستمرار في الصدور.

وفي ٦ تشرين أول ١٩٨١ وفي وسط هذه المواجهة مع الكثير من العناصر المعارضة قام متطرفون مسلمون بأغتيال السادات وأصبح نائب الرئيس حسني مبارك رئيسا وقام مبارك في البداية بفرض قيود رقابة أمنية صارمة على الاعلام بموجب قوانين طارئة ولكن بعد أشهر قليلة حين أصبح الوضع الأمني أكثر استقرارا بدأ مبارك برفع القيود وقام تدريجيا بتحرير الصحافة خلال السنوات اللاحقة وبالتالي تمتع الصحفيون المصريون بحرية أكثر مما تمتعوا به في أي وقت مضى في تاريخهم الحديث.

وقد قام مبارك أولا بأخراج معظم الكتّاب المعارضين الذين زجّ بهم السادات في السجن وسرعان ما عاد هؤلاء الى الكتابة والانتقاد .

وبحلول ربيع عام ١٩٨٢ تابعت صحيفتي حزب المعارضة «الشعب» و«الاهلي» ظهورهما وفي خريف ١٩٨٣ ظهرت صحيفة لحزب معارضة رابع هو حزب الوفد الجديد الذي كان قد تأسس في السبعينات ثم أوقف بعد بداية قصيرة واثر كسبه قضية في المحكمة عاد للظهور أقوى مما كان من أي وقت مضى وبحلول ربيع ١٩٨٤ أصدر هذا الحزب صحيفته الاسبوعية الخاصة به «الوفد» التي سرعان ما أظهرت نجاح الحزب ببيعها أكثر من نصف مليون نسخة اسبوعيا وهذا ما عادل ستة الى عشرة أمثال مبيعات الصحف الاسبوعية الحزبية الأخرى مما جعل هذه الصحيفة على قدم المساواة مع الصحف اليومية في عدد القراء وأخيرا قامت الحكومة في عام ١٩٨٤ برفع الحظر على منشورات الأقطاب المسيحين والمسلمين الذي كان السادات قد فرضه في عام ١٩٨١ وبهذا ألغي آخر القيود على الصحافة.

وبهذا كان هناك في الفترة اللاحقة لعام ١٩٨٢ خمسة صحف اسبوعية حزبية واحدة تملكها الحكومة والأربعة الباقية للمعارضة وقد أصبحت هذه الصحف مع مرور الوقت أكثر صراحة في التعبير في ظل المناخ المتحرر الذي أتاحه مبارك وقد ركز الرئيس بأستمرار على أهمية

الديمقراطية وحرية الكلام وتصرف كما لو أنه عنى ذلك وقد هاجمت الاسبوعيات الصحفية النظام الحاكم في قضايا عديدة مثل معالجته لقضية الجندي المصري الذي توفي في السجن عام ١٩٨٥ بعد قتله ٧ اسرائيليين سياح أو معالجته لقضية اختطاف الطائرة المصرية الى مالطا في عام ١٩٨٥ وقد وجه مبارك الصحافة باستمرار ولكنه لم يحاول أن يأخذ اجراءات مباشرة لاسكات النقاد الصحفيين وبدأ مخلصا في رغبته بتوسيع قاعدة الشرعية السياسية بالسماح بحرية اكبر للنقاش بالاضافة الى ذلك فأن ما يدعى «بالصحافة الوطنية» بما فيها الصحف اليومية الثلاث الرئيسة (الاهرام ـ والاخبار ـ والجمهورية) وغيرها من المنشورات قامت بنشر أخبار وتعليقات تميل الى وضع النظام في صورة سلبية أحيانا مع أنها ظلت جوهريا موالية للنظام والمؤسسة وبسبب الجو الجديد من التحرر المتزايد وبسبب التنافس مع الصحف الحزبية التي عادت للظهور أظهرت الصحافة الوطنية ميلا أكبر لنشر الأحداث التي تستحق النشر ولبحث قضايا خلافية بغض النظر عن التأثير السياسي.

وبهذا على سبيل المثال غطت كافة الصحف التقرير القضائي لتشرين الثاني ١٩٨٤ الذي انتقد قوى الأمن لتعذيبها المعتقلين من الاخوان المسلمين كما غطت أخبار تمرد شباط ١٩٨٦ الذي قامت به قوى الأمن المركزي في الجيزة قرب القاهرة وفي مجال التحرير فانه حتى «الصحافة الوطنية» وهو تعبير بدأت تنتقده الصحف الأسبوعية على أساس أنه غير عادل، أظهرت بعض مظاهـر استقلالية أكبر ونزوع أكبر للنقد فقد بدأت «الأهرام» مثلا بنشر باب منتظم بعنوان «الحوار القومي» حرره الكاتب الماركسي البارز لطفي الخولي، والذي أصبح منبراً للنقاد اليساريين والناصرين ولكن هناك حدود للنقد فمثلا حين ذهب رئيس محرري «الاهرام» بعيدا بهجومه على «استغلال مصر» من قبل الولايات المتحدة بالتعاون مع النظام الحاكم تم فصله من عمله بالرغم من أن كثيرا من المفكرين كانوا يؤيدون رأيه.

وعليه فان الصحافة المصرية تلعب دورا معقدا ومتغيرا باستمرار في العملية السياسية المصرية على الرغم من أن النظام الجوهري حافظ على الكثير من خصائصه في ظل العديد من أنظمة الحكم وفي ظروف متباينة فالصحف الثلاث اليومية التي تصل كل منها لحوالي مليون

قارىء ما تزال تؤيد سياسات الحكومة في الجوهر وصحيفة الحزب الحاكم «مايو» تروج بنشاط اهتمامات القيادة وفيما عدا «الوفد» فأن الصحف غير اليومية التي تنقد النظام بشكل عام روتيني تحقق توزيعا أقل بكثير من توزيع اليوميات وتتمتع بتأثير على قطاعات اصغر في المجتمع. لقد سمح السادات في البداية لهذه العناصر ان تتنوع. وتتباين ولكنه عاد وسحقها أما الرئيس مبارك فقد سمح لهذه العناصر بالظهور من جديد تدريجيا ولكنها لم تتغير في نظامها الجوهري، وهناك احتمال كامن لتغير منظم ولكن ذلك لن يحدث الا حين يصبح النظام السياسي الملازم تحرريا وديمقراطيا حقا.

الفصل الثالث

الصحافة التعبوية

مراحل التطور

ينطبق النموذج الذي تم وصفه في الفصل السابق، بشكل أو بآخر، على سبع دول عربية. وسنقوم الآن بتحليل كيفية تطور الصحافة على هذا النحو حيث أن هذا التطور اتخذ، على ما يبدو، مساراً متشابهاً في كل من هذه الدول. إذ يبدو أن عملية من أربع مراحل تكررت من كل من هذه الدول السبع مع بعض الاختلافات المحلية. وسيصف هذا الفصل هذه المراحل والأسباب الرئيسة لظهورها.

ففي مصر والجزائر والعراق والسودان ودور الصحافة في العملية السياسية بأربع مراحل متشابهة للتطور. أما في بقية الدول ـ سوريا وليبيا واليمن الجنوبي ـ فقد مرت الصحافة بثلاثة مراحل للتطور ولكنها لم تدخل بعد المرحلة الرابعة، مع أن النظام الأساسي للصحافة متشابهة من وجهة النظر السياسية. ويمكننا، من أجل التبسيط، أن نصنف المراحل الأربعة كما يلي: المرحلة الاستعمارية، المرحلة الفئوية، المرحلة غير الحزبية والمرحلة التعبوية. وندرج في الجدول رقم ٣ التواريخ التي مرت بها الصحافة في كل من هذه الدولة بتلك المراحل. أما فهم المجموعة المعقدة للعوامل المؤدية لكل مرحلة، فإنه يتطلب تفسيرا مفصلا أكثر.

المرحلة الاستعمارية

ظهرت الصحف العربية في كافة هذه الدول خلال فترة حكم استعماري أجنبي، في الغالب، الحكم العثماني ثم الحكم البريطاني أو الفرنسي. وقد تم إنشاء الصحف بدوافع أدبية وتجارية وسياسية أو حتى في بعض الأحيان، شخصية. وكانت هذه الصحف تميل إلى التطور إلى جانب

الجدول رقم رقم ٣

مراحل تطور الصحافة في سبع دول عربية

الدولة	المرحلة الاستعمارية	الحزبية	غير الحزبية	الموالية
مصر	قبل عام ١٩٢٠	١٩٢٠ ـ ٥٤	١٩٥٤ ـ ٦٠ (بداية عهد عبدالناصر)	منذ ١٩٦٠
العراق	قبل عام ١٩٣٢	١٩٣٢ ـ ٦٣	١٩٦٤ ـ ٦٧ (عهد عارف)	منذ ١٩٦٧
سوريا	قبل عام ١٩٤٦	١٩٤٦ ـ ٥٨	١٩٥٨ ـ ١٩٦٣	منذ ١٩٦٣
السودان	١٩٠٣ ـ ٥٣	١٩٥٣ ـ ٥٨	١٩٥٨ ـ ٦٤ (عهد عبود)	
		١٩٦٤ ـ ٦٩ (منذ ١٩٨٥)	١٩٦٩ ـ ٧٠ (بداية عهد النميري)	١٩٧٠ ـ ٨٥
الجزائر	قبل ١٩٦٢	تموز ـ تشرين ثاني ١٩٦٢	تشرين ثاني ٦٢ ـ ايلول ٦٣	منذ أيلول ١٩٦٣
اليمن الجنوبي	قبل ١٩٦٠	١٩٦٠ ـ ٦٧	منذ ١٩٦٧	
ليبيا	قبل ١٩٥١	١٩٥١ ـ ٦٩	منذ ١٩٦٩	

الشعور القومي وخط الحياة الاقتصادية. ولكن كان على مالكي الصحف ومحرريها أن يضعوا في اعتبارهم الادارة الاستعمارية والحكومة المحلية دائماً. وهكذا فقد كان العاملان الرئيسان في تلك الفترة هما ظهور القومية التي دفعت الصحافة العربية إلى الأمام، والحكم الاستعماري الذي مال إلى تقييدها.

وبحلول بداية منتصف القرن التاسع عشر كانت هناك صحافة عربية ـ صحف يحررها ويصدرها العرب للعرب ـ قد بدأت بالظهور في مصر وسوريا والعراق وكانت جميعاً واقعة تحت سيطرة الحكومة في ظل الامبراطورية العثمانية. وقد كانت الصحف الاولى في مصر أجهزة للنظام الحاكم ولكن صحفاً أهلية غير حكومية ظهرت خلال عهد النهضة الفكرية والثقافية في الستينات والسبعينات من القرن التاسع عشر. وقد شجع هذه الصحف الخديوي اسماعيل الذي تميز بالتحرر والذي حكم مصر منذ عام ١٨٦٣ ولغاية عام ١٨٧٩. وقد أسكت اسماعيل أي صوت ناقد حقيقي ولكنه سمح بظهور نقاشات حول القضايا الاجتماعية والسياسية والاقتصادية في الصحف، كما ظهرت مناظرات بين اللادينيين العصريين والمصلحين المحافظين. وقد قام اسماعيل بدعم صحيفة على الاقل بنفسه وذلك لتعزيز الاهتمام الجماهيري بإدارته التي تميزت باستقلالها. عن السلطان العثماني(١).

وبعد أن أصبحت بريطانيا عاملاً رئيساً في السياسة المصرية بعد تدخلها في عام ١٨٨٢، قامت الصحافة. أيضاً، بمناقشة دور بريطانيا، وخلال الجيلين اللاحقين أصبحت الصحف أكثر سياسية وقومية وتشكلت الأحزاب. إذ «ظهرت صحافة حزبية قوية» بعد ١٨٨٢ وكانت «حيوية، سياسية ومتمردة»، مع أن هذه الصحف الاولى لم تكن مملوكة للأحزاب ولكنها كانت مدعومة منها فقط(٢). وفي حالات عديدة، كان يقوم كاتب بإنشاء صحيفة ثم ما أن ينجذب اليها اشخاص مشابهين له في التفكير حتى يقوموا بإنشاء حزب ويصبحوا نشيطين على المسرح السياسي. فعلى سبيل المثال نشأ حزب الشيخ علي يوسف «حزب الله» حول صحيفة «المؤيد»، كما نشأ «الحزب الوطني» بعد أن أصدر مصطفى كمال صحيفة «اللواء» ونشأ «حزب الأمة» بعد ظهور «الجريدة»(٣). وحيث أن البريطانيين كانوا يحتملون الصحافة الموالية أكثر من احتمالهم للأحزاب

المنـظمة فقد نمت الاولى أسرع من الثانية، وظلت بعض الصحف مثل الصحيفتين اليوميتين الناجحتين «الاهرام» «والمقطم» وهي صحيفة مسائية، ظلتا مستقلتين عن الاحزاب وعن الحكومة. ولكن النقاش في صحف النخبة هذه ظل خاضعاً لحدود قاسية من القيود الحكومية، على الرغم من تكاثر الصحف وتنامي طبيعتها السياسية(٤).

وبنفس الاسلوب ظل الناشرون السوريون والعراقيون تحت وطأة القيود العثمانية القاسية التي عززتها السلطات المحلية حتى عام ١٩٠٨. تلك القيود التي أعاقت النمو الحر للصحافة، وقد أدى الضغط من «جمعية تركيا الفتاة» فعلاً إلى تخفيف هذه القيود في عام ١٩٠٨، مما أدى إلى تكاثر الصحف العربية في سوريا والعراق خلال العهد اللاحق. وكون الكتاب والسياسيون الشبـاب من حملة الأنكـار القـوميـة والذين تعلم العـديـد منهم في جامعات بيروت والقاهرة والاسكندرية واستانبول. كونوا أجهزتهم الخاصة المعبرة عن الضمير العربي من خلال الإطار العثماني. ولكن النظام العثماني استُبدل بعد الحرب العالمية الاولى بالانتداب الفرنسي والانتداب البريطاني في سوريا والعراق على التوالي، واضطر الناشرون للخضوع لقيودهما.

وقد نمت الصحافة السورية شيئاً ما في ظل الانتداب الفرنسي (١٩٢٠ ـ ١٩٤٦) ولكن الفرنسيين استخدموا سلطاتهم الانتدابية لاعطاء تراخيص، فقط، للأجهزة التي تدعم سياستهم بشكل عام، ومع أن الكتاب والمحررين في العراق تمتعوا بحرية أكبر نسبياً في ظل إدارة الانتداب البريطاني الأخف وطأة (من عام ١٩٢٠ ـ ١٩٣٢)، إلا أنهم هم الآخرون واجهوا بعض القيود التي لم يمكنهم تجاوزها في النقاشات السياسية(٥).

وفي الجـزائـر التي أدارها الفرنسيون بنية الاحتفاظ بها دائرة فرنسية دائمة، تطورت الصحافة العربية في ظل قيود استعمارية خاصة. ففي النصف الثاني من القرن التاسع عشر حصلت مجموعة كبيرة من المستوطنين الفرنسيين في الجزائر على السيطرة على الحياة الاقتصادية والسيـاسيـة والثقافية مما جعل الصحافة العربية غير قادرة على النمو. وقد تطلعت الاحزاب السياسية التي نشطت بعد الحرب العالمية الاولى إلى تأييد ودعم العرب إلا أنها ظلت تحت سيطرة الاوروبيـين. وكـانت كافـة الصحف ومعـظم الدوريات مملوكة للاوروبين وكانت تصدر باللغة

الفرنسية وكانت تتجاهل الأخبار العربية. وقد استمرت هذه المطبوعات بالازدهار خلال الفترتين السابقة واللاحقة للحرب العالمية الثانية. وبحلول الاستقلال في عام ١٩٦٢ كانت الصحف اليومية السبع وغالبية المطبوعات الاخرى في الجزائر ما تزال تنشر بالفرنسية ويقوم بنشرها الفرنسيون. وبالاضافة الى ذلك كان يتم استيراد المطبوعات من فرنسا بأعداد كبيرة في حين منحت الإدارة الفرنسية استيراد مطبوعات عربية من دول عربية أخرى وذلك لتمنع دخول ما هو مؤيد للقوميين منها(٦). ولم تتمكن هذه الصحف من أن تعكس آراء العرب، وذلك بسبب قيود فرضتها الادارة الفرنسية، بشكل رئيس، ولكن أيضاً بسبب أعمال الارهاب التي قامت بها أحياناً جماعة «الجزائر فرنسية» "Algéire Francaise" اليمينية.

ولم تسمح الادارة الفرنسية في الجزائر بمطبوعات ذات آراء أكثر اعتدالاً إلا بعد عام ١٩٦٠ حين قررت باريس منح تقرير المصير للجزائر(٧).

وقد تمكن العرب القوميون في الجزائر من نشر بعض الصحف الاسبوعية المتواضعة في السنوات التي تلت الحرب العالمية الثانية، ولكن الادارة الفرنسية قمعتها في عام ١٩٥٥ حين بدأت حرب الست سنوات للحصول على الاستقلال(٨). ثم لجأت الحركة القومية المتنامية للصحافة السرية كوسيلة لتعبئة المشاعر في سبيل الاستقلال. وقام الصحفيون العرب الجزائريون بطباعة وتوزيع أوراق إخبارية. بشكل سري أو بتهريبها من الخارج. وبدأت جبهة التحرير الوطني بإصدار صحيفتها «المجاهد» في عام ١٩٥٦، نفس العام الذي حصلت فيه على تأييد الأحزاب المسلمة الأخرى. وقد ظهرت في البداية بالفرنسية حيث أنه حتى القوميين تفاهموا بهذه اللغة، ولكن اعتباراً من عام ١٩٥٧ بدأت بتضمين أجزاء باللغة العربية. وكانت «المجاهد» تطبع في تونس وتهرب الى الجـزائر ليتم توزيعها بشكل سري وذلك حتى حزيران عام ١٩٦٢ حين سمح المفوض الاعلى الفرنسي ببيعها علنياً في الجزائر وذلك تحضيراً للاستقلال الذي اعلن بعد ذلك بشهر واحد(٩).

أما الصحافة في الدول الثلاث الأخرى ـ السودان وليبيا واليمن الجنوبي ـ فقد بدأت في مرحلة لاحقة وذلك بسبب الأمية والقاعدة الاقتصادية غير الكافية. ولكنها ظهرت وبدأت تتطور في ظل الحكم الاستعماري. وكانت الصحف الاولى التي ظهرت في هذه الدول تصدر مباشرة عن

الإدارة الاستعمارية البريطانية وكانت غالباً تصدر باللغة الانجليزية وتوجه للمواطنين البريطانيين المقيمين في تلك الدول(١٠).

وفي السودان أنشئت صحيفة عربية تصدر مرة كل أسبوعين تحت اسم «السودان» عام ١٩٠٣. وحيث أن هذه الصحيفة كانت مملوكة لثلاثة صحفيين سوريين كانوا يملكون في ذلك الوقت صحيفة «المقطم» اليومية القاهرة، وحيث أن السيادة الانجليزية ـ المصرية على السودان كانت قد فرضت قبل ذلك بخمس سنين فقد اعتقد العديد من السودانيين بأن هذه الصحيفة كانت لسان حال المصالح الأجنبية. وقد قام تاجران يونانيان بعد ذلك بسنوات قليلة بإصدار صحيفة اسبوعية باللغة الإنجليزية أضافة إليها ملحقاً باللغة العربية، ولم تظهر الصحيفة السودانية الأصيلة الاولى إلا في عام ١٩١٩ حين كانت الأمية تتفشى وحين اصبحت قضية الوحدة مع مصر قضية سياسية حية. وقد لاقت «حضارة السودان» قبول البريطانية لأنها عارضت الوحدة وأيدت الإدارة البريطانيين لأنها عارضت الوحدة وأيدت الإدارة البريطانية. ومع ذلك، وبعد الانتفاضة المسلحة المؤيدة للوحدة في عام ١٩٤٢، قررت الادارة الاستعمارية تقييد إطار النشاط السياسي والصحفي شيئاً ما(١١).

ونتيجة لذلك وجّه الناشرون السودانيون، لفترة تزيد عن العقد، اهتمامهم إلى الجهود الأدبية(١٢). مع أن الرقابة البريطانية على الصحف كانت خفيفة نسبياً. وقد أعلنت الحكومة السودانية عن قانون صحافتها الأول في عام ١٩٣٠ معطية الادارة البريطانية سلطة إعطاء التراخيص. ولكن هذا الاجراء كان نادراً ما يستخدم. وبحلول عام ١٩٣٥ بدأت الصحيفة السودانية اليومية الاولى «النيل» في الظهور، وأصبحت ذات توجه سياسي أكثر من ذي قبل. وقد عكست بعض الاستياء الشعبي تجاه المعاهدة الأنجلو ـ مصرية لعام ١٩٣٦. كما ظهرت صحيفة يومية ثانية هي «صوت السودان» في عام ١٩٤٠ حيث بدأت الصحف بالتزايد مع تنامي الوعي السياسي، وتم تشكيل الأحزاب السياسية بعد الحرب العالمية الثانية وتمكن الكثير منها من إصدار صحفها الخاصة بها(١٣). وتزايد هذا الاتجاه في عام ١٩٥٣ حيث تكتف النشاط السياسي السوداني تحضيراً لانتخابات شباط وحين اعلنت بريطانيا ومصر عن نيتهما في إنهاء السيادة

المشتركة بعد رحلة انتقالية لمدة ثلاثة سنوات، وبالنسبة للصحافة، كان ذلك يعني انتهاء المرحلة الاستعمارية.

أما في ليبيا واليمن الجنوبي فقد كان تطور الصحافة فيهما أبطأ من ذلك وهذا عائد بشكل رئيسي إلى صغر حجم السكان المتعلمين. ولم يكن في ليبيا صحف يملكها العرب قبل استقلالها في عام ١٩٥١، وكان الصحفيون الليبيون يعملون في الصحف التي يملكها البريطانيون. وفي اليمن الجنوبي الذي كان معروفاً آنذاك باسم (جنوب الجزيرة وعدن) صدرت بعض الصحف العربية الأصيلة بما فيها صحيفة يومية واحدة بعد الحرب العالمية الاولى حين كانت المنطقة ما تزال تحت الحماية البريطانية. وحتى عام ١٩٥٦ لم يكن في البلاد سوى صحيفة يومية واحدة، ولكن في السنوات القليلة التي تلت تم إنشاء المزيد من الصحف ومنحتها الإدارة الاستعمارية البريطانية حرية لا بأس بها لكي تقول ما تشاء في افتتاحياتها. وبحلول الستينات تكاثرت الصحف، فأصبح هناك أربع صحف يومية وأربعة عشر صحيفة أخرى، وأصبحت أكثر صراحة في التعبير والحقيقة أن الصحافة السودانية تخطت المرحلة الاستعمارية حتى قبل تحقيق الاستقلال في عام ١٩٦٧(١٤).

المرحلة الفئوية

حين تخطت الصحافة في هذه الدول المرحلة الاستعمارية انتقلت إلى ما يمكن أن نسميه المرحلة الفئوية، إذ أصبحت الصحف أنشط سياسياً كما أصبحت ـ وهذا هو الاهم، متباينة ومتنافسة بشكل لا بأس به، وقد دعم الصحف أفراد أهليون أو عائلات أو احزاب سياسية أو مصالح حكومية. وكان يمكن التمييز بينها في اللهجة والمحتوى وآراء الافتتاحيات. وتلازمت مع هذه الحزبية درجة من التحرر من القيود الحكومية كانت أكبر مما حصلت عليه الصحف في أي مرحلة من مراحل تطورها في هذه الدول، وقد فرضت الحكومة فعلاً، من بينها الرقابة قيودا، من حين لآخر، ولكن الصحافة كانت مستقلة نسبياً خلال تلك الفترة.

لقد ظهرت هذه المرحلة بسبب تغيرات في المحيط السياسي وهناك عوامل عدة ساعدت على هذا الانتقال.

رفع القيود الاستعمارية

غالباً مع تلازم رفع القيود الاستعمارية عن الصحافة مع تحقيق الاستقلال الوطني التام من السلطة المستعمرة، كما حدث في العراق في عام ١٩٢٣، وفي سوريا عام ١٩٤٦ وفي ليبيا عام ١٩٥١ وفي الجـزائر عام ١٩٦٢، أما في مصر فقد تم رفع القيود الاستعمارية البريطانية على الصحافة بعد الحرب العالمية الاولى مع أن البريطانيين احتفظوا بحقوق أخرى في مصر بعد ذلك الوقت. (وقد كانت الرقابة المفروضة على الصحافة المصرية خلال الحرب العالمية الثانية تمثل حماية من الحكومة للمصالح البريطانية، ولكن هذا الإجراء كان مؤقتاً). وانطبق هذا الأمر على الحالة في السودان وفي اليمن الجنوبي حيث بدأت الصحافة الحزبية بالظهور قبل أن ينتهي الحكم البريطاني الاستعماري بصورة تامة وذلك لأن الإدارة البريطانية أوقفت ممارسة حقوقها في مجال الصحافة.

التنافس بين الجماعات السياسية

أما الظرف الثاني الذي أدي إلى ظهور الصحافة الفئوية فقد كان المناخ السياسي الذي تنـافست في ظله الجمـاعات السياسية والاحزاب المتعددة على السلطة. وقد تمكنت الصحف المنفردة من ربط نفسها بجماعات أو احزاب معينة تتعاطف معها، وحصلت بهذه الطريقة على الدعم المادي وغيره لدعم جهودها في النشر، وكان للحكومة اتصال بصحيفة أو أكثر ولكن ذلك لم يعني أنها كانت تسيطر عليها جميعاً، حيث أن العناصر المناوئة للنظام كان لها ـ ناطقون باسمها في الصحافة أيضا. وقد ظهرت بعض الصحف المستقلة خلال هذه الفترة، ولكن العديد منها كان مرتبطاً بجماعات سياسية وعرف عنها أنها افتتاحيات أو منابر دفاعية عن وجهات نظر موالية.

وقد كان هذا الوضع سائداً في مصر في الفترة الواقعة بين الحرب العالمية الاولى وعام ١٩٥٤ لأن الأحزاب والجماعات السياسية أصبحت أكثر أهمية وتكاثفت صراعاتها. ولأن توازناً لثلاثة قوى سياسية قد ظهر حينئذ وكانت هذه القوى هي ـ الملك وأحزابه؛ الوفد وهو الحزب المعارض

الفعـال الوحيد؛ والبريطانيون الذين كانوا ما زالوا يحتفظون ببعض الحقوق والامتيازات بعد معاهدة عام ١٩٣٦. وفي الواقع أن حزب الوفد قد قام باستخدام صحفه سلاحاً رئيساً للتغير السياسي إذ أنه لم يكن لدى القوميين الفرصة لمواجهة البريطانيين عسكرياً، ولذلك فقد استغلوا حرية الصحافة لنشر أفكارهم. وكانت أوسع الصحف المصرية انتشاراً «المصري» محتكرة للوفد. ولكن لم تكن أي من الصحف المصرية ثورية ولم تهدد أي منها النظام السياسي والأساسي ـ فقد سمح دستور ١٩٢٣ للحكومة بمصادرة أي صحيفة «لحماية مصالح النظام الاجتماعي»، ولكن على الرغم من كل هذا فقد كان هناك تبايناً وتنافساً لا بأس بهما في الصحافة. وقد كان بعض مالكي ومحرري الصحف أثرياء شخصياً، ولكن العديد كانوا بحاجة الى الأموال بسبب انخفاض عوائد الدعاية والتوزيع، ولهذا قبلوا معونات من جماعات ذات مصالح مختلفة غالباً ما ظهرت في الافتتاحيات وغيرها من المواضيع الإخبارية. وفيما عدا مرحلة الرقابة أيام الحرب فقد تمكنت الصحافة من انتقاد السياسات وكشف الفساد في الحكومة وعكس الفلسفات والمصالح المتباينة. وقـد وجـد أحد المراقبين في نهاية الاربعينات أن مصر تمتعت بصحافة حزبية منوعة وحيوية بالإضافة إلى بعض الصحف اليومية غير الموالية كصحيفة «الاهرام»[١٥].

وخلال مرحلة الصحافة الحزبية في سوريا (١٩٤٦ ـ ١٩٥٨) مرت البلاد بفترة تميزت بدرجة عالية من النشاط السياسي الموالي، وبتغير سريع في الحكومة، وبتنافس بين الطامحين للسلطة وانعكس كل ذلك في الصحافة. وكما قال أحد المراقبين فإن «كان يعترف بالصحافة في سوريا في كل مرة يتغير فيها النظام» في تلك الفترة[١٦]. وكان هناك الكثير من الصحف يدير كلاً منها محرر ذو اتجاهات سياسية وذو اتصالات وثيقة بحزب أو بجماعة ذات مصالح أو بعائلة ذات نفوذ أو بوزير أو حتى بسفارة أجنبية، وقام هؤلاء الراعون للصحافة بالتأثير على الكتابة بحيث خدمت مصالح مختلفة، وبهذا فإنه لم يكن «هناك شيء يمكن أن يقال عنه أنه صحافة مستقلة بالمعنى الحقيقي للكلمة»[١٧].

ومثل هذا حدث في العراق في الفترة من (١٩٣٢ ـ ١٩٦٣) إذ كان هناك مراحل من النقاش السياسي المفتوح الحيوي، وقد أبقت الصحافة نفسها الى جانب خط سياسي عريض وسعى الافراد

والاحزاب المتنافسون في مناخ سياسي غير مستقر الى دعم الصحف لتحقيق مصالحهم. وكان هناك تعاقب ملاحظ في الصحف ولكن التنويع استمر. وفي العقد الأول الذي تلا الحرب العالمية الثانية كانت نصف الصحف تقريبا تعكس آراء معارضة للحكومة. وفي الفترة من ١٩٥٨ إلى ١٩٦٣ كان هناك مناظرات موالية لا بأس بها في الصحافة، مع أن هذه المناظرة تحولت إلى اليسار في الفترة الأخيرة من حكم عبدالكريم قاسم إذ أعطي الكتاب الشيوعيون تشجيعاً رسمياً، وفي عام ١٩٦٢ كان هناك عشرون صحيفة في بغداد وحدها، ثلث هذه الصحف كان مدعوماً من الشيوعيين والباقي يتنوع في ظلاله السياسية[١٨].

وفي السودان مرت الصحافة بالمرحلة الحزبية ثلاث مرات، من ١٩٥٣ ـ ١٩٥٨، ومن ١٩٦٤ ـ ١٩٦٩، وبعد عام ١٩٨٥، بدأت المرحلة الأولى حين ازداد نشاط الأحزاب السياسية السودانية تحضيراً لانتخابات شباط ١٩٥٣ البرلمانية، وبحلول الاستقلال في عام ١٩٥٦ كان هناك ستة عشر صحيفة موالية في السودان وكان من بينها تسع صحف يومية. وقد حصل «حزب التجمع الوطني»، الذي سيطر على الحكومة، في إثر فوزه بالاغلبية في الانتخابات، حصل على تأييد صحيفتين يوميتين رئيستين في حين حصل الحزب المعارض «حزب الأمة» على تأييد صحيفة ثالثة. وقد تم قمع الصحف الحزبية تماماً خلال فترة الحكم العسكري بقيادة الجنرال إبراهيم عبود من (١٩٥٨ ـ ١٩٦٤)، ولكن أن أطيح به تم استعادة قدر من التنافس السياسي في السودان ومع هذا التنافس انتعش التباين والتنوع في الصحافة السودانية. ودام هذا الوضع التنافسي بين الأحزاب وبين الصحف حتى مجيء الجنرال جعفر النميري إلى الحكم في عام ١٩٦٩. وقد عادت الصحف الحزبية للظهور بعد الإطاحة بالنميري في عام ١٩٨٥، ولعل السودان في أواخر الثمانينات بدأت تعود إلى هذه المرحلة.

وفي الجزائر كانت المرحلة الحزبية في الصحافة قصيرة جداً لأن النظام الحزبي كان ضعيفاً جداً لدرجة أن الأحزاب لم تدم طويلاً. وقد قادت جبهة التحرير الوطنية المعركة من أجل الاستقلال عن الفرنسيين، وعندما تحقق ذلك في تموز ١٩٦٢ ظهرت مجموعة من الصحف التي عكست مصالح واهتمامات منوعة. وقد جلبت جبهة التحرير الوطنية صحيفتها الأسبوعية «المجاهد» من

تونس إلى الجزائر بعد أن أصبح ذلك ممكناً، كما عادت صحيفة "Alger Republicar" التي يدعمها الشيوعيون والتي كانت قد منعها الفرنسيون في عام ١٩٥٥، عادت للظهور. وبدأ حزب الشعب الجزائري الذي تشكل حديثاً بإصدار مطبوعاته الرسمية. وبالاضافة إلى ذلك فقد حافظت الصحيفتان المملوكتان للأوروبيين في الجزائر، Oran و Constantine على وجودها في المرحلة الانتقالية للاستقلال، وقد عكس هذه الصحافة المنوعة نقاشاً سياسياً عاماً يحتوي على انتقادات للحكومة كانت قد سمعت في البرلمان فيما كانت العناصر المتباينة التي قادت الثورة تتجادل حول السياسة، ولكن لم تظهر أحزاب أو جماعات غير حكومية قوية سوى الحزب الشيوعي. وقد قام النظام بمنع «الحزب الشيوعي» و«حزب الشعب الجزائري» المشكل حديثاً في تشرين ثاني ١٩٦٢ وأجبرت صحفهما على الإغلاق. وقد ضم البرلمان الجديد المنتخب في آب ١٩٦٣ فقط نواباً موالين للحكومة أو يتجنبون النقد العام[١٩]. وبالتالي فإنه حين أعلن الدستور، المعلن في ذلك الشهر، الجزائر دولة ذات حزب واحد، فقدت الصحافة الكثير من تنوعها.

وفي اليمن الجنوبي وليبيا مرت الصحافة بمرحلة حزبية تشبه المراحل التي وصفت سابقاً، ولكن في هاتين الدولتين كان الأساس هو التنافس بين شخصيات فردية أو جماعات غير رسمية اكثر مما هو بين أحزاب سياسية رسمية. وكان في اليمن الجنوبي في عام ١٩٥٦ صحيفة يومية عربية واحدة، ولكن بعد ذلك بعقد واحد كان هناك ثلاثة صحف يومية أخرى وأربع عشر صحيفة أسبوعية أو نصف شهرية. وقد منحتها الإدارة الاستعمارية البريطانية حرية لا بأس بها، وغطت افتتاحياتها نظاماً يتراوح بين النزعة القومية القوية والموالاة للإنجليز. وقد طور العديد من هذه الصحف علاقات وثيقة مع الفرق السياسية المتنامية أو مع مصالح خاصة تتنافس للحصول على الاهتمام فيما ذوت السلطة البريطانية. وقد دام هذا التنوع النسبي حتى الاستقلال في عام ١٩٦٧.

وفي ليبيا دامت المرحلة الحزبية للصحافة ثماني عشرة سنة (١٩٥١ ـ ١٩٦٩) على أساس الدعم من الجماعات ذات المصالح المتباينة الخاصة والحكومة التي قيدتها وإن لم تقمعها نهائياً. وقد أصدرت الحكومة صحفاً في طرابلس وبنغازي، كما وجدت الجماعات ذات المصالح الخاصة

والمختلفة المتنافسة والتي أصبحت أكثر نشاطاً بعد الاستقلال، وجدت دعماً لها في الصحافة التي أنشأت صحفاً يومية واسبوعية في هذه المدن أيضاً. وقد تضمنت افتتاحيات الصحف نطاقاً واسعاً من الآراء تراوح بين المحافظة والدينية والمناهض للشيوعية والمتعاطف مع الناصرية، كما حوت أيضاً بعض النقد للحكومة(٢١).

القيود الحكومية

أما العامل الثالث وراء الصحافة الفئوية فقد كان وجود الحكومات الوطنية غير المستعدة أو غير القادرة على فرض قيود قاسية على المطبوعات. فقد تذبذبت تدخلات الحكومة بالصحافة خلال الفترة الحزبية. وكان هناك فترات قصيرة من التدخل الحكومي ولكن النظام الحاكم لم يمتلكها ولم يحولها الى مؤسسات. وربما قام النظام باجراءات ضد صحيفة من الصحف بسحب رخصتها أو بمعاقبة محررها المسؤول ولكنها لم تغير بشكل دائم القواعد الأساسية لكل الصحف، والسبب الرئيسي وراء ذلك هو أنـه كان هناك عنصر توازن في النظام السياسي بحيث واجهت الحكومة القوى السياسية الخارجة عن سيطرتها المباشرة مما ضمن فعلاً استمرار الأصوات الناقدة للحكومة في الصحافة.

وقد قامت الحكومات، في الواقع بفرض قيود في الحالات الطارئة مثل الحرب العالمية الثانية والحرب العربية الاسرائيلية الاولى، كما قامت من حين لآخر بتقييد الصحافة لأسباب أخرى ولكن دون القضاء على طبيعتها التباينية، نهائياً(٢٢). وبشكل عام قامت الحكومات بممارسة سلطاتها القانونية كالتوقيف المؤقت للمطبوعات أو اعتقال محرر ما، واستخدمت ذلك ضد الصحف، ولكن هذه الممارسات استعملت بشكل ضئيل جداً نظراً للظروف السياسية(٢٣). وكان ما ضمن الحرية النسبيـة والتنوع الجوهري للصحافة في تلك المرحلة هو توازن القوى السياسي لفترة ما بعد الاستعمار وليس الضمانات الدستورية أو القانونية (كضمان الدستور المصري لعام ١٩٢٣ لحرية الصحافة).

المرحلة غير الحزبية

تميزت المرحلة الثالثة لتطور الصحافة بتقلص حاد في التباين بين الصحف وبإسكات للنقد وبدعم متعاظم للنظام. وبذلك تم عكس بعض الاتجاهات الرئيسية السائدة في المرحلة الثانية مع أن معظم الصحف ظلت في أيدي القطاع الخاص. وقد قدمت لهذه المرحلة مجموعة قيادية ثورية جديدة متحمسة بعد استيلائها على السلطة. وكان هناك ثلاث خطوات رئيسية أدت إلى هذا الانتقال.

انتهاء التنافس السياسي

كان أول وأهم عامل هو المنع المفاجيء لتنافس الأحزاب السياسية والجماعات ذات المصالح الخاصة من قبل القيادة الجديدة مباشرة بعد استيلائها على السلطة.

وقد كانت الجماعة الحاكمة تملك النفوذ ولكنها لم تكن بعد قد حصلت على شرعية السلطة أو ثباتها مما دعاها إلى حظر الأحزاب وذلك لتحول دون قيام أية معارضة أو تحد منظمين حقيقيين. وكان الحزب السياسي الخاص بالجماعة الحاكمة، سواء كان قد أنشيء قبل أو بعد الانقلاب، هو الحزب السياسي الوحيد القانوني في الدولة، وطبيعي بعد هذا أن تحظر الصحف الصادرة عن الاحزاب وأن يحرم أعضاء الأحزاب الخارجون عن القانون من قناة الاتصال الوحيدة التي كانوا يملكونها. وقد أثرت هذه الخطوة في زعزعة قاعدة الصحافة المنوعة المستقلة.

التدخل الحكومي المتزايد

ثانياً ، زاد النظام الحاكم من التدخل الحكومي المباشر في الصحافة بما في ذلك استخدامه للرقابة على الصحف. وقد استمرت الصحف الأهلية بالظهور ولكن الحكومة كانت تميل لاستخدام الاجراءات القانونية ضدها باستمرار وذلك لجعلها تلتزم بالخط السياسي الرئيسي.

الترويج لصحف النظام الحاكم

وثالثاً ، بدأ النظام الحاكم بالترويج لصحفه الخاصة كأقنية للاتصال والتأثير على الجماهير باتجاه أهدافه. ويدل هذان الاجراءان على أن النظام الحاكم كان مدركاً للدور السياسي للصحافة ومعنياً باستثارة دعمها، وقوياً بدرجة تتيح له أن يأخذ مثل هذه الخطوات.

فعندما استولى الضباط الأحرار على السلطة في مصر في ٢٣/ تموز ١٩٥٢، قاموا مباشرة بالقضاء على الملكية، ولكنهم قاموا، بنفس السرعة تقريباً بإنشاء ـ دار الثورة للنشر ـ الخاصة، بهم «دار التحرير» وذلك للترويج لأفكار وشخصيات القيادة الجديدة وبحلول أيلول كانت «دار التحرير» قد بدأت فعلاً بإصدار مجلة تصدر كل شهرين هي «التحرير». وكانت المجلة مناوئة للامبريالية ويسارية ثورية في لهجتها ولكنها كانت مؤيدة لمجلس قيادة الثورة وكتب العديد من أعضاء مجلس الثورة في هذه المجلة. وكان من بينهم أنور السادات وجمال عبدالناصر اللذين كانا في ذلك الوقت شخصيتين غير معروفتين نسبياً في ظل رئاسة الجنرال محمد نجيب. وفي كانون أول، قامت دار النشر باصدار أول صحيفة يومية لها «الجمهورية»، بترخيص أصدر باسم عبدالناصر(٢٤). وفي كانون ثاني ١٩٥٣ أعلن الرئيس نجيب عن تشكيل تنظيم سياسي واحد، حزب القوميين الأحرار، وحظر كافة الأحزاب والمجلات الأخرى على أساس أنها «غير منصفة للمصلحة القومية»(٢٥).

وفي الوقت نفسه قام مجلس قيادة الثورة بإجراءات مباشرة ضد بقية الصحف المؤثرة المملوكة للقطاع الأهلي. وحين أصبح الجنرال نجيب رئيساً لمصرفي أيلول ١٩٥٢. قام بتصعيد الرقابة على الصحافة. وحاول الكولونيل جمال عبدالناصر رفع الرقابة حين أصبح رئيساً للوزراء في شباط ١٩٥٤ ولكن انفجار النقد من الصحف غير المقيدة دعاه إلى إعادة فرض الرقابة بعد شهر واحد فقط من رفعها، ومنذ ذلك الوقت استعملت الرقابة بشكل دوري. وقد سمح للصحف الضيقة الانتشار والتي لم تكن ذات تأثير في الحياة السياسية المصرية مثل صحيفة "Journal

"d,Egypte بأن تظل في أيدي القطاع الأهلي.

وقد استعمل النظام أيضاً سلطة الترخيص وغيرها من الاسلحة القانونية ضد الصحف غير المتعاونة. وقد قلص إنشاء حزب سياسي وحيد كمية الجدال العام حول سياسة الحكومة ولكن ذلك أيضاً لم يكن كافياً لإرضاء مجلس قيادة الثورة. وقد كانت الصحف الثلاث «الأهرام» و«أخبار اليوم» و«المصري» أكثر شعبية وأوسع انتشاراً بكثير من صحيفة مجلس قيادة الثورة «الجمهورية»، وبلغ توزيع صحيفة «المصري» الأكثر انتشاراً أكثر من ١٢٠٠٠٠ نسخة[٢]. وكانت هذه الصحيفة تميل لعكس وجهات نظر «حزب الوفد» الذي كان قد حظر مؤخراً كما كانت تنتقد النظام وتدعو إلى حكم برلماني حقيقي. وفي عام ١٩٥٤ قامت الصحيفة بانتقاد عبدالناصر علناً بعد أن توقفت بقية الجرائد عن النقد، وقد رأت «المصري» أن عبدالناصر كان مستغلاً لحقوق الشعب (كما عرفه الوفديون بشكل أساسي). وقد هاجمت الافتتاحيات مجلس قيادة الثورة تحت عنوان «عودوا الى قواعدكم»[٢٧]. وفي نيسان ١٩٥٤ أوقف مجلس قيادة الثورة ترخيص النشر «للمصري». وبذلك توقفت أوسع صحف العالم العربي انتشاراً فجأة عن الصدور[٢٨].

وفي الوقت نفسه قام النظام باتخاذ اجراءات قانونية ضد أفراد معينين كانوا يعملون في الصحف. فقد قام مجلس قيادة الثورة بتقديم ناشر «المصري» «إخوان الفاتح» للمحاكمة أمام مجلس ثوري بتهمة «السنية للقضاء على الحكومة» «ونشر دعاية معادية» وخلاف ذلك من الأعمال ضد المصلحة الوطنية، وقد أصدر المجلس حكمه عليهم بالسجن لمدة عشرة وخمسة عشر عاماً، واستولت الحكومة على مؤسستهم التي كانت تقوم بنشر مجلات أخرى. كما قام مجلس قيادة الثورة بسجن إحسان عبدالقدوس محرر صحيفة معروفة ذات اتجاه يساري هي «روز اليوسف» لمدة عام كما حل المجلس نقابة الصحفيين واعتقلت العديد من اعضائها الذين اتهمتهم بقبول رشاوي كبيرة من عناصر شريرة[٢٩]. كما عومل آخرون بنفس الطريقة.

وهكذا كانت الاجراءات التي اتخذها مجلس قيادة الثورة خلال السنتين الاوليين في السلطة من القضاء على الأحزاب والجماعات السياسية، والرقابة وإغلاق الصحف ونقاباتها واعتقال رجال الصحافة البارزين، وفي الوقت نفسه إنشاء دار النشر الخاصة به ـ كانت ذات تأثير كبير في الحد

من أي نقد للنظام أو أي من سياساته. ومع أن مجلس قيادة الثورة لم يستولي على الرقابة المباشرة على كافة الصحف الأهلية إلا أن الاجراءات التي قام بها جعلت الصحفيين المصريين يدركون تماماً أن عليهم أن يلتزموا بحدود معينة حتى يستمروا في الكتابة والنشر.

وقد أعيد نمط مشابه لهذا في البلدان الأخرى. فحين اتحدت سوريا مع مصر في «الجمهورية العربية المتحدة» عام ١٩٥٨، ثم حظر كافة الأحزاب السياسية والصحف الصادرة عنها في سوريا وكذلك الأمر في مصر. وتم الإعلان عن «الاتحاد القومي» الذي دعمه النظام على أنه المنظمة السياسية القانونية الوحيدة.

وقامت حكومة «الجمهورية العربية المتحدة» بفرض الرقابة على الصحف في سوريا ودعمت صحفها الخاصة بها. وكما وصف أحد المراقبين، ذلك «فإن الصحافة قد أصبحت تتكلم بصوت واحد» خلال هذه الفترة وتعكس انعدام. النقاش السياسي العلني في سوريا(٣٠)، وحتى بعد الانقلاب الذي حصل في دمشق في كانون أول ١٩٦١ والذي أدى إلى انفصال سوريا عن الجمهورية العربية المتحدة، ظلت الأحزاب السياسية المتنافسة غائبة عن الساحة ولم تلعب دورها في النظام السياسي، فقد منعت الجماعة الحاكمة الجديدة التي وصلت الى السلطة بعد الانقلاب أي نشاط علني للمنظمات السياسية التي تحدث سلطتها، وهكذا فقد ظلت الصحف الحزبية غائبة عن الساحة أيضاً. وقد استمرت الأنظمة السورية بفرض الرقابة وبممارسة الدعم لصحفها الخاصة. وبعد أن أدى الانقلاب العسكري في عام ١٩٦١ إلى الانسحاب، حاولت بعض الأحزاب متابعة نشاطها السياسي ولكنها قاطعت انتخابات كانون أول. وقد تم حظر هذه الصحف بعد الانقلاب التالي في آذار. وبعد ذلك بعام واحد حصل الانقلاب البعثي في آذار ١٩٦٣. ومنذ ذلك الحين يحكم سوريا أحد أجنحة البعث.

وفي العراق أيضاً، حين استولى الكولونيل عبدالسلام عارف على السلطة في ١٨ تشرين ثاني ١٩٦٣ أسس الاتحاد الاشتراكي العربي وأعلن أنه للمنظمة السياسية القانونية الوحيدة في الدولة واضعاً بذلك حداً للصحافة الحزبية التي كانت نشيطة لمدة ثلاث عقود. بعد ذلك بخمسة أشهر أصدر نظام عارف قانون الصحافة رقم ٥٣ الذي أعطى الحكومة صلاحيات الرقابة على

المطبوعات التي تنتقد الإدارة، وإلغاء ترخيص الصحف التي تنشر «أي شيء يشكل خطراً على الجمهورية وعلى الأمن الداخلي والخارجي للدولة»[٣١].

وفي الجزائر واليمن الجنوبي تم تشكيل أول حكومة محلية مستقلة من قبل جبهة تحرير وطنية ثورية كانت قد قادت النضال لإخراج القوى الاستعمارية. فقد استولت جبهة التحرير الوطنية الجزائرية على مقاليد الحكم في صيف عام ١٩٦٢ وبحلول تشرين الثاني من ذلك العام تمكنت الجبهة من حظر حزب الشعب الجزائري والحزب الشيوعي مجبرة صحفهما الرسمية على الإغلاق. وقد أعلن الدستور الجديد في آب ١٩٦٣ رسمياً أن الجزائر دولة ذات حزب سياسي واحد، وضم البرلمان المنتخب حديثاً فقط أعضاء موالين أو أعضاء كانوا يتجنبون النقد العلني[٣٢]. وقد عكست الصحافة هذا التماثل السياسي المتزايد ولكن الحكومة استخدمت سلطات الرقابة للتعامل مع الصحف الأهلية التي كانت تحيد عن الخط. وفي الوقت نفسه قامت جبهة التحرير الوطنية بالترويج لصحيفتها الأسبوعية «المجاهد» وخلال عامي ١٩٦٢ و١٩٦٣ أصدرت ثلاث صحف يومية وعشر منشورات أخرى لكي تنشر أفكار النظام الحاكم[٣٣]. واستمر هذا النظام في ظل نظام حكم الرئيس هواري بومدين (١٩٦٥ ـ ١٩٧٨) وفي ظل حكم خليفته الرئيس الشاذلي بن جديد (١٩٧٩).

وفي اليمن الجنوبي استلمت جبهة التحرير الوطنية الحكم في تشرين الثاني ١٩٦٧ لدى انسحاب البريطانيين؛ وأنشأت جمهورية شعبية لم يسمح فيها بظهور أي تنظيم سياسي ما عدا جبهـة التحـرير الوطنية، وبالتالي فلم يكن من الممكن إصدار صحف حزبية وذلك كما ذكرت النيويورك تايمز The Newyork Times في عددها الصادر في ١ كانون أول ١٩٦٧. وقد بدأت جبهة التحرير بإصدار صحيفتها اليومية الخاصة بالإضافة إلى صحيفة أسبوعية كما فرض النظام رقابة دقيقة على الصحف الأهلية وعالج أي نقد فيها بالوسائل القانونية.

وقد مرت الصحافة في السودان وليبيا بتحول ذي طبيعة مشابهة ولكن مع بعض الاختلافات في التفاصيل.

لم يكن هناك أحزاب سياسية في ليبيا لدى استيلاء العقيد معمر القذافي وجماعته العسكرية على السلطة من الملكية في ١ أيلول ١٩٦٩، وبذلك لم يكن لديه أحزاب سياسية يقوم يمنحها ولم يكن مضطراً لتشكيل حزب سياسي خاص به، ولكن القذافي أنشأ نظام حكم مشابه للأنظمة المذكورة سابقاً ومنع ظهور أي تنظيم سياسي أو صحافة حزبية في الجمهورية الجديدة. وقد قام بإنشاء صحفية خاصة بنظام حكمه «الثورة» وذلك لشرح أفكاره ولكن هذه الصحيفة توقفت عن الظهور في كانون ثاني ١٩٧٢ وظهرت صحيفة يومية أخرى هي «الفجر الجديد» في نهاية العام نفسه واستمرت بالترويج لمصالح النظام. وقد استخدم القذافي أيضاً بعض صلاحيات الحكومة ليقلل من فعالية الصحافة الأهلية. فقد تراجعت الحكومة بحدة عن اعطاء المعونات التي كانت تعطيها الملكية للصحافة، وفي كانون ثاني ١٩٧٠ أعلنت أن صحيفة «الثورة» هي الوحيدة التي يجب أن تتلقى الإعلانات المجزية التي تلزم للوزارات الحكومية[٣٤]، مما جعل الصحف الأهلية الأخرى بما فيها الصحف اليومية المستقلة «الرائد» و«الحرية» و«الحقيقة» في وضع أسوأ. ثم في كانون ثاني ١٩٧٢ قام مجلس قيادة الثورة محاكمات «فساد في الرأي العام» نتج عنها إيقاف كل الصحف وسحب رخص نشر عشر صحف من بينها «الحرية» و«اليوم» و«الزمن» و«الفجر» و«الحقيقة». وقد استخدم مجلس قيادة الثورة الرقابة وإجراءات قانونية أخرى لتشجيع الولاء لسياساته، فعلى سبيل المثال، تطلب قانون المطبوعات الصادر في ١٧/ حزيران ١٩٧٢ أن «يؤمن مالكو الصحف بالثورة العربية ويلتزموا بأهدافها وبأهداف ومباديء الاتحاد الاشتراكي العربي[٣٥].

وفي السودان قاد الجنرال ابراهيم عبود انقلاباً عسكرياً ناجحاً في ١٧ تشرين ثاني ١٩٥٨، وقام نظامه بحظر كافة الأحزاب السياسية وصحفها الرسمية. وأصدر عبود صحيفته الخاصة «الثورة». وكانت الصحف الأهلية التي استمرت في الظهور غير موالية لحزب من الاحزاب نسبياً في محتوياتها، وتم إبقاؤها ضمن الخط المطلوب بواسطة الرقابة الحكومية التي فرضها الجنرال عبود وبواسطة التهديد بالايقاف، مما شجع الصحف على اتباع الخط السياسي الرسمي. فعلى سبيل المثال، ثم ايقاف صحيفة «النيل» أقدم صحيفة سودانية وذلك في شباط ١٩٦٠ بسبب

معارضتها لسياسة عبود[٣٦]. وحين أطاحت ثورة ١٩٦٤ بعبود وأعادت بعض الحرية الحزبية، عادت الصحافة مؤقتاً إلى المرحلة الحزبية. ولكن انقلاب الجنرال جعفر النميري في ٢٥/ ايار ١٩٦٩ أدى خلال شهر واحد إلى حظر كافة التنظيمات السياسية باستثناء «المجلس الثوري»؛ منهياً بذلك الصحافة الحزبية من جديد. وقد استخدم النميري صلاحيات الحكومة للتأثير على الصحافة الأهلية التي أصبحت أقل صراحة في التعبير من ذي قبل، ولكنه لم يؤسس صحيفته الخاصة به لتنافس الصحف الأخرى كما فعل القادة الآخرون في ظروف مشابهة.

وبهذا نرى أنه في هذه الدول جميعها تمكنت جماعة ثورية حاكمة من استخدام سلطات الحكومة لتقيد الصحافة مباشرة أكثر من الانظمة التي سبقتها، وتمكنت بواسطة حظر كافة الاحزاب والتنظيمات السياسية والمنافسة من إضعاف واحد من أهم الأسس المطلوبة لصحافة منوعة مستقلة عن الحكومة. وفي معظم الدول تمكنت الجماعة الحاكمة من مواجهة تنافس الصحافة مباشرة بإنشاء صحفها الخاصة. وبهذه الوسائل نقلت الصحافة إلى المرحلة غير الحزبية التي اتصفت بدرجة أكبر من التماثل والولاء للحكومة.

المرحلة التعبوية

في المرحلة النهائية للتطور تنتهي الملكية الأهلية للصحف وتكون كافة الصحف المهمة سياسياً تحت السيطرة المباشرة لوكيل سياسي يمثل الجماعة الحاكمة أو أعوانها. ويتوقع من كافة الصحف أن تقوم بتعبئة الجمهور لدعم النظام الحاكم. وقد تم تحقيق هذه المرحلة كلياً في العراق ومصر والسودان. هذا بالرغم من ظهور علامات تحرر في الدولتين الأخيرتين في منتصف الثمانينات إذ أصبحت الصحف الحزبية أكثر نشاطاً. أما في سوريا وليبيا واليمن الجنوبي فقد تم تحقيق وضع مشابه دون الإنهاء الرسمي لملكية الصحف الأهلية. ما هي الظروف التي أدت إلى ظهور الصحافة التعبوية.

أولاً ، أن الجماعة الحاكمة التي وصلت إلى السلطة بانقلاب عسكري أو ثورة حققت قبضة

حازمة على وسائل القمع (مثل الجيش أو الشرطة). كما أن هذه الجماعة أمضت في السلطة فترة كافية أتاحت لها القضاء على التنظيمات السياسية التي تنافست علناً للحصول على السلطة. ومع ذلك فقد كانت القيادة مدركة أن سلطتها لم تحصل بعد على الشرعية التامة ولذلك كانت حساسة لأقل نقد ولامكان ظهور الاستياء من برنامجها[٣٧].

في ظل هذا الوضع، رأت القياد في الصحافة أداةً سياسية مهمة وبالتالي كانت قلقة ونافذة الصبر لأن الصحف لم تروج بحماس وولاء لسياسات وأفكار النظام بعد، وشعرت أن الصحافة لا بد أن تلعب دورها بشكل أكثر فعالية للمساعدة في تنفيذ برامجها المهمة. وكما قال الرئيس النميري لدى إنهائه للصحافة الأهلية في السودان بعد عام واحد من استيلائه على السلطة:

«استرسلت العديد من الصحف في عملية تثمين مسار الثورة معطية تفسيرات عشوائية... وبهذا فإنها ناقضت المبادىء والأهداف المعلنة للثورة... ونتج عن التفسيرات المختلفة فوضى وقلق... وقامت بعض الصحف بتجزئة خطابات وتصريحات أدلى بها أعضاء في مجلس قيادة الثورة ووزراء... وشوهت هذه الخطابات بطباعة أجزاء منها لنقل المعنى العكسي المقصود في النص الأهلي... كما ركزت بعض الصحف بذكاء على التقليل من أهمية الإنجازات الايجابية للثورة. فينشروا على الصفحة الاولى مثلاً، تقريراً عن إتجار داخلي... ثم ينشرون في نفس الصفحة تقريراً آخر يناقض الأول للتقليل من شأنه أو لإثارة الشكوك حوله»[٣٨].

ومع أن الصحافة الحزبية المعارضة قد اختفت بالقضاء على الأحزاب السياسية إلا أن القيادة الوطنية ظلت غير راضية عن الصحف الأهلية الباقية[٣٩]. أضف الى ذلك خيبة الأمل من أن الصحف التي أنشأتها القيادة للترويج لأفكارها قد فشلت في مجاراة الصحف الأهلية القائمة نجاحاً وجماهيرية، «فالجمهورية» في مصر و«المجاهد» في الجزائر و«الثورة» في العراق و«البعث» في سوريا و«الثورة» في ليبيا و«١٤ اكتوبر» في اليمن الجنوبي كانت كلها صحف يومية تصدرتها القيادة الثورية بعد استيلائها على الحكم ولكن أياً من هذه الصحف لم تتفوق على الصحف الأهلية التي كان عليها أن تنافسها. ففي مصر مثلاً، ظلت «الجمهورية» أقل بكثير في توزيعها من «الأخبار» و«الأهرام»، وفي الجزائر كان لصحيفة "La Depecle" قراءٌ يفوق عددهم قراء

صحيفة جبهة التحرير الوطنية "Le Peuple" أربع مرات[٤٠].

وقد شعرت الجماعة الحاكمة للحاجة لصحافة موالية من أجل دفع برنامجها الثوري مقابل ما اعتقدت أنه مقاومة غير عادلة، فمثلاً يؤكد المراقبون للصحافة المصرية أهمية توقيت إعادة تنظيم الصحافة في مصر في عام ١٩٦٠ وذلك قبل عام واحد فقط من قيام الحكومة هناك بتأميم قطاعات اقتصادية هامة. إذ أن من الواضح أن نظام عبدالناصر كان مقتنعاً بأن لن يتمكن من تأميم الاقتصاد إذا ظلت الصحافة في «أيدي الرأسمالية»[٤١]. فقد رأى عبدالناصر ومعاونوه أن اصحاب الصحف رأسماليون ولا بد أن يقاموا ويعارضوا علنياً الاجراءات الاشتراكية القادمة، إذ كما بين تفسير ملحق بقانون الصحافة المصري فإن «الملكية العامة لوسائل التوجيه الاجتماعي والسياسي هي وسيلة في المجتمع الجديد لمنع السيطرة الرأسمالية على وسائل التوجيه، وتثبيت للديمقراطية وللملكية العامة لوسائل التوجيه وهي الصحافة»[٤٢].

لقد كان الانتقال الى المرحلة الرابعة في تطور الصحافة، التي تم فيها القضاء على الصحافة الأهلية، غالباً يتم بجهود قادة يؤمنون بالاشتراكية ويرون أنفسهم منخرطون في نضال من أجل المجتمع ضد المصالح الرأسمالية الراسخة. وفي الوقت ذاته التزم هؤلاء القادة بأيديولوجية قومية قوية جعلتهم يركزون على النضال ضد التأثيرات الأجنبية والإمبريالية والصهيونية.

في العراق مثلاً نصت مقدمة قرار ١٩٦٧ على أنه من الضروري القضاء على الصحافة الأهلية بسبب «المعركة الحالية التي تخوضها للأمة العربية ضد الامبريالية والصهيونية والرجعية، مما يتطلب أن تكون الصحافة العراقية موجهة بخطوط قومية سليمة لمواجهة مسؤولية المعركة، ولمنع تخلخل الصحافة... ولنشر الأفكار السليمة وإعطاء التوجيه الصحيح وتوجيه النقد البناء بشكل يحافظ على الدولة في الظروف الاستثنائية الحالية»[٤٣].

وفي السودان، أعلن الرئيس النميري أن استيلائه على الصحافة الأهلية كان ضرورياً لأن بعض الصحف كانت مجرد أدوات تخدم أهداف الامبريالية البريطانية» وأن «بعض الصحف

أصبحت طبولاً للمخربين بنشرها لتقارير ملفقة منقولة عن الصحف الإمبريالية التي شنت حرباً نفسية ضد الثورة»(٤٤).

وحين أممت الجزائر صحافتها الأهلية، أذاع راديو الجزائر الذي كانت تسيطر عليه الحكومة تعليقاً قال فيه أن هذه الخطوة من شأنها أن تنهي «الهجمات ضد بلدنا» ومدح الإجراء بقوله إنه نصر عظيم على الأقلام المأجورة والدعايات المغرضة الكاذبة والحملة النفسية القذرة»(٤٥).

إذن كان للأنظمة الحاكمة في هذه الدول سيطرة تامة على أدوات القمع وليس على على ادوات الاقناع التي رأت الأنظمة أنها كانت لا تزال بيد القوى الرجعية. وطالما كان لهذه الأنظمة برامج ثورية يجب تنفيذها، وطالما أن الصحف الأهلية لم تتعاون بشكل كاف بهذا الاتجاه، فإن الاستيلاء على هذه الصحف كان أداة سياسية مفيدة من شأنها أن تساعد في دفع أفكار النظام دون تدخل(٤٦). ولأن هذه الدول لم تكن في وقت حرب ولأن هذه الإجراءات كانت صعبة التبرير فإن، الانظمة لم تشأ أن تستخدم اجراءات رقابة واسعة(٤٧). كما أنها لم تشأ أن يبدو الأمر وكأنه فرض سلطة الدولة على الصحف. (فالمصريون مثلاً يذهبون بعيداً في قولهم بأن إعادة تنظيم الصحافة في عام ١٩٦٠ لم يكن «تأميماً» لها؛ أنظر الفصل الثاني). ولذلك فقد قامت الأنظمة بنقل الملكية من أيدي الصحافة الأهلية إلى أيدي التنظيم السياسي الحاكم الذي كان يمثل الشعب حسب ادعائهم، مع تجنب كلمة حزب في بعض الأحيان لتفادي ما تتضمنه من تمثيل ضيق(٤٨).

وفي ليبيا واليمن الجنوبي وسوريا لم تقم النخبة الحاكمة بنقل الصحافة إلى المرحلة الأخيرة بالحظر القانوني للصحافة الأهلية. بل إن الولاء والدعم الفعالين اللذين أظهرتهما الصحافة والاختفاء الفعلي للصحف الأهلية المهمة كانا كافيين لإرضاء النظام، كما أنه لم يتطلب اقراراً قانونياً. ففي ليبيا، قام النظام بإجبار آخر الصحف اليومية الأهلية على الإغلاق في عام ١٩٧٢، وكانت كافة الصحف اليومية التي ظهرت منذ ذلك الوقت هي صحف النظام، وأهمها «الفجر الجديد» و«الجهاد» و«الرأي». وكذلك الأمر في اليمن الجنوبي حيث تسيطر جبهة التحرير الوطنية

الحاكمة على الصحيفة اليومية الوحيدة التي تظهر فعلاً وهي «١٤ أكتوبر». ولأن هاتين الدولتين لم تشهدا نظاماً حزبياً متطوراً فإنهما، على عكس الدول المذكورة أعلاه، لم تضطر إلى القضاء رسمياً على الصحافة الحزبية والأهلية لتضمنا أن يكون النظام هو الوحيد صاحب الحق في النشر.

كما أن الجماعات الحاكمة في سوريا لم تتخذ الخطوة النهائية لإقرار احتكار الحكومة للصحافة قانونياً ولكن هذا في الحقيقة هو واقع الأمر. فقد تم حظر الأحزاب السورية في عام ١٩٥٨، وحين تمت إعادة الأحزاب إلى الحكومة في عام ١٩٧٠، لم تعد صحف هذه الأحزاب الى الظهـور. ولم تمثل هذه الأحزاب، بما فيها الحزب الشيوعي والحزب الاشتراكي العربي، تنـظيمـات أو جماعات معارضة حقيقية تهدد أو تتحدى بأي شكل من الأشكال السياسات الجوهرية لقيادة لحزب البعث الحاكم «بدلاً من ذلك فقد كانت أعضاء في ما سمي الجبهة الوطنية وقد اتبعت، في الواقع، توجيهات البعث في كافة القضايا المهمة. وبذلك فقد استمر الإنشاء الفعلي لصحافة تعبوية موالية تماماً ومؤيدة للنظام الذي كان قد أنشيء في عام ١٩٦٣. وبالتالي فإن الصحفي السوري يجد نفسه في وضـع مشابه عملياً لوضـع الصحفي الجزائري أو السوداني، وهو يعرف أن عليه أن يقدم دعماً ايجابياً للسياسات الجوهرية لحكومته.

وفي العراق، كما في سوريا، قام النظام في السنوات الاخيرة. بتشكيل حكومات جبهة وطنية لتشمل الأحزاب الأخرى غير حزب البعث، وهذه الأحزاب ليست أحزاب معارضة حقيقية وبالتالي فإنه لا يسمح لها بانتقاد السياسة. فقد شارك الحزب الشيوعي والحزب الكردي الديمقراطي في الجبهة الوطنية في السبعينات إذ أنهما أبدا بولاء الاتجاهات الجوهرية للبعث، وقد سمح لهذه الأحـزاب في العـراق بمتـابعة إصدار صحفها، «طريق الشعب» (صحيفة الحزب الشيوعي)، «والتآخي» (صحيفة الحزب الكردي الديمقراطي). ولكن هاتين الصحيفيتين تماماً مثل صحف حزب البعث «الثورة» وصحيفة الحكومة «الجمهورية» تصدر جميعها عن المنشأة العامة للصحافة والنشر الحكومية، وقد توقفت الصحيفة الشيوعية عن الظهور في عام ١٩٧٩ حين تم حظر الحزب، ويقـوم الحزب الكردي الآن بنشر صحيفة يومية هي «العراق». ولا تعكس هذه الصحف كلها بالإضافة إلى الصحيفة اليومية الصادرة عن الحكومة باللغة الانجليزية "Baghdad Observer"

سوى اختلافات بسيطة في الرأي السياسي أو في طريقة عرض الأخبار ولا تعكس أي اختلافات في القضايا الحساسة(٤١). ففي هذه القضايا الحساسة تكون الاحزاب الاخرى في الواقع عملاء للنظام الذي يسيطر على الصحافة من خلالهم. وبالتالي فإن محتوى الصحف الصادرة عن هذه الأحزاب هو في الواقع متشابه.

وهكذا فقد رأينا أن الصحافة في هذه الدول جميعها مرت بسلسلة مراحل أدت إلى الوضع الراهن التي أصبحت فيه تعبوية في مجال الدعم الفعال للجماعة الحاكمة، باستثناء مصر والسودان حيث تم إجراء تعديلات فيما بعد. وقد كان العاملان الرئيسان المؤثران في هذا التطور هما قوة النظام ووجود الجماعات المنظمة المعارضة القادرة على العمل علناً. وقد ظهر التنوع في الصحافة والتنافس في ما بينها في المرحلة الحزبية التي تلت رفع القيود الاستعمارية وسبقت استيلاء النظام على السيطرة على الصحافة. وخلال هذه المرحلة الحزبية نشطت أحزاب ممثلة وكان وجودها ضروريا لخلق الظروف اللازمة للتنوع في الصحافة إذ عكست بعض الصحف الآراء الحزبية المعارضة. وحيث كانت الاحزاب والجماعات التمثيلية المستقلة عن النظام ضعيفة بشكل خاص (كما في الجزائر واليمن الجنوبي مثلاً، لم تطل المرحلة الحزبية كثيراً ولم تعد للظهور حال انتهائها. أما في السودان فقد عادت الاتجاهات المتباينة في المجال السياسي الى تثبيت نفسها في منتصف الستينات عند عودة الأحزاب السياسية ومعها جاء انتعاش الصحافة المتنوعة المتنافسة مع أن التنافس الحزبي والصحفي أوقفا خلال حكم النميري ١٩٦٩ ـ ١٩٨٥.

وقد سعت هذه الأنظمة لدى ازدياد قوتها إلى خلق صحافة أكثر ولاءاً والتزاماً ودعماً وهو هدف تمكنت الأنظمة من تحقيقه خاصة بعد اختفاء الأحزاب التمثيلية عن الساحة. وأصبح التنظيم السياسي الخاص بالنظام، حزب التضامن، الوكيل المفضل للسيطرة على الصحافة.

ولم تؤدي الأحزاب التي ظهرت في سوريا والعراق فيما بعد، كمشاركين شرعيين وقانونيين في العملية السياسية، إلى ظهور صحافة منوعة في هاتين الدولتين لأن هذه الأحزاب لم تكن ممثلة

بالمعنى الصحيح ولم تمكن على خلاف جوهري في سياساتها مع الجماعة الحاكمة(٥٠). وبالمثل فإن الأحـزاب التي تم إنشاؤها في مصر في تشرين ثاني ١٩٧٦ من الأجنحة الثلاثة للاتحاد الاشتراكي العربي والتي سمح لها بإصدار صحفها الخاصة لم تخلق سياسة منوعة واضحة بين ليلة وضحاها، لأن الاختلافات السياسية بين الأحزاب ظلت ضئيلة، وكان الصحفيون ذوو الآراء المعارضة للحكومة يجدون صعوبة بالغة في نشر آراءهم (انظر الفصل الثاني). وستبقى الصحف، على الأرجح، على ما هي عليه؛ متشابهة في جوهرها السياسي ومتباينة فقط في أسلوبها طالما حافظت الأنظمة في هذه الدول على قوتها وسيطرتها على الساحة السياسية ومنعها لظهور القوى المعارضة والنقد المباشر للحكومة، وطالما استمرت هذه الانظمة في النظر إلى الصحافة على أنها عاملاً هاماً من عوامل تعبئة الجماهير. أما إذا تطورت الأنظمة في هذه الدول بشكل يسمح بظهور الأحزاب المتمثلة وبظهور الجدل العلني حول القضايا فمن الأرجح أن تظهر صحافة منوعة وناقدة وغير خاضعة لسيطرة الحكومة. وسيكون لهذه الصحافة على الاغلب مصداقية أكبر لدى القراء (مع أننا لا نملك معلوما مسحية لاثبات ذلك). ولكنها لا تظهر إلا اذا كان هناك تباين ظاهـر في المجال السياسي. وستعطي هذه الصحافة، بدورها، الجماعات المعارضة المنبر الذي تحتاجه لتحدي الجماعة الحاكمة في نظام مفتوح.

ونستطيع أن نرى هذه الديناميكية تعمل في منتصف الثمانينات في كل من مصر والسودان، ففي مصر،كما ذكر أعلاه، سمح الرئيس مبارك بعد توليه السلطة في عام ١٩٨١ للصحافة الحزبية بالظهور من جديد بحيث أصبحت بحلول عام ١٩٨٦ صحافة حيوية وقوية وبدأ النظام يظهر علامـات تباين وتعارض. وفي السودان، بعد أن خلق الرئيس النميري نظاماً سياسياً تسلطياً وصحافة تعبوية تمت الإطاحة به في نيسان ١٩٨٥ وتولى الذين خلفوه أجراء التغييرات، فقد سمح نظام «الذهب» للأحـزاب السيـاسيـة بأن تعمـل وأجريت بعد عام واحد على ذلك، انتخابات ديمقراطية، الأولى منذ ثمانية عشر عاماً. ثم قام رئيس الوزراء المنتخب الصادق المهدي بالدعوة إلى صحـافـة حرة وأوقفت صدور الصحيفتـين اليـوميتـين المملوكتين للحكومة وهما «الايام» «والصحـافة». وقد شملت الاحدى عشر صحيفة يومية، التي بدأت تتنافس فيما بينها، أربع

صحف مستقلة وسبع صحف حزبية تتراوح بين الشيوعية والبعثية والاسلامية الأصولية. وظهر التباين أيضاً في الصحف غير اليومية، ولكن الصحافة المنوعة المتباينة لن تستمر في اي من هاتين الدولتين إلا إذا استمر التباين والتنوع في النظام السياسي، وهذا ما سنراه في حينه.

الفصل الرابع

الصحافة الموالية

تقوم الصحافة في ست من الدول العربية هي الأردن وتونس والسعودية والبحرين وقطر بدور متشابه عموماً في العملية السياسية. وقد أسمينا هذا النوع من الصحافة بالموالية لأن أكثر خصائصها بروزاً هي أن هذه الصحف موالية مؤيدة للنظام الحاكم باستمرار على الرغم من أنها أهلية، وسنقوم في هذا الفصل ببحث هذه الخاصية وغيرها من الخصائص التي تميز هذا النوع من الصحافة، والعوامل التي أدت الى ظهوره في هذه الدول. وكما فعلنا في حالة الصحافة التعبوية فإننا سنقوم بالتركيز على الصحف اليومية ونبرز الخصائص المشتركة التي تنطبق على هذه الدول الست جميعها، وسنقوم أيضاً بذكرى الاختلافات عن النموذج.

ويعود تاريخ الصحف اليومية في ثلاث من هذه الدول الست إلى وقت قصير: الامارات المتحدة منذ ١٩٧٠، قطر منذ ١٩٧٥ والبحرين منذ ١٩٧٦. وقد طورت هذه الدول، قبل استقلالها في عام ١٩٧١، صحافة غير يومية ولكنها كانت محدودة جداً. ففي البحرين ظهرت صحيفة «جريدة البحرين» في الاربعينات «وصدى الأسبوع» ظهرت في ١٩٦٩ وصحيفة أسبوعية أخرى هي «المجتمع الجديد» ظهرت في عام ١٩٧٠. أما الصحيفة الأسبوعية الاولى في قطر فقد ظهرت عام ١٩٦٩ وهي "The Gulf News" وظهرت بعدها «العروبة» عام ١٩٧٠ وفي دولة الإمارات العربية التي تأسست عام ١٩٧١ ظهرت صحف أسبوعية وشهرية قبل الاستقلال بسنوات قليلة، وهذه الصحف هي «أخبار دبي» و«رأس الخيمة» و«الشروق» والخليج «والاتحاد» "Abu Dhabi News". أما الدول الثلاث الأخرى ـ الأردن وتونس والسعودية ـ فقد كان لها تجربة أطول بكثير مع الصحافة اليومية. وبالتالي فإن اكثر الامثلة والمناقشات المحددة في هذا الفصل ستكون

مأخوذة من هذه الدول، مع أن الصحافة اليومية الجديدة في الإمارات وقطر والبحرين تبدو وكأنها تتبع نفس النمط. (أنظر الجدول ٤).

الملكية الخاصة (الأهلية)

إن ملكية الصحافة في هذه الدول بشكل عام تقع في أيدي القطاع الخاص. إذ لم يسيطر عليها الوكلاء السياسيين للنظام، كما في حالة الصحافة التعبوية، كما لم تقم الدولة بتأميمها مباشرة. ومن المميزات البنيوية المهمة للصحافة في هذه الدول أنها مملوكة لأفراد أو عائلات أو جماعات، وهذا ما يميزها عن الصحافة في أماكن أخرى من العالم العربي.

وهناك استثناءات للقانون الأساسي للملكية الأهلية في هذه الدول، ولكن هذه الاستثناءات قليلة ـ ثلاث صحف يومية في تونس وثلاثة صحف من بين ثمانية في دولة الامارات العربية، وثمة أسباب خاصة لذلك. ففي تونس، يملك الحزب الدستوري الاشتراكي الحاكم صحيفتين يوميتين من بين خمسة صحف «الأمل» و "L'Action" ، فيما تملك الحكومة صحيفة ثالثة هي "La Presse" ، وأما باقي الصحف فإنها ملك لأفراد أو جماعات أهلية، ويمول الحزب الدستوري الاشتراكي كلا الصحيفتين «الأمل» و "L'Achtior" جزئياً، وتحيل أعضاؤه مراكز حساسة في كوادر تحريرها ومجالس إدارتها[1]. ويبدو أن تونس تملك صحافة تعبوية بناء على هذه الخاصة وحدها. ولكن النظام في تونس ينتج عن ظروف مختلفة عن تلك السائدة في الدول ذات الصحافة التعبوية. فقد كان للرئيس بورقيبة، الذي هيمن على الساحة السياسية التونسية منذ الاستقلال عام ١٩٥٦، اهتمام شخصي بالصحافة واتصال بها منذ السنوات الاولى من حياته السياسية في الثلاثينات. إذ قام في تلك الأيام بالكتابة لصحف حزب الدستور التي سلفت الصحف الحالية. وفي عام ١٩٣٢ أصدر بورقيبة صحيفته ذات التوجه السياسي الخاص به، "L'Action Tunisienne" ، من المفهوم إذن أنه في ظل النظام السياسي لتونس المستقلة، الذي أثر بورقيبة عليه كثيراً، كان لا بد له ان يجعل صحف حزبه تستمر في الظهور لأنه يراها جزءاً مهماً لنجاحه السياسي[2].

وتقوم الصحف الحزبية التونسية دوراً في العملية السياسية يختلف جوهرياً عن الدور الذي تقوم به الصحف التعبوية. فقد بدأت صحيفتين يوميتين حزبيتين بالظهور قبل الاستقلال بكثير واستمرتا دون انقطاع بعد وصول بورقيبة إلى السلطة. أي أنها لم تُصدرا بعد الاستقلال لمجرد مساعدة النظام الجديد على البقاء في السلطة ولكنهما قامتا منذ الايام الاولى للتنافس السياسي بجهود رجل استخدمهما بوصفه كاتباً سياسياً. والأهم من ذلك أنه باستثناء صحيفتي حزب بورقيبة اليوميتين وصحيفتي الحزب الدستوري الاسبوعيتين، ظلت الصحف الباقية بأيدي الأحزاب أو الافراد الأهليين.

والصحف اليومية المهمة الأخرى في هذه الدول الست التي لا يملكها القطاع الأهلي هي «الاتحاد» و"The Emirates News" في الإمارات العربية المتحدة. وقد أنشأت أبوظبي هاتين الصحيفتين في عام ١٩٦٩ و١٩٧٠ حين كانت لا تزال محمية تقترب من الاستقلال، وتسعى لنشر أفكار أبوظبي. وظلت الصحيفتين في أيدي الحكومة بعد الاستقلال وبعد تشكيل الإمارات العربية المتحدة عام ١٩٧١، مع أن الحكومة حولتهما إلى دار نشر شبه مستقلة وذلك لتقليل مسؤولية الحكومة عن محتوياتهما. وفي هذه الاثناء ظهر عدد آخر من الصحف في فترة ما بعد الاستقلال في الامارات العربية المتحدة، وكانت ملكية جميع هذه الصحف أهلية، صحيفة رشيد عويدي اليومية «الوحدة» (١٩٧٣)، وصحيفتا محمد سويدي الاسبوعيتين «الوثبة» و"Gulf Times" (١٩٧٤)، وصحيفة عبد الفتاح سعيد «صوت الأمة» وصحيفة رشيد عبد الله «الفجر» ١٩٧٥. بالإضافة إلى ثلاث صحف يومية أهلية في «الخليج» و"Gulf News" و"Khalij Times". أما الصحيفة الحكومية الوحيدة التي أنشئت بعد الاستقلال فهي صحيفة دبي «البيان». فالصحافة في معظمها إذن في أيد أهلية ولكنها تتلقى معونات من الحكومة(٣).

أما في الدول الأخرى، الاردن والسعودية والبحرين وقطر - فإن الصحافة اليومية كلها مملوكة لأفراد أهليين. وقد أصدرت الحكومة الأردنية صحيفتها الخاصة في عام ١٩٧١ (الرأي)

الجدول رقم ٤
الصحف اليومية الرئيسة في ست دول
(١٩٨٥ ـ ١٩٨٦)

اسم الدولة والصحيفة	التوزيع	الموقع	أول طبعة عـام
الأردن			
الرأي	٤٥٠٠٠	عمـان	١٩٧١
الدستور	٤٠٠٠٠	»	١٩٦٧
صوت الشعب	٤٠٠٠٠	»	١٩٨١
* Jordan Times	٧٠٠٠	»	١٩٧٥
تونـس			
الصـباح	٤٥٠٠٠	تونـس	١٩٥٠
* La Presse	١٥٠٠٠	»	١٩٣٩
Le Temps	٢٤٠٠٠	»	١٩٧٦
العمـل	١٥٠٠٠	»	١٩٥٧
* L'Action	١٣٥٠٠	»	١٩٣٢
السـعودية			
الجزيرة	١٢٠٠٠٠	الرياض	١٩٦٢
الرياض	١٠٠٠٠٠	»	١٩٦٥
الشرق الأوسط	١٠٠٠٠٠	جده/ لندن	١٩٧٨
المدينة	٩٠٠٠٠	جـدة	١٩٣٧
عكـاظ	٨٠٠٠٠	»	١٩٦٠
النـدوة	٥٠٠٠٠	مكـة	١٩٥٨
البـلاد	٥٠٠٠٠	جـدة	١٩٤٦
* Arab News	٥٠٠٠٠	»	١٩٧٥
اليـوم	٤٠٠٠٠	الدمـام	١٩٥٦
الجزيرة المسائية	٣٥٠٠٠	الرياض	١٩٨٢
* Saudi Gazette	٢٠٠٠٠	جـدة	١٩٧٦

تابع الجدول رقم ٤

الصحف اليومية الرئيسة في ست دول

(١٩٨٥ ـ ١٩٨٦)

اسم الدولة والصحيفة	التوزيع	الموقع	أول طبعة عام
البحرين			
أخبار الخليج	١٨٠٠٠	المنامه	١٩٧٦
Gulf Daihy News	١١٠٠٠	»	١٩٧٨
قطـر			
الريـاح	١٣٠٠٠	الدوحة	١٩٧٩
العـرب	١٣٠٠٠	الدوحة	١٩٧٩
العـرب	١٠٠٠٠	»	١٩٧٢
Gulf Times *	٧٠٠٠	»	١٩٧٨
الخليج اليوم	٤٠٠٠	»	١٩٨٥
الامارات المتحدة			
الاتحـاد	٥٠٠٠٠	أبو ظبي	١٩٦٩
Khaliy Times *	٤٥٠٠٠	دبي	١٩٧٨
الخليج	٤٠٠٠٠	الشارقة	١٩٧٠
البيـان	٣٠٠٠٠	دبي	١٩٨٠
Gulf News *	١٠٠٠٠	»	١٩٧٩
الوحـدة	١٠٠٠٠	أبو ظبي	١٩٧٣
Emirates News *	٧٠٠٠	»	١٩٧٠
الفجـر	٥٠٠٠	»	١٩٧٥

* تصدر بالانجليزية.

* تصدر بالفرنسية.

إلى جانب الصحف الأهلية الأخرى لأسباب خاصة (أنظر الاسفل)، ولكن هذا الوضع كان مؤقتاً وتم تسليم ملكية الصحيفة لأفراد أهليين في عام ١٩٧٤. وفي قطر كانت أربعة من الصحف العشر غير اليومية تملكها الحكومة ولكنها أوقفت في عام ١٩٨٦ لأسباب مالية.

محتوى الصحيفة

يتميز محتوى الصحف في هذه الدول، وخاصة فيما يتعلق بالأمور السياسية، بخصائص تشبه خصائص الصحافة التعبوية التي تم وصفها في الفصلين السابقين. فالصحافة الموالية في كل من هذه الدول تميل إلى عدم الهجوم على التوجهات الأساسية للسياسة الوطنية كما يقرها النظام، كما أنها تتجنب انتقاد الشخصيات التي تحتل مراكز القيادة العليا في الحكومة الوطنية، كما أنها تظهر تنوعاً قليلاً فيما يتعلق بمعالجة القضايا الهامة. ولكن هناك اختلافات مهمة بين الصحافة الموالية والصحافة التعبوية.

لا تقوم الصحافة الموالية، مثلها في ذلك مثل الصحافة التعبوية، بمناقشة السياسات الرئيسية للنظام أو بمهاجمة شخصيات القيادة العليا. إذ يعترف المحررون في هذه الدول بأن صحفهم تؤيد، في تعليقاتها وافتتاحياتها، الخط الرسمي وقيادة الحكومة في كافة الأمور المهمة(٤). ومع ذلك فإن الصحف الموالية قد تفتقد الخدمات الحكومية التي تراها غير فعالة، وقد تنشر أخباراً تضع مسؤولاً حكومياً معيناً في وضع سلبي، ولكن هذا لا يحدث كل يوم، كما أن النقد الموجه يعد لطيفاً حسب المعايير الغربية، إذ أنه لا يشكك بأي شكل من الأشكال بالقيادة العليا. فقد قامت الصحافة السعودية، مثلاً، بانتقاد وزارة الحج على معالجتها لأمور تتعلق بالحج السنوي، كما قامت بانتقاد مدارس الحكومة للإناث على سياستها التعليمية(٥). كما انتقدت الصحافة الأردنية المسؤولين عن نقص المياه وعن الفشل في السيطرة على التضخم(٦). ولكن معظم المعالجات الصحيفة السلبية متعلق بقضايا محلية داخلية، مع أنه من الممكن، من حين لآخر، أن تجد معالجة قضايا سياسية خارجية ذات اهمية ثانوية. فالصحافة التونسية مثلاً

لا تقوم بمناقشة سلبيات وايجابيات الصراع العربي - الاسرائيلي أو العلاقات التونسية - الأميركية ولكنها تناقش أحياناً قضايا أقل أهمية تتعلق بمسائل آسيوية أو أميركية لاتينية(٧).

وبالإضافة الى ذلك فإن لهجة الصحافة الموالية وأسلوبها يميزانها عن الصحافة العربية الأخرى. فهي تميل لأن تكون سلبية. وفي مجمل الأحوال تتجنب معالجة بعض القضايا الحرجة، وهي أبطاء في تفاعلها مع الأحداث وتميل لأن تكون أقل صراحة في تعليقاتها فهي تتجنب اللغة والآراء العدائية الثورية التي تستخدمها الصحافة التعبوية والتي يحاول فيها الكتاب تعبئة الجماهير ضد أعداء حقيقتين أو متصورين وتقود الجماهير إلى أن تنتصر لأهداف النظام، ففي حين تحافظ الصحافة الموالية على اعطاء الدعاية اللازمة لنشاطات الحكومة وإنجازاتها إلا أنها لا تستخدم في ذلك اللغة النضالية، وتكون معالجتها للأخبار مباشرة أو حتى مملة. ونادراً ما تجد تقارير مستقلة مبنية على التحقيق الدقيق(٨).

وتفتقر الصحافة الموالية في كل من هذه الدول إلى التنوع الأساسي بين صحفها كنتيجة للدعم الذي تظهره للنظام الحاكم في كافة القضايا الجوهرية. وكما قال محرر سعودي. «إن الصحف متشابهة لدرجة أنها لو أممت لما اختلف فيها أي شيء»(٩). إذ أن محتوى الصحف حول القضايا السياسية المهمة في كل دولة متشابه جداً مع أن معظم هذه الصحف يملكها أفراد أو جماعات.

ففي الأردن، مثلاً، تميل الصحيفة ذات العلاقات الأقرب مع الحكومة لأن تكون متفائلة أكثر في القضايا الداخلية والخارجية وتستجيب بسرعة اكثر للدفاع عن الأردن في وجه الانتقادات الخارجية، في حين ان الصحف الأخرى تميل إلى أن تكون متشائمة شيئاً ما وتنشر من حين لآخر أخباراً ذات مضامين تحتية سلبية ولكن دون أن تكون انتقادية بشكل مفتوح(١٠). أما في كافة المواضيع الحساسة كالمسألة الفلسطينية فإنه يمكن ملاحظة اختلافات دقيقة يمكن لمسها من اختلافات في اللغة المستخدمة، ولكن الآراء المنتقدة فعلاً لا تظهر بوضوح(١١).

وكذلك الأمر في السعودية، حيث تختلف الصحف اليومية (تسعة بالعربية واثنتان

بالانجليـزيـة) في المحتـوى فيما بينها فقط في المساحة التي تخصصها كل منها للأخبار الثانوية وغـير السيـاسيـة، مثلاً، إذا أصدر الملك تصريحاً علنياً أو قام بعمل علني، مثل القيام بزيارة أو استقبـال زائـر مهم، فإن الخبـر سيكـون الأكبـر على كافـة الصفحـات الأولى وستعالجه كافة الصحف بنـاء على الاخبـار التي تصدرها وكالة الأنباء السعودية التي تسيطر عليها[١٢] الدولة، ولكن الصحف السعـودية تختلف قليلاً في الأهمية التي تعطيها لمواضيع معينة، فبعضها يغطي أخبـار العـالم العـربي أكثـر من الأخـريـات في حين يغـطي البعض الآخر الأخبار المحلية، أو الاسـلاميـة أو الأدبيـة أو الدوليـة وغـير ذلك[١٣]. حتى في تونس، نلاحظ اختلافات ضئيلة بين الصحف التي يملكهـا الحـزب الدستـوري والصحف الأهليـة. فجمع الصحف التونسية تعمل ضمن نطاق السيـاسـة الوطنيـة وفي الأخبـار الرئيسـة تنقل الصحف عن وكالة الأنباء العربية التـونسيـة التي تسيـطر عليهـا الحكـومة. وقد تضيف الصحف الأهلية بعض التفسيرات التي يطورهـا مندوبوها. كما أن صحيفتي «الصباح» و "Le Temps" تتخذان أسلوباً أكثر عدائية. ولكن في القضايا السياسية المهمة تكون الخطوط الأساسية متشابهة تقريباً في كافة الصحف[١٤].

وينطبق هذا الأمر على الصحافة النامية في دول الخليج الصغيرة. ففي الإمارات العربية المتحـدة، هناك ثلاثة صحف يومية حكومية وخمس صحف أهلية يومية أخرى. ومع أن هذه الصحف تصدر في إمارات مختلفة وتعكس اهتمامات محلية إلى حد معين، إلا أنها جميعاً تدعم السياسات الاساسية لحكومة دولة الامارات وليس هناك اختلافات جوهرية فيما بينها. فالصحيفة الأهلية اليومية «الوحدة» لا تختلف كثيراً في محتواها عن الصحيفة الحكومية «الاتحاد» وتقوم كلاهما بتغطية نشاطات مسؤولي دولة الامارات ايجابياً. وفي البحرين، تركز صحيفة «الدعوة» الأسبوعية التي أنشئت في عام ١٩٦٥ على الأحداث القومية وتتخذ خطاً عربياً قومياً معتدلاً في القضايا السياسية الخارجية، في حين أن صحيفة «صدى الأسبوع» التي ظهرت عام ١٩٦٩، تميل إلى اليسار اكثر من «الدعوة». اما الصحيفتين اليوميتين «أخبار الخليج» و "Gulf Deily News" فإنها تختلفان في نظرتهما وذلك لأن قراء كل منهما يختلفون عن قراء الاخرى. ولكنها

جميعاً تؤيد السياسات الجوهرية الحكومية. وكذلك الأمر في قطر حيث لا يوجد اختلافات سياسية جوهرية بين مطبوعات دار العروبة للنشر («العرب» اليومية، و«العروبة» الأسبوعية)، وبين تلك الصادرة عن الناشر الرئيسي الثاني الذي يصدر صحيفتين يوميتين «الرياح» و "Gulf Times" ، مع أن الأولى كانت في عام ١٩٧٦ مؤيدة لسوريا في حين كانت الأخيرة مؤيدة للعراق. وتعد «الرياح» الصحفية الأكثر تعبيراً عن آراء، الحكومة مع أنها جميعاً تفعل ذلك.

العوامل المسؤولة عن الصحافة الموالية

إذا كانت الصحافة في هذه الدول بشكل رئيسي، في أيدي القطاع الأهلي فلماذا تكون هذه الصحف متشابهة في محتواها ومؤيدة للحكومة الى هذا الحد؟. وكيف تؤثر الحكومة على الصحافة بهذه القوة دون السيطرة عليها من خلال وكلاء موالين أو من خلال الملكية المباشرة؟ تستخدم الحكومة تأثيراً تستمده من سلطتها القانونية ومن الميزات المادية التي تكون الصحافة عرضة للتأثر بها والاضافة إلى تأثير المناخ السياسي.

تأثير الحكومة المستمد من السلطة القانونية

تتمتع الحكومات في هذه الدول بحقوق وسلطات معينة تستطيع استخدامها للتأثير على الصحافة على الرغم من أنها صحافة أهلية.

فمثلاً ينص قانون الصحافة السعودي الحالي الصادر في عام ١٩٦٣ على أن الصحافة أهلية وأن الدولة لا تملك الحق في التدخل في شؤونها إلا من أجل «المصلحة العامة». وفي هذه الحالات التي يقول القانون أنها ستحدث «نادراً» يكون للحكومة الحق في إيقاف صحيفة عن الصدور. كما يعطي القانون الحكومة تأثيراً على اختيار الموظفين في الصحف. إذ أن وزير الإعلام يملك الحق في أن يعترض على أي مرشح لمجلس إدارة اي صحيفة الذي يجب ان يتكون من خمسة عشر عضواً، وتختار الوزارة رئيس مجلس الإدارة والمحرر المسؤول من بين مجموعة من المرشحين الذين يرشحهم المجلس[١٥].

ولا تستخدم السلطة القانونية لإغلاق الصحف عند الضرورة أو للاعتراض على كبار الموظفين أو اختيارهم كثيراً، ولكن حقيقة أن هذه السلطات متوافرة يساعد على إعطاء الحكومة تأثيراً يومياً على محتوى الصحف. فمكالمة هاتفية من وزير الإعلام تكون كافية في المعتاد لأن تقنع المحرر بالتركيز على خبر معين وتجاهل خبر آخر. وإذا ما قام محرر بنشر خبر كانت تود الوزارة تجاهله يمكن للوزارة أن تغرم الصحيفة كعقاب بسيط لها وتحذير من خرق ممنوعات معينة. فقد تم تغريم صحيفة سعودية، مثلاً، لأنها اقتبست افتتاحية من صحيفة سورية تدعو إلى القضاء على المصالح «الامبريالية» في العالم العربي - وهي إشارة قد يفهم القراء أنها تعني المصالح التجارية الاميريكية في السعودية. كما عنفت الوزارة صحيفة سعودية أخرى لأنها نشرت أخباراً عن مظاهرات تدعو للثورة على الأنظمة الحاكمة، على اعتبار أن نشر خبر كهذا قد يعطي مثالاً خطراً لو فكر البعض بمحاكاته.

وفي الأردن ، يعطي قانون الصحافة الصادر في عام ١٩٥٣ والذين ادخلت عليه بعض التعديلات في عام ١٩٥٥ وعام ١٩٧٣، الحكومة السلطة لمنح تراخيص للصحف والمجلات، ولسحب الرخصة إذا ما «هددت المطبوعات الوجود القومي» أو الأمن أو اعتدت على «المبادىء الدستورية للمملكة» أو آذت «الشعور القومي» أو أساءت إلى «الأداب العامة». ويحظر القانون بشكل محدد نشر أي خبر عن الأسرة المالكة إلا بموافقتها أو نشر مقالات تسيء للدين أو تناقض الأخلاقيات العامة أو نشر معلومات عسكرية وسرية[١٧].

وقد استعملت الحكومة الأردنية هذه الصلاحيات من حين لآخر. فمثلاً، حين عبرت الصحف في آذار ١٩٦٧ عن خيبة أملها لعجز الجيش عن الرد على الغارات العسكرية الاسرائيلية عبر الحدود، أعلن رئيس الوزراء وصفي التل آنذاك أن الصحف قد «فشلت في تحمل المسؤولية المتوقعة منها» في الأزمات، ونتيجة لذلك قام بسحب رخصها كلها. ثم قامت الحكومة فيما بعد بإصدار رخص جديدة بشرط أن تندمج صحف القدس اليومية الأربعة في صحيفتين، - ظاهرياً من أجل تحسين مستوى الصحافة - ولكن هذه الخطوة كانت في الواقع محاولة للحصول على دعم أكبر للحكومة من خلال هذا التحذير[١٨]. ثم وفي صيف عام ١٩٧٠، حين تحدت حركة

الفدائيين الفلسطينيين الحكومة الأردنية بشكل خطير واستولت فعلاً على بعض المناطق في المملكة قامت الحكومة من جديد باستخدام سلطاتها القانونية ضد الصحافة. فقامت بإغلاق الصحيفتين اليوميتين «الدستور» و«الدفاع» في ١٤ حزيران، وذلك حين قامتا بنشر بيان للفدائيين على صفحاتها الأولى يحمل النظام الرجعي مسؤولية النزاع. وقد سمحت الحكومة للصحفيتين بالظهور من جديد بعد ذلك بأسبوعين إذ أنها لم تتمكن من إيقاف صحيفة الفدائيين الجديدة «الفتح» التي ظهرت بدلاً منهما وكانت أقوى في انتقادها، ولكن بعد الصراع الأخير في أيلول، توقفت صحيفة «الفتح» عن الظهور بذهاب الفدائيين وقامت الحكومة من جديد بسحب ترخيص صحيفة «الدفاع» عقاباً لها(١٩).

ونادراً ما تلجأ الحكومة الأردنية إلى هذه الوسائل، ويقيدها في ذلك، بشكل جزئي، الخوف من أن السيطرة المباشرة ستقلل من مصداقية الحكومة والصحافة في الوقت نفسه، ولكن حقيقة أن الحكومة قادرة على إغلاق صحيفة في حالة طوارىء وطنية، أو مقاضاتها أمام محكمة في أي وقت يجعل المحررين يأخذون حذرهم حين تشكو الحكومة من نشرهم لخبر معين. وكما قال أحد المسؤولين الأردنيين فإنه «في معظم الحالات تقوم الحكومة ببساطة بالتحدث مع محرر الصحيفة والطلب منه التوقف عن نشر الموضوع المزعج وغالباً ما ينجح هذا الإجراء».

وتعمل الصحافة التونسية حسب نفس القواعد الأساسية. إذ يؤكد نظام الصحافة التونسي «حرية الصحافة» ولكنه يحدد هذه الحرية عند الضرورة «لحماية المجتمع من أي شيء ضار للهدوء والأمن والنظام العام» و«لحماية الدولة والمنظمات الحكومية الدستورية مما قد يعرضها لاضطرابات داخلية أو خارجية»(٢١). وقد استخدمت الحكومة هذه الاجراءات من حين لآخر لإيقاف الصحف أو إغلاقها، ولكن هذا ليس ضرورياً في الغالب إذ أن القيادة قادرة، ببساطة، على التأثير على محتوى الصحف بمكالمة هاتفية مع محرريها إذا قاموا بنشر شيء لم يعجب القيادة والطلب منه عدم تكرار الخطأ(٢٢). وفي دولة الامارات العربية المتحدة يركز قانون الصحافة على الصحفيين معطياً الحكومة سلطة إصدار رخص مهنية لهم وإلغائها «دون إبداء الأسباب»(٢٣). وكبقية السلطات الحكومية المتعلقة بالصحافة في الدول الأخرى، فإن هذه الصلاحيات نادراً ما

تستعمل، ولكن وجود القانون يعطي أهمية كبيرة للملاحظات الشفوية التي تنقلها وزارة الإعلام للمحررين من وقت لآخر. وغالباً ما تنقل هذه الملاحظات بشكل غير رسمي وخاص، إذ أنه في مثل هذه الظروف تكفي كلمة هادئة لإعطاء النتيجة المطلوبة وبالتالي تستطيع الحكومة الامتناع عن التدخل العلني الذي قد يقلل من المصداقية.

بالإضافة إلى ذلك، تقوم الحكومات، في أوقات الطوارىء القومية، بممارسة تأثير أعظم على محتوى الصحافة - وهي قادرة على ذلك بنفس الاسلوب - وهو ان تؤكد للمحررين أن المصلحة القومية تقتضي الدعم الموالي للنظام وسياساته خلال الأزمات. وقد جعل استمرار الصراع العربي - الاسرائيلي لأكثر من ربع قرن بثورات العنف ومراحل التوتر التي صحبته، جعل هذا الوضع عادياً.

تأثير الحكومة المستمد من الميزات المالية

تملك الحكومة شيئاً آخر يساعدها بفرض تأثر عملي على محتوى الصحافة. ففي كل هذه الدول، يمثل الحكومة مصدراً رئيساً لدخل الصحف، على شكل إعلانات حكومية رسمية، واشتراكات موظفي الحكومة وفي بعض الأحيان معونات مباشرة. ولأن الحكومة تقوم بدور بالغ الأهمية في اقتصاد كافة هذه الدولة فإن العطاءات التجارية وإعلانات التوظيف والإعلانات الاخرى الصادرة باستمرار عن الوزارات وهي وافرة تشكل في الغالب أكبر مصدر لدخل الصحف اليومية(٢٤). وغالباً ما تتم مساعدة الصحف التي تواجه صعوبات مالية بمعونات مالية في نهاية العام. ولا يتم ربط الإعلانات الحكومية أو المعونات بشكل صريح بمحتوى الصحف الموالي للحكومة، وغالباً لا يكون هناك تمييز واضح في توزيع الحكومة للأموال، ولكن المحررين مدركون تماماً لما يمكن للحكومة أن تمنحهم إياه أو تحرمهم منه وبالتالي فإن التأثير العام لهذه الترتيبات المالية يكون في الغالب زيادة الميل لدى المحررين لجعل صحفهم أكثر ولاءاً للنظام(٢٥).

قابلية الصحافة للوقوع تحت التأثير

لم يكن التأثير الذي تمارسه الحكومة على الصحافة في هذه الدول ليكون بهذه القوة لو لم تكن الصحف نفسها ذات خصائص معينة تجعلها ضعيفة وقابلة للتأثر. ولأسباب متنوعة لم تطور هذه الصحف تقاليد لصحافة مستقلة أو لقاعدة مادية مستقلة لمساعدتها في تحمل ضغط الحكومة لدفعها للبقاء مؤيدة للنظام. ولا يقوم الناشرون والمحررون وغيرهم من موظفي الصحف بأعمالهم من موقف السلطة الرابعة المبنية على أخلاقيات الاستقلال والميزانية المكتفية ذاتياً، بل من موقف الضعف المؤسسي النسبي.

فالسعودية مثلاً ، اختبرت صحافة أصيلة منذ بداية القرن العشرين تقريباً ولكن خبرة هذه الصحافة بالأسلوب الحديث للصحف ووضع التقارير والتعليقات ليست كبيرة. ففي كانون اول ١٩٢٥ قامت عائلة سعود بتوحيد البلاد بإضافة المقاطعة الغربية (الحجاز) إلى المقاطعتين الوسطى والشرقية اللتين كانتا تحت سيطرتها، وقد تمتعت الحجاز قبل ذلك بصحافة حرة نسبياً لمدة سبعة عشر عاماً، ولكن كافة هذه الصحف كانت تدار من قبل مقيمين أجانب[٣٦]، ثم وخلال الخمسة عشر عاماً الاولى من الحكم السعودي ازدهرت الصحافة الحجازية في ظل قيادة المفكرين الحجازيين، ولكن محتوى الصحف كان في معظمه تقريباً أدبياً أكثر مما كان إخبارياً أو سياسياً. وحتى المجلة السعودية الرسمية «أم القرى»، وهي الآن مجلة رسمية للقوانين والقرارات، احتوت في البداية على مقالات أدبية بشكل رئيسي، وكذلك مجلتي «صوت الحجاز» و«المدينة المنورة» اللتين كانتا قد أنشئتا في الثلاثينات. وكانت جميعها تعاني من صعوبات مالية وتوقفت كلها باستثناء «أم القرى» في هذه الفترة من ١٩٤١ ـ ١٩٤٦ بسبب الحرب العالمية الثانية.

ولم تظهر صحف حقيقية إلا في أواخر الأربعينات، فحتى ذلك الوقت كانت السعودية تفتقر إلى القاعدة الاقتصادية والتعليم المدني (غير الديني)، والتجارة والاهتمام بالعالم الخارجي على نطاق يكفي لجلب الصحف الحديثة[٣٧].

وحتى في ذلك الوقت ، لم تظهر هذه الظروف إلا في المقاطعة الغربية وليس في بقية اجزاء المملكة. وأصبحت كلا الصحيفتين «صوت الحجاز» التي عادت للصدور تحت اسم «بلاد السعودية» في عام ١٩٤٦ و«المدينة» التي عادت للصدور في عام ١٩٤٧، صحيفتين يوميتين إخباريتين تصدران في جدّة، ولكن لم يكن هناك أي صحف مشابهة في أي مكان آخر في المملكة واستمر ذلك فترة من الوقت. وقد أدى تطور الاقتصاد وتحسن تسهيلات الطباعة والتوزيع وتطور الوزارات الحكومية بحاجاتها الإعلانية إلى تزايد عدد الصحف اليومية خلال الخمسينات والستينات.

ولم يقم الأفراد أو العائلات بإنشاء هذه الصحف للحصول على الثراء إذ أن الظروف الاقتصادية في ذلك الوقت لم تكن ملائمة لذلك، بل إنهم قاموا بذلك للمشاركة في الحياة العامة من خلال هذه الوسيلة، وأصبحت الاعلانات أكثر شجاعة بقيام المحررين أصحاب الصحف بانتقاد، نقائص الحكومة المختلفة. ثم قامت الحكومة السعودية في عام ١٩٦٣ بإصدار قانون جديد للصحافة نص على أن يكون مالكو الصحف جماعات سعودية وليس أفراد أو عائلات. وبالتالي فقد تداعى اعتزاز الأفراد أو العائلات بتطوير السلطة الرابعة. وتكونت الجماعات الجديدة من رجال أعمال وآخرين ممن لم يعرفوا الكثير عن الصحافة. ونظر الكثير منهم الى الصحيفة على أنها مشروع تجاري ولكنهم سرعان ما أدركوا أن الظروف الاقتصادية لم تكن مناسبة لتحقيق الارباح. ولذلك فإنهم لم يستثمروا كثيراً في الموظفين كما أنهم لم يشجعوا بحماس التقارير الممتازة. واضطر الموظفون للعمل في أعمال إضافية لكسب معاشهم وأصيب الكثير من المحررين بالإحباط من مهنتهم. وفي هذا الوضع، غالباً ما كان من الأيسر القيام بأقل ما يمكن، وذلك باصدار صحيفة اعتماداً على نسخة من الخدمة البرقية وبيانات الحكومة بدلاً من على المجازفة بمعالجة قضايا خلافية. ولم يتم أبداً تطوير إعداد تقارير معتمدة على التحقيقات وأصبح النقد في الافتتاحيات ضئيلاً(٢٨).

حتى ازدهار السعودية الذي أمن المزيد من الأموال للصحافة في نهاية السبعينات لم يغير هذا الوضع كثيراً. فمثلاً في عام ١٩٧٨ ظهرت صحيفة يومية جديدة باللغة العربية هي «الشرق

الأوسـط»، وأنشـاء ناشروها السعوديين مكاتب تحرير لها في لندن. ووظفوا صحفيين لبنانيين وفلسـطينيـين منفيـين للعمـل فيها، وقاموا بطباعتها بأحدث الوسائل الحديثة وأحضروها إلى السعـوديـة بالطائرة يومياً. ولكن هذه الصحيفة كانت سعودية من حيث أنها كانت حذرة في معالجتها للقضايا الحساسة للمملكة.

وفي البحرين وقطر والإمارات العربية المتحدة فشلت الصحافة أيضاً في أن تتطور إلى قوة مستقلة بسبب بعض الأسباب نفسها. فهذه دول أحدث وذات صحافة أحدث من تلك الموجودة في السعودية. وقد حققت استقلالها فقط في عام ١٩٧١، ولم يكن لديها الوقت الكافي لتطوير مواهب صحفية أصيلة. وبحلول عام ١٩٧٥ كان هناك خمس صحف مختلفة (من بينها اثنتان يوميتان) يصدرها خمسة مواطنين مختلفين، ولكن في أربعة من بين هذه الصحف الخمسة كان لا بد أن يشغل منصبي التحرير الاولين في كل منها مغتربون من العالم العربي[٢٩]. وكذلك الأمر بالنسبة للصحافة البحرينية والقطرية التي اعتمدت بشكل كبير على المغتربين من العالم العربي. فعلى سبيل المثال، حاول عبدالله مرضي مصدر صحيفة «صدى الأسبوع» الأسبوعية إصدار صحيفة يومية في عام ١٩٧١ ولكنها فشلت أشهر قليلة بسبب أن كادر موظفيها كان ضعيفاً. ثم قام مرضي في عام ١٩٧٦ بمحاولة ثانية بصحيفته اليومية «أخبار الخليج» ولكنه في هذه المرة انتقى كافة موظفيه تقريباً من الصحفيين المدربين من مصر، وكانت المحاولة ناجحة تماماً.

وفي الأردن، عانت الصحافة أيضاً من مشاكل تتعلق بالموظفين ولكن لأسباب مختلفة شيئاً ما. إذ أن الصحافة المحترفة كانت قد طورت على نحو جيد في فلسطين قبل الحرب العالمية الثانية، ولكن إنشاء اسرائيل في عام ١٩٤٨ أدى إلى نزوح بعض افضل المحررين والناشرين إلى الجزء الشرقي من القدس حيث استأنفوا عملهم بإصدار أوائل الصحف الأردنية اليومية[٣٠]. وكانت الصحيفتين الوحيدتين اللتين يتم إصدارهما في ذلك الوقت هما صحيفتي «النصر» «والأردن» الاسبوعيتين اللتين لم تحققا انتشاراً يذكر. وقد كانت صحيفة «الأردن» منذ تأسيسها العشرينات في يد عائلة لبنانية. وقد طورت الصحافة الأردنية ببطء قدراً من الكفاءة والاستقلال خلال الخمسة

عشر عاماً اللاحقة، إذ تم إصدار صحف جديدة وكان هناك مجال بسيط للنقد(٢١)، ولكن هذا الأساس الذي كان لا يزال هشاً اهتز بعاملين في عام ١٩٦٧ هما دمج الصحافة والحرب. الأول كان نتيجة للحادثة التي ذكرت أعلاه حين انتقدت الصحف أستجابة الجيش للغارات الاسرائيلية مما دعا الحكومة للإعلان عن عزمها على إصدار أمر تنفيذي لاعادة تنظيم الصحافة. وجاء هذا الدمج في وقت كانت فيه الحكومة واقعة تحت انتقادات متزايدة ليس داخليا فحسب بل من بعض الدول العربية ـ خاصة مصر وسوريا ـ لضعفها أمام إسرائيل(٢٢). وقد أوقفت حرب ١٩٦٧ عملية إعادة التنظيم هذه ولكن دمج العديد من الصحف في صحف جديدة حدث بعد ذلك فعلاً، أما الحرب ذاتها، التي نتج عنها احتلال اسرائيل للقدس الشرقية والضفة الغربية، فقد سببت نزوح معظم الموظفين من صحافة القدس العربية مرة أخرى إلى الشرق. وقد نتج عن هذه التغيرات ظهور صحيفتين يوميتين في عمان «الدستور» في عام ١٩٦٧ و«الدفاع» في عام ١٩٦٨(٢٣)، وسرعان ما دخلت الصحافة في الأزمة السياسية اللاحقة، وهي اصطدام النظام مع حركة الفدائيين الفلسطينيين المسلحة. وقد أوقعت هذه الأزمة ضغطاً كبيراً على الصحفيين الفلسطينيين، الذين كان الكثير من بينهم الأفضل تدريباً وكفاءة، وبتعاظم الحرب الأهلية في عام ١٩٧٠ وضعت ولاءات هؤلاء الصحفيين ومعاييرهم المهنية موضع الاختبار. وقد أحبط الكثيرون منهم حين قامت الحكومة بإغلاق صحيفة «الدفاع» لمواقفها المؤيدة للفدائيين وقيامها بإصدار صحيفة جديدة «الرأي» للمساعدة في ترويج وجهات نظر النظام(٢٤).

وكانت إحدى نتائج هذه الازمات في الصحافة الأردنية أنها أثنت العديد من الأردنيين الموهوبين عن الدخول في هذه المهنة وأنها اقنعت العديد من الصحفيين من ذوي الخبرة على مغادرة البلاد للسعي للحصول على عمل في الصحافة الناشئة في شبه الجزيرة العربية، حيث تم توظيفهم، بشكل خاص، في الإذاعة والتلفزيون اللذين تملكهما الحكومة هناك(٢٥).

وتشير حركة انتقال الموظفين المؤهلين من الأردن إلى الدول العربية الغنية بالنفط إلى مشكلة داخلية تعاني منها الصحافة الاردنية وتجعلها أكثر قابلية لتأثير الحكومة، وذلك بسبب ضعف

القاعة المالية، بالدرجة الاولى. فالسعودية ودولة الإمارات تستطيعان دفع رواتب مجزية لاجتذاب الكفاءات الإعلامية التي تفتقران إليها من الأردن، ولكن حركة المكفاءات هذه تؤثر على كافة الدول المعنية. فبسبب أن الامارات والسعودية تستطيعان استيراد العمالة الاجنبية الماهرة يصبح تدريب الصحفيين الأصليين متقهقراً وذلك لأن الحاجة لذلك أصبح أقل إلحاحاً. وفي الناحية الأخرى فقدت الأردن بعض الصحفيين ذوي الخبرة من ضمن المجموعة الصغيرة التي طورتها في السابق، وبالتالي فقد انخفض مستوى الكفاءة بشكل عام. كما أن الطلب المتزايد على إعلاميين عرب مؤهلين في مجال الإعلام الالكتروني أحدث ضغطاً إضافياً على الحجم الصغير من الكفاءات المتوافرة وسبب تحركات وتنقلات في دول عديدة.

وقد واجهت الصحافة التونسية أيضاً مشاكل تمويليه وتوظيفية أضعفت قدرتها على تحمل ضغوطات الحكومة. وبالرغم من تطور صحافة عربية أصيلة في تونس خلال فترة الحماية الفرنسية (١٨٨١ ـ ١٩٥٦) العائد بشكل رئيسي الى أن مجموعة من مثقفي الطبقة الوسطى حافظوا على صلاتهم مع العالم العربي والثقافة العربية، إلا أن الصحافة التونسية العربية كانت واقعة تحت تقييد ورقابة الفرنسيين. ومع أن بعض التونسيين قد اكتسبوا بعض المهارات الصحفية التقنية في ظل الفرنسيين الا انهم لم يطووروا خبرة إعلامية مستقلة الكثيفة ذاتياً.

وقد بدأ الرئيس بورقيبة حياته السياسية بمساعدة صحيفة موالية قام هو بتحريرها ولكن الفرنسيين قاموا بإغلاق صحيفته L'Actione Tunisienne مع باقي الصحف الوطنية في عام ١٩٣٣. وقد سمح الفرنسيون لهذه الصحف بالظهور من جديد في نهاية الثلاثينات، ولكنهم سرعان ما وضعت هذه الصحف تحت رقابة صارمة في وقت الحرب. ثم قاموا برفع هذه القيود في عام ١٩٤٧ وسمحوا بقدر معقول من الحرية للصحافة خلال فترة العلاقات الطيبة مع فرنسا. ولكن بعد عام ١٩٧١ قاموا بفرض الرقابة مجدداً بالإضافة إلى فرض قيود صارمة بما فيها حظر أجهزة الصحافة الشيوعية، من أجل معالجة الحركة القومية المتنامية. وبذلك لم يخلف الاستعمار الفرنسي الذي انتهى من عام ١٩٥٦ مناخاً حيوياً مستقلاً للصحافة التونسية.

كما لم تطور مؤسسات الصحافة لنفسها قاعدة مالية ثابتة وقوية هناك. ففي عام ١٩٦١، مثلاً، كانت الصحيفة الرائدة الناطقة باللغة الفرنسية La Depeche Tunisienne مضطرة للإغلاق لأسباب مالية، كما واجهت الصحف الأصغر صعوبات مالية أيضاً[٦]. وكان هذا عاملاً أضاف إلى قابلية وعرضية الصحافة لتأثير الحكومة.

المناخ السياسي

إن أهم عامل وراء وضع الصحافة في هذه الدول هو دون شك، المناخ السياسي الذي تعمل في ظله هذه الصحافة والذي شجع قيام صحف غير متنوعة وسلبية نوعاً ما وموالية سياسياً.

وتعكس طبيعة الصحافة حقائق الحياة السياسية في هذه الدول. فقد تطورت الصحافة في خطوط متشابهة في هذه الدول بسبب أن العوامل الرئيسية في المناخ السياسي في كل منها متشابهة إلى حد ساعد في خلق الظروف الملائمة لهذا التطور. وهناك بالطبع فروق بين هذه الأنظمة السياسية ولكن الخصائص التالية مشتركة بينها جميعاً[٣٧].

ليس هناك في كل من الأردن وتونس والسعودية والبحرين وقطر والإمارات المتحدة، برلماناً مستقلاً أو معارضة سياسية على شكل مؤسسات. وليس هناك أي معارضة علنية جوهرية. فالأردن هو الوحيد الذي يملك برلماناً ولكنه في المعتاد لا يعبر عن تعارض جوهري مع سياسة الحكومة. إذاً فإنه كما قال أحد المحررين في هذه الدول «ليس هناك معارضة في الأمة وبالتالي فليس هناك معارضة في الصحافة»[٣٨]، والناس مؤمنون بأنهم ليسوا أحراراً في أن يقولوا ما يفكرون به علناً، وبالتالي فإن المحررين بشكل عام ليسوا متلهفين على استخدام صحفهم لخرق أو حتى لاختبار هذا العرف السائد[٣٩].

والحكومة في هذه الدولة مستبدة في الأساس، يدعمها نخبة تؤيد بعض الإصلاحات ولكنها بشكل عام تفضل استمرار الوضع السياسي والاقتصادي والاجتماعي الراهن. وهذه الأنظمة

ليست أنظمة ثورية تسعى إلى تغييرات حاسمة بل إنها تطلب من الجمهور قبوله السلبي لحكمها أكثر من أي شيء آخر. وتحاول هذه الأنظمة أحياناً الترويج لتغييرات معينة مثل توسيع التعليم وتحسين الخدمات الصحية والاجتماعية والاشغال العامة بالإضافة الى الازدهار الاقتصادي المستمر. وتتوقع الأنظمة أن يعتبر أي تعليق عام على هذه الجهود عن الاستحسان ويكون الوزراء في الغالب حساسون جداً للنقد الموجه لمجالات أنشطتهم. ويأخذون هذه الانتقادات على أنها انتقادات شخصية(٤٠). ولكن المتطلب الرئيسي المتوقع من الجمهور ومن الصحافة هو غياب النقد والقبول السلبي بأي شيء يفعله النظام، ولا يسيطر الرأي العام على مجموعات النخبة الحاكمة ولكنها قد تستمزجه أحيانا(٤١) بشكل خاص، فلا النظام ولا الجمهور العام يصر ان على حق النقاش الحر العلني حول القضايا السياسية المهمة، ولذلك فليس هناك نقاش من هذا النوع في الصحف. ففي الأردن مثلاً، يشير المسؤولين في الحكومة إلى جهود القادة السياسيين غير الحكوميين وذلك لتقييد الصحافة أكثر كدليل على انعدام الاهتمام بصحافة أكثر حرية(٤٢).

ويضع هذا المناخ من الرقابة العامة ضغطاً كبيراً على محرري الصحف وكتابها ليكونوا موالين أي أن يدعموا الوضع السياسي الراهن والنظام الحاكم. وبالتالي تكون الحكومة غير مضطرة لاستخدام الرقابة لأن الصحافة مدركة للمناخ السياسي وتنظم نفسها على أسس الانسجام مع الاجماع العام السائد في مناخ الرأي(٤٣). وكما قال أحد المحررين التونسيين. «لقد وضعت النخبة الحاكمة السياسة الوطنية التونسية ويفترض من كافة الصحف تأييد هذه السياسة. وهي حرة فقط ضمن هذا الإطار. وهذا هو النظام النموذج للدولة النامية»(٤٤).

وفي الواقع ، يعتقد بعض المراقبين أن عادات الصحافة التوافقية مع الاجماع العام هي من القوة بمكان بحيث تصبح الرقابة الذاتية أقسى من المطلوب ويصبح المحررون في هذه الدول موالين أكد مما هو مطلوب منهم. وبالتالي فإنه من الصعب أن نعرف فيما إذا كان هؤلاء الصحفيون قادرين فعلاً على نقد أكثر شجاعة وصراحة للوضع الراهن مما هم قادرون عليه الآن. وعلى كل حال فإنه من الواضح أن الإجماع العام يشكل تعقيداً قوياً لحرية الصحافة في هذه الدول. وحتى لا ينسى أي صحفي هذا الأمر. تقوم الحكومة عادة بتذكير الصحافة من حين لآخر

بمسؤولياتها لدعم «المهمة الوطنية» في وقت تواجه فيه الدولة مشاكل اقتصادية وتنموية وغيرها من المشاكل العامة. وكما قال وزير الإعلام السعودي في زيارته لمكاتب إحدى الصحف السعودية اليومية الرائدة: ـ إن «الهدف المشترك» للحكومة والصحافة هو تنمية المملكة وإن الصحافيين السعوديين «مدعوون» لنشر الآراء والأفكار التي تفيد في تحقيق هذا الهدف(٤٥). وتبدو أهمية الاجماع العام في هذه الدول واضحة تماماً عند النظر إلى الفترات السابقة التي كانت فيها الحكومات والاجماع العام ضعيفين وكانت الصحف أكثر تنوعاً واستقلالاً.

ففي السعودية مثلاً ، كانت الصحافة أكثر صراحة وتنافساً حين كان الوضع السياسي أقل ثباتاً والحكومة أقل قوة. وفي الفترة من ١٩٠٩ ـ ١٩٢٥ تطورت الصحافة في المقاطعة الغربية (الحجاز) في وقت كانت فيه المنطقة تحت الحكم الهاشمي المضعضع للحسين بن علي في مكة، الذي كان يمثل السلطان العثماني البعيد، وكان عبدالعزيز آل سعود يمد نفوذه على المناطق في الشرق. وقد قامت صحيفة رائدة في الحجاز بافتقاد حكم الحسين علانية، في حين كانت هناك صحيفة أخرى في جدة تدافع عنه(٤٦). وخلال الخمسة عشر عاماً اللاحقة كان لكافة صحف الحجاز ميول سياسية مشايعة تضمنت القومية العربية والقومية الحجازية والمؤيدة للسعودية بعد استيلاء عبد العزيز آل سعود على مكة في عام ١٩٢٤. ولكن هذا الانقسام السياسي في الصحافة انتهى بعد ان استولت عائلة سعود على المقاطعة الغربية في عام ١٩٢٥. وأصبحت الحجاز أكثر استقرار لدى ضمها لمنطقة النفوذ السعودية التي امتدت لتشمل معظم أجزاء شبه الجزيرة العربية. وتحولت الصحف التي ازدهرت بعد ذلك عن المواضيع السياسية إلى الاهتمامات الأدبية(٤٧).

وقد مرت الصحافة السعودية بفترة أخرى من التنوع السياسي المحدود في أواخر الخمسينات حين مرت البلاد بأولى خطواتها نحو التحديث التي نتجت عن عائدات النفط. وقد نما الاقتصاد والادارة الحكومية بسرعة واجتذبت الصحافة النامية ـ خاصة في مركز المملكة التجاري ـ جدة ـ عدداً من الكتاب المعروفين الذين قام بعضهم بانتقاد جوانب مختلفة من جوانب الحياة العامة. وفي عام ١٩٥٧ بدأت الحكومة تعمل ضد الصحف التي نشرت افتتاحيات رأت

فيها الحكومة معارضة واضحة. فقامت بإغلاق صحيفة «الدعوة» لمهاجمتها العلنية «لارامكو» وللعائلة المالكة، كما أغلقت «الرياض» لدعوتها لتطوير أسرع للمؤسسات الديمقراطية، مثلاً. ثم في عام ١٩٥٨، حين بدأت بعض الشائعات تدور حول تنافس بين الملك سعود وولي العهد فيصل وعكست بعض أعمدة الصحف هذه الشائعات ومقارنات بين الأميرين، قامت الحكومة بإصدار قرار بدمج الصحف الأربعة في اثنتين وفي عام ١٩٦٠ منعت أربعة صحفيين بارزين من الكتابة في الصحف، وهذه خطوات عكست بوضوح العزم الرسمي على عدم السماح للنقد بالازدياد، كما ساعدت على إسكات الصراحة. وقد جلب تسلم فيصل للملك في عام ١٩٦٤ قدراً لا بأس به من الاستقرار والاجماع في السياسات السعودية التي انعكست في صحافة أكثر سكوناً

وكذلك الأمر في الأردن والبحرين حيث أصبحت الصحافة أكثر جرأة وصراحة واستقلالاً في فترات التقلبات الداخلية والضعف النسبي لسلطة الحكومة. وفي الاردن، تلازمت هذه المراحل جزئياً مع تعاظم النقد في البرلمان وتغذت منها. فقد عكست الصحافة الأردنية أثناء الحرب الأهلية في عام ١٩٧٠ التقهقر المستمر في سيطرة الدولة على الراديكاليين الفلسطينيين حين ظهرت صحيفة يومية فلسطينية معارضة للنظام «الفتح» وهاجمت النظام بقوة، في ذات الوقت الذي أعطت فيه الصحف الأخرى مساحات أكبر لأخبار وتعليقات غير مساعدة للسلطات. إذ كانت تعبر تعبيراً أميناً عن التعاطف السابق المقموع، ولكنها أيضاً كانت تحسب حساباً للقوة المتعاظمة للميليشيا الفلسطينية(٤٨). ثم حين قامت الحكومة، بالقوة، بإعادة النظام في خريف ذلك العام وقضت على التمرد الفلسطيني، اختفت الصحف الفلسطينية الراديكالية وأصبحت الأخريات أكثر تأييداً ودعماً للنظام. وفي البحرين أيضاً، شهدت المرحلة القصيرة للبرلمان المنتخب (١٩٧٣ ـ ١٩٧٧) تزايداً في صراحة الصحافة التي عكست الجدل السياسي والنقاش الذي أحدثته نشاطات البرلمان. فقد كشفت نتائج الانتخابات في عام ١٩٧٣ عن قوة يسارية وراديكالية لم يتوقعها المحافظون، وأصبحت حيوية النقاشات والمناظرات في البرلمان مصدر قلق وازعاج للحكومة. وحين قامت الحكومة بحل المجلس لفترة غير محددة في آب ١٩٧٥، انتهت النقاشات البرلمانية للقضايا الخلافية كالتشريعات الأمنية أصبحت الصحافة أكثر ليناً في محتواها.

وسـائل التوجيـه

لا يملك النـظام الحـاكم في الدول ذات نظام الصحافة الموالية وسائل التوجيه والتأثير الموجودة في النظام التعبوي والمستمدة من ملكية الوكيل السياسي للنظام الحاكم للصحافة. وبما أن ملكية الصحافة في النظام الموالي تكمن في أيدي القطاع الأهلي فإن على النظام أن يجد وسائل غير مباشرة للتأثير على موظفي الصحف. وقد سبقت الإشارة إلى هذه الطرق في هذا الفصل ولكننا سنقوم بتلخيصها هنا.

تكمن أكثر الوسائل شيوعاً في ضمان ولاء الصحف للسياسات الاساسية للنظام ولقيادته العليا في التوجيه الذاتي المتوقع المبني على أساس الحساسية للمناخ السياسي. فالصحفيون والمحررون يعرفون في المعتاد ما يتوقع النظام منهم أن يكتبوا ويلتزمون بذلك، عادة، للأسباب المشار اليها في هذا الفصل. ثانياً، إن النظام يعلن، من خلال تصرفات علنية مثل التصريحات السياسية أو تعيين الموظفين، عن الخط المطلوب. ويعتبر الصحفيون في الصحافة الأهلية هذه التصريحات، التي تصدر من خلال الاذاعة والتلفزيون الحكوميين أو النشرات الإخبارية الرسمية، يعتبرونها مهمة ويتعاملون معها على هذا الأساس، وقد تقوم الحكومة من حين لآخر بمدح صحيفة معينة «لاتزانها» و«موضوعيتها» وهي إشارة استحسان للخط الذي يلتزم به التحرير(٤٩). وثالثاً، تدير الحكومة في كافة هذه الدول وكالة أنباء وطنية تقوم باعطاء التوجيه غير المباشر للصحافة الأهلية يومياً من خلال طريقة معالجتها للأخبار وتعليقها عليها(٥٠).

رابعاً يقوم المسؤولون الحكوميون، من حين لآخر، بالاتصال المباشر مع موظفي الصحف بشكل غير رسمي لإيضاح سياسة الحكومة حول قضايا محددة ولإيضاح ما يراه النظام مهماً وحساساً وما يرغب أن يتم التركيز عليه. وأخيراً، تملك الحكومات بعض الصلاحيات القانونية التي نادراً ما تستخدمها وذلك حين ترى أنها يجب أن تتدخل مباسرة ضد صحيفة غير موالية.

والخلاصة هي أن الصحافة في الاردن والسعودية وتونس والبحرين وقطر والامارات العربية المتحدة، موالية أساساً للنظام الحاكم وغير متنوعة بالرغم من أنها غير مملوكة للحكومة. وبالرغم من أن النظام لا يسيطر على الصحافة مباشرة من خلال وكيل سياسي كما هو الحال في الصحافة التعبوية، فإنه يستثير الولاء لسياسة وقادته بسبب الظروف القانونية والمالية والسياسية، بشكل خاص، والتي تعمل الصحافة في ظلها، فالصحف في هذا النوع من النظام لا تقوم بالترويج لتغييرات ثورية كما تفعل الصحافة التعبوية، ولكنها تقوم بدلاً من ذلك بدعم الأنظمة غير الثورية التي تملك النفوذ في هذه الدول. وأما الوسائل التي تستخدمها الحكومة للتأثير على الصحافة والأسباب المؤدية لفعالية هذه الوسائل فإنها مميزة ينفرد بها النظام الموالي.

الفصل الخامس

الصحافة التعددية

ظهـر حديثـاً في العالم العربي نوع رئيسي ثالث من الأنظمة الصحفية يمكن تسميتها بالصحافة التعددية حيث ان اكثر صفاتها المميزة هي اختلاف واضح بين صحفها في المحتوى والاتجاهات السياسية الظاهرة وكذلك في اسلوبها. ويمتلك القطاع الخاص هذه الصحف التي تعكس تنوعاً في وجهات النظر. واذا كان التشابه بين صحف البلد الواحد يرجع على الاختلاف في الصحافة التعبوية أو الموالية فإن العكس هو الصحيح في الصحافة التعددية ويصعب هنا معرفة الحجم أو الوصف الدقيق لدرجة ونوعية التعدد بين هذه الصحف الا ان قارىء الصحيفة المنتظم يشاهد ذلك بسهولة.

ويعني التعدد المادي في الصحافة أن بعض الصحف على الأقل ان لم تكن جميعاً تعمل على طبع أخباراً وآراء لا تساند النظام الحاكم. ويتوفر لقارىء الصحف في هذا النظام تنوع من المعلومـات أكثـر مما يتوفر لقارىء الصحف في نظام صحفي موال او تعبوي حيث تتجه كل الصحف بشكل منتظم لدعم سياسات النظام الحاكم وقياداته وبذلك تكون الصحافة المتعددة حرة نسبياً حتى ولو كانت بعض الصحف تعزز النظام الحاكم بقوة لكون بعض الصحف مستقلة عن النظام الحاكم الى درجة ما وتوفر للقارىء معلومات وآراء اكثر كي يختار من بينها ما يراه.

ويمكن مشاهدة مثال واضح وثابت على هذا النوع من النظام الصحفي في لبنان المعاصر، وكذلك فقد طورت الكويت والمغرب انظمة صحفية تتبع نماذج مشابهة في صفات متعددة بحيث يمكن وضعها ضمن هذه الفئة العامة ولو أن لها بعض المؤهلات لان للصحف الكويتية والمغربية

ايضــاً بعض الصفات الموالية. إضافة الى ذلك وكما رأينا سابقاً في الفصل الثالث فقد مرت الصحافة في سبع دول عبر مرحلة فئوية تتصف بالتعددية والحرية الكبيرة نسبياً قبل أن تتطور الى بعد اكبر لتصبح صحافة تعبوية. ويظهر ان الصحافة المتعددة هي نوع يستطيع بل وقادر أن ينبثق في العالم العربي في اماكن وازمان متعددة.

فما هي الظروف التي يظهر هذا النظام في ظلها؟ رأينا في حالة المرحلة الفئوية للصحافة التعبوية ان هنالك ثلاث عوامل كبرى ساعدت على تطور التعددية:ـ نهاية التقييد الاستعماري، وظهـور الفئـات السيـاسيـة المتنافسة علناً، وحكومة وطنية تمارس الانضباط في التعامل مع الصحافة. إلا أن المرحلة الفئوية والتعددية المادية قد انتهت عندما انتهى التنافس بين المجموعات السياسية في تلك البلاد وعندما زادت الحكومة من تدخلها المباشر وبقوة اكثر في اعمال النشر، ويظهر ان العوامل الرئيسة في لبنان، والى درجة ما أيضاً في الكويت والمغرب هي التالية: التعددية السياسية ورعاية الصحف وموقف منضبط للنظام الحاكم تجاه الصحافة.

ونعني بالتعددية السياسية وجود مجموعات وفئات تسهل معرفتها، ذات فلسفات أو مناهج يسهل تمييزها تجاه السياسة العامة. ويمكن لهذه التعددية أن تظهر نفسها من خلال احزاب سياسية منظمة او اشكال اخرى ويمكن للجمهور ان يميز بعض الاختيارات الواضحة من بين البدائل الاجماع الوطني الاساسي. ويقيم بعض من هذه المجموعات علاقات مباشرة وغير مباشرة مع صحف معينة مما يخلق رعاية متكافلة او اجراءات ضمان وهذه (كما رأينا في الفصل الأول) ظاهرة عامة الى حد كبير في الصحافة العربية وبما أن النظام الاساسي فيه عناصر ظاهرة من التعددية فإن ذلك ينعكس في الصحافة حيث ترعى المجموعات المتنافسة صحفاً مختلفة. ومن الممكن ان يشارك النظام الحاكم في عملية الرعاية بان يكفل صحفه الا ان ذلك يتطلب انضباطاً في ممارسة السلطة الحكومية والقوة السياسية على الصحافة من أجل إنجاح هذا النهج. وتستطيع الحكومة من وقت لآخر ان تقاضي الصحافة أو أن تتخذ أي عمل آخر لكبح جماحها الا أنها لا تذهب الى حدّ توقف معه النقد كلياً أو تخلق به إتساقاً تاماً.

وإذا تفحصنا نظام الصحافة المتعددة فاننا نرى أن الظروف التي أدت الى نشوئها تختلف من بلد الى آخر حيث من الممكن وجود اسباب عدة للانضباط الحكومي والتعددية. وكذلك تختلف ايضاً درجة تنفيذ هذا النظام، فيجب ان نتفحص الحالات المنفردة لفهم ديناميكية النظام. وسنتناول لبنان أولاً حيث ان الصحافة اللبنانية قد اقتربت اكثر من غيرها نحو هذا النموذج واحتفظت بهذه الصفات لاكبر فترة ممكنة من الزمن. فالحرب الأهلية اللبنانية التي بدأت في ربيع عام ١٩٧٥ قد هدأت الى حد ما في نهاية عام ١٩٧٦.

إلا أنها استمرت بشكل متقطع حتى الثمانينات مهددة بتدمير كلي للقاعدة السياسية التي عملت الصحافة من خلالها لاكثر من ثلاثين عاماً. ولو حدث ذلك لتغير النظام الصحفي كذلك. إلا ان بنية الصحافة الاساسية بقيت على حالها بعد اشهر عديدة من النزاع وقتل الأخ لأخيه. وسنتناول باختصار النمط الكويتي والمغربي بعد مناقشة تلك البنية.

الصحافة اللبنانية

يتفوق عدد الصحف في لبنان عليه في أي بلد عربي آخر، ففيه اكثر من ٤٠٠ تصريح ساري المفعول لنشر دوريات بالرغم من ان عدد السكان يبلغ ثلاث ملايين نسمة فقط. وتشمل هذه التصاريح ما يقارب الخمسين للصحف اليومية وخمساً واربعين للدوريات الاسبوعية السياسية. ولا تظهر كل هذه المنشورات في جميع الأوقات ـ ففي عام ١٩٨٠ ظهرت خمس عشرة صحيفة بشكل منتظم الا ان هذا قد انخفض في اوقات الاضطرابات الأهلية. وتختلف نوعية الصحف كثيراً، حيث يمكن ان يكون القليل منها من أفضل الصحف في العالم العربي بينما يعتبر البعض الاخر من اسوأها نوعية واكثرها عدم مسؤولية وبذاءه مقارنة بأي صحف في أي مكان. فبينما يقل عدد النسخ المباعة من صحيفة ما ويعد بالمئات فان صحفاً اخرى تعتبر واسعة الانتشار داخلياً وخارجياً. وتعتبر نسبة المتعلمين في لبنان من اعلاها في اي بلد عربي آخر وقد قدر عدد قارئي الصحف اليومية بشكل منتظم بثلاثة ارباع عدد السكان البالغين اضافة الى ذلك فان لبنان يقوم بتصدير نسبة كبيرة من صحفه الى بلاد عربية اخرى. ويبلغ عدد الصحف اليومية

التي تقرأ خارج لبنان اكثر من ٢٠ صحيفة في الفترات العادية كما أن سبع او ثماني صحف كانت توزع اعداداً للخارج تفوق الاعداد الموزعة داخل لبنان[١].

ليست الصحف اللبنانية عديدة فحسب وانما وباعتبارها وحدة متكاملة فانها تقدم للقراء اكثر الاراء تنوعاً وأكمل مجموعة من المعلومات عن موضوع ما من اي صحافة عربية. ونستطيع ان نجد كل التيارات البارزة للفكر العربي ممثلة في الصحافة اللبنانية. ويعتقد قراء الصحافة اللبنانية ان منظم المنشورات ذات المضمون السياسي لها تحيز سياسي باتجاه او بآخر يمكن معرفته من اختيار الاخبار وكذلك من الافتتاحيات.

ويعزو قراء الصحف اللبنانية هذا التحيز الى تفاهم سري من نوع ما بين محرري الصحيفة وفئة سياسية لبنانية معينة و/او مجموعات اجنبية. ويستدلون على هذا التفاهم السري من خلال مضمـون الصحيفة حيث ان القاعدة هي عدم اعتراف المحررين بوجود هذه العلاقات ويتهم المحررون فعلاً بعضهم بعضاً باستلام دعم مالي سري او منافع اخرى من الظهير السياسي لقاء المساندة التي تقدمها الصحيفة. وكما قال احد المحررين «مع وجود العديد من الصحف في بيروت لا بد من الحصول على مساعدة مالية للبقاء على قيد الحياة» وكرر الوصف الشائع بأن الصحف لا يمكن شراؤها إلا أنها مأجورة.

وينكر المحرر النموذجي انه ينحاز بصحيفته لقاء مساعدة مالية. وعندما أعلن وزير المعارف مثلاً ان «كل صحفنا وصحفيينا يمكن ان يشتروا ويباعوا ويؤجروا» شعر رئيس نقابة الصحافيين اللبنانية انه مضطر للرد بهجوم قوي على الوزير دفاعا عن الصحافة اللبنانية ـ ولكن دون ان ينكر التهمة[٢] الموجهة للصحافة.

لا شك ان رعاية الصحافة موجودة في لبنان لاغراض سياسية بالرغم من استحالة معرفة مدى هذه العلاقات او دقة طبيعتها. ففي بعض الحالات يمكن معرفة ميول افتتاحيات صحيفة

ما من خلال الموقف الشخصي للناشر وفلسفته بصفة رئيسية ومن علاقاته الخارجية والدعم المالي بصفة ثانوية أو هامشية.

وحقق قليل من الصحف مثل النهار وقرينتها الصادرة باللغة الفرنسية "L'Orient - Le-jour" تنوعاً وتوازناً من صفحاتها بحيث يصعب على المراقب ان يكتشف تحيزاً ظاهراً فيها حتى ان البعض يسمونها بالصحف الموضوعية وتغير صحف اخرى اتجاهها السياسي احياناً بحيث يصعب وضعها بغير الفئة الانتهازية. ويشير الجدول رقم ٥ لغرض التوضيح وبشكل بسيط الى تنوع الميول السياسية التي لاحظها القراء في الصحف اليومية اللبنانية البارزة عام ١٩٧٥. ويعتقد المراقبون بشكل عام انه يمكن لهم ان يتبينوا الميول السياسية في الصحف اليومية على ثلاث مستويات: السياسة الوطنية، والانتماء الديني والسياسة الاقليمية بما فيها القضية العربية الاسرائيليـة وكـذلك العلاقات الدولية. ويورد الجدول واحداً وعشرين صحيفة مما يزيد توزيع اعدادها على غيرها من الصحف اللبنانية التي كانت تظهر بانتظام قبل الحرب الاهلية مباشرة مع تقـديـرات لاعدادها الموزعة مع تعليق مبسط يشير الى الاتجاه الذي يلاحظه[٤] القراء في الصحيفة بشكل عام.

وقد تسببت الحرب الأهلية اللبنانية خلال عام ١٩٧٥ وعام ١٩٧٦ بتعديل جدول الصحف البارزة واتجاهاتها السياسية نوعا ما إلا ان العملية الاساسية لوجود طيف عريض من الاراء والرعاية ـ أو الادعاء بالرعاية ـ من قبل مجموعات مختلفة قد بقيت صفة رئيسة للصحافة اللبنانية.

وقد افترض قراء الصحافة اللبنانية مثلاً أن صحف النداء، الشرق، السفير والكفاح كانت لها علاقات ـ ومن المحتمل انها تسلمت دعماً مالياً من ـ روسيا وسورية وليبيا والعراق على التوالي. كذلك كان يعتقد ان صحيفة الحياة تتمتع بالدعم السعودي واللبناني المحافظ. واعتقد القراء انه لا بد من وجود نوع من الدعم المالي الوطني اللبناني لصحيفة الأمل والجريدة. بينما ساند الفلسطينيون والقوميون العرب صحيفة المحرر واللواء أو صحيفة الأنوار وصوت العروبة الأكثر

جدول رقم ٥

الصحف اليومية اللبنانية البارزة (١٩٧٥)

الاسم	العدد المقدر من النسخ المتداولة	تاريخ ابتداء النشر	مجموع القراء والاتجاه الغالب الديني	السياسي
النهار	٥٥ ٠٠٠	١٩٣٣	مسيحية ارثوذكسية	مستقلة واحيانا غربية
الانوار	٤٠ ٠٠٠	١١٩٩	مسيحية ارثوذكسية	وطنية عربية معتدلة مؤيدة للقاهرة
المحرر	٣٥ ٠٠٠		مسلمة سنية	تتسم بالرفض، وطنية راديكالية عربية، مناوئة الغرب والولايات المتحدة والقاهرة
الحياة	١٨ ٠٠٠	١٩٤٦	شيعية	مستقلة، محافظة، فلسطينية معتدلة، مؤيدة للسعودية
L'Orient - Lejour	١٨ ٠٠٠	١٩٢٤ (١٩٣٤)		مستقلة، وعموماً مؤيدة للغرب
لسان الحال	٨ ٠٠٠	١٨٧٧	مسيحية ارثوذكسية مسيحية معتدلة	مؤيدة للغرب
الأمل	٧ ٠٠٠	١٩٣٨	مارونية	لسان حال حزب الكتائب. وطنية لبنانية، مؤيدة للغرب، مناوئة للشيوعية
دايلي ستار	٦ ٠٠٠		شيعية	مؤيدة للغرب بشكل عام، الا انها ايضا مؤيدة للفلسطينيين.
البيرق	٤ ٥٠٠	١٩٥٥	مارونية	انتهازية مستقلة، مسيحية يمينية
الجريدة	٤ ٠٠٠	١٩٥٣	مسيحية كاثوليكية	معتدلة، محافظة، وطنية لبنانية
نداء الوطن	٣ ٠٠٠		مارونية	مارونية معتدلة، مؤيدة للسعودية، مؤيدة للغرب
النداء	٢ ٠٠٠	١٩٤٩	شيعية	لسان حال الحزب الشيوعي، مؤيدة لموسكو
الصفاء*	٢ ٠٠٠		مسيحية كاثوليكية	مستقلة
اللواء	٢ ٠٠٠	١٩٣٩	مسلمة سنية	وطنية عربية راديكالية، تتسم بالرفض

الشـــرق	٣٠٠٠	١٩٣٨	مسلمة سنية	منـاوئـة للغـرب، مناوئة للولايات المتحدة، مؤيدة لسوريا
اليـــوم	٢٥٠٠	١٩٣٨	سـنية	وطنيـة عربيـة معتـدلة، مؤيـدة للقاهرة، منوئة للغرب
السـفير	٢٥٠٠	١٩٧٤		وطنيـة عربيـة راديكـالية، منوئة للغرب، تتسم بالرفض، مؤيدة لليبيا
الكفــاح	٢٠٠٠	١٩٥٠		مؤيدة للعراق
الشـعب	١٥٠٠		مسلمة سنيه	يسارية، مؤيدة لموسكو
لوسوار+	١٥٠٠	١٩٤٧	ارمنية ارثوذكسية	مستقلة، بشكل عام مؤيدة للغرب
صوت العروبة	١٠٠٠		مسلمة سنية	لسانه حال حزب النجادة، عربية وطنية معتدلة، مناوئة للغرب عموما

* تصدر بالفرنسية

+ تصدر بالانكليزية

اعتدالاً. ومع ذلك فان وضع بعض الصحف ضمن فئة معينة لهو أمر اكثر صعوبة حيث انها اظهرت ميولاً مختلطة. فكانت احياناً صحف Daily Star والجريدة التي توقفت حالياً ذات ميول عربية في المسائل الدولية إلا أن بعض محرري الاعمدة في الصحيفة كانوا ينتقدون الولايات المتحدة بشدة وخاصة فيما يتعلق بالقضية العربية الاسرائيلية.

وتغطي المنشورات الاسبوعية الاخرى التي ظهرت قبل الحرب الاهلية او التي اجتازت الحرب أو ظهرت بعدها نفس الطيف العريض من الاتجاهات السياسية الذي تغطيه هذه الصحف اليومية. فكانت المنافسة والصراع البياني بينهما شديدا وحيوياً كما كان كذلك النقد والدفاع عن سياسات الحكومة وقادتها.

وتطور هذا النوع من الصحافة في لبنان بسبب الظروف السياسية الخاصة في ذلك البلد والطريقة التي انبثقت منها الصحافة عبر السنين. فما هي هذه الظروف؟

تطور رعاية الصحف وتعدديتها

بدأت الصحافة اليومية اللبنانية في منتصف القرن التاسع عشر عندما كان الاقليم تحت الحكم العثماني. وبالرغم عن ظهور الصحف في مصر في وقت سابق الا ان بيروت تحتفظ باطول تاريخ صحفي مستمر. حيث تركزت فيها الصحف بشكل اكبر منذ البداية يسبب تأكيدها المبكر على التعليم. فقد بدأت اول صحيفة عربية في بيروت عام ١٨٧٣ كما ظهرت هنالك اربعون صحيفة ودورية اخرى بين الاعوام من ١٨٧٠ ـ ١٩٠٠.

وكانت الصحف الأولى خاصة بصفوة القوم يكتب فيها ويقرأها المفكرون الذين ادت بهم افكارهم التحررية احيانا الى الحرج مع السلطات العثمانية. وقد تأثروا بالافكار والصحافة الغربية وخاصة الفرنسية وكانت منشوراتهم ـ بالفرنسية والعربية ـ احياناً تشابه الصحف(٥) الفرنسية المعاصرة لهم.

وادت المراقبة الدورية الشديدة للصحافة وخاصة ابان حكم السلطان عبدالحميد (١٨٧٦

ـ ١٩٠٩) الى هروب بعض الصحفيين الى مصر حيث كان من الممكن تأسيس صحف بدرجة أقل من التقييد. إلا أن الصحف اللبنانية استطاعت ان تلعب دوراً محددا في الحركة الوطنية العربيـة بعـد قانون الصحافة لعام ١٩٠٩ الاكثر تحررا. الا ان الحكومة استمرت بمراقبة نشاطاتها. فكان من بين الزعماء العرب الواحد والثلاثين الذين اعدموا في بيروت ودمشق في ايار ١٩١٦ لمطالبتهم بالاستقلال واثارتهم الرأي العام ست عشر صحفياً[٦].

وقد ازداد عدد الصحف واصبح العديد منها منهمكاً في السياسة تحت الانتداب الفرنسي (١٩٢٠ ـ ١٩٤١) بالرغم من ان الفرنسيين حافظوا على بل شددوا الضوابط على الصحافة. وبحلول العام ١٩٢٩ كان هنالك العديد من الصحف في لبنان وتعرض بعض المحررين لخطر التوقيف والغرامات أو السجن بسبب دعوتهم للاستقلال في افتتاحياتهم وقد اوقفت الحكومة مثلاً احدى الصحف اليومية البارزة خمس عشرة مرة ما بين عام ١٩٣٣ وعام ١٩٣٩ بسبب انتقادها حكم الانتداب وحملاتها الداعية لحكومة دستورية[٧].

وقد اصبح لبنان مستقلاً بشكل اساسي في العام ١٩٤٣، الا ان فرنسا احتفظت في الواقع ببعض السلطات ولم يتم تسليم صلاحيـة تنـظيم الصحافة للبنانيين حتى العام ١٩٤٦ عند انسحاب الجيوش الفرنسية نهائياً. وتم تأسيس النظام السياسي اللبناني الحديث الاستقلال على توازن دقيق بين فرق متعددة ذات مصالح تم المحافظة عليها لهذا اليوم ويشكل اساساً لنظام الصحافة. وقد كان لبنان على الدوام مأوى للأقليات وخاصة الطوائف الدينية التي حافظت على استقلالها الذاتي وتنافست احياناً بشدة مع بعضها البعض.

ولقد أبرمت اتفاقية عام ١٩٤٣ غير المكتوبة والمعروفة الآن باسم الميثاق الوطني بين الزعماء البارزين المسلمين والمسيحيين. وقبلت جميع الفئات التعايش السلمي كامر واقع مما كان يعني من بين اشيـاء اخـرى تخصيصـاً متناسباً للوظائف السياسية العالمية على اساس العضوية الفئوية... ولا يقتصر ميزان التنافس الذي يشكل اساساً لنظام الحكم اللبناني على الطائفية فحسب وانما يتعداه كذلك الى الفرق الايديولوجية الطائفية، والاجتماعية والاقتصادية والجغرافية والشخصية والعائلية وبذلك فلم تكن الديمقراطية اللبنانية هي «حكم العامة» وانما ببساطة توزيع

الضمـانات لوسائل الدفاع عن الحد الادنى من مصالحها للفرق المعروفة والتي تتعايش مع بعضها البعض في البلاد.

وتعكس الصحافة اللبنانية هذه الانقسامات المتضاربة. اضافة الى ذلك فان الاختلاف بين المسؤولين السياسيين نتيجة الانشقاق والحاجة الى حكومة ائتلافية ادى الى ضعف الدولة نسبياً امام الفرق ذات المصالح المنظمة. ويوفر النظام اللبناني فرصاً «مفتوحة نسبياً للمشاركة لكل من يرغب في ذلك»(٩). وفي مثل هذه البيئة تكاثرت الصحف واصبح العديد منها سياسياً الى درجة عالية وكان معظمها يعكس مصالح فرق أو احزاب خاصة. وكما ذكر احد رؤساء التحرير انه «يوجد عدد كبير من التأثيرات المتنافسة على الصحافة بحيث تبقى هذه حرة»، واعلن محرر بارز آخر باعتزاز في السنوات التي سبقت الحرب الأهلية ان رسالة لبنان الى العالم هي الحوار الدائم وكانت الصحافة تحمل هذه الرسالة بشكل واسع. وقد كانت الصحف احيانا تختلف مع الحكومة ولكن الحكومة لم تكن قادرة على تخفيض مستوى الخلاف او التعددية بشكل ملحوظ خلافاً لمعظم الدول العربية.

وتمتعت الصحافة اللبنانية بقوة نسبية منذ بداية العهد الحديث، ففضحت فساد اول نظام حكم بعد الاستقلال واتهمت الحكومة بالتلاعب في انتخابات عام ١٩٤٧. فكانت ردة فعل الحكومة فرض المزيد من القيود على الصحافة عام ١٩٤٨. إلا ان الصحافة عارضت ذلك فاوقفت الحكومة سبعاً من الصحف المتذمرة في يوم واحد مما حدا بنقابة الصحف للدعوة الى اضراب عام ومقاطعة اخبار الحكومة(١١).

ولعبت الحملة الصحفية المستمرة من قبل عدد من الصحف عام ١٩٥٢ دوراً بارزاً بتركيز الاستياء الشعبي الى درجة ادت الى استقالة الرئيس بشارة الخوري في سبتمبر. فقد ذكرت صحيفة الانباء المؤيدة للاشتراكية في افتتاحية لها في يونيو (حزيران) تحت عنوان «جلبهم الاجانب فليطردهم الشعب» ان العناصر الاجنبية هي التي وضعت بشارة الخوري في الحكم: وكانت ردة فعل الحكومة على ذلك توقيف الحصحيفة لمدة ثماني اشهر وسجن محررها لمدة اربعة عشر شهراً. وانضمت ثماني صحف اخرى الى الهجوم واعادت نشر الافتتاحية المهينة «كقصة اخبارية» الا

ان الحكـومة اتخذت اجراءات بحقها كذلك، وبحلول نهاية شهر يوليو تم توقيف ثلاث عشرة صحيفة. وتجمعت الصحف في هذا الوقت لتشكيل نقابة لحماية وتنظيم نفسها واعلنت في مرحلة ما اضراب تعاطف للاحتجاج على اجراءات الحكومة وحجبت الصحف كاملة لعدة أيام(١٢).

إلا ان الحكومة الجديدة التي تسلمت زمام الحكم في سبتمبر ١٩٥٢ كانت ممتنة للصحافة فأقرت قانون مطبوعات اكثر تحررا مما ادى الى رفع الجزء الاكبر من القيود في اكتوبر. ومع ذلك فلم يتوقف انتقاد المحررين. بل في الواقع ازدادت قوة الصحافة خلال الخمسينات وخاصة حينما عرف الساسة والفرق قيمة التحالف مع الصحف في معاركهم. وبازدياد اهمية الصحف ازداد عددها زيادة مطردة حتى اصبحت صحف بيروت وحدها وبمدة وجيزة اكثر من خمسين صحيفة يومية ومعظم هذه الصحف «كان يزدهر على الاخبار المثيرة فيما كان تحت رعاية الزعماء والفرق المختلفة.

وطالبت نقابة الصحافة بنفسها وضع حد لهذا التوسع وجاء المرسوم التشريعي في ابريل ١٩٥٣ ليضع معايير دنيا ويحدد سقفاً لعدد الصحف(١٣).

وقد كانت الحكومة تتدخل من وقت لآخر بالرغم من بعض الانضباط الذاتي لتمارس الضبط المباشر على الصحافة، وقامت الحكومة بتوقيف صحف عديدة للمعارضة خلال الحرب الاهلية عام ١٩٥٨ ـ وتحدت صحيفتان حينذاك الخطر ونشرت صحفها في حي البسطة ببيروت الذي كان بيد المتمردين ـ كما استعملت سلطتها لمراقبة مواد معينة في الصحافة. ولكن حتى مع فرض الرقابة فان الصحف اللبنانية عادة ما تظهر استقلاليتها وذلك بترك فراغات في الصحيفة للاشارة الى القراء بأنه قد فرض حظر على الصحيفة ـ وهذا ممارسة غير مسموح بها عموما في اي مكان آخر من العالم العربي.

وأدت حدة الأزمـة عام ١٩٥٨ الى قيام الحكومة بحظر على استيراد بعض المنشورات الاجنبية وخاصة المصرية والسورية وقامت السلطات في مناسبات قليلة بتوقيف بعض الاعداد من هذه الصحف بالرغم من عدم وجود اي حظر كقاعدة عامة ويمكن وجود اية منشورات أجنبية

في بيروت(١٤).

ويبقى قانون الصحافة اللبنانية لعام ١٩٦٢ سارياً مع بعض التعديلات. ويمنع القانون نشر «الاخبار التي تعرض الامن الوطني أو الوحدة أو حدود الدولة للخطر او التي تحط من قدر زعيم دولة أجنبية» واتجهت الصحافة اللبنانية عبر السنين الى ترجمة هذه القواعد ببعض من التحرر كما نزعت الى التقيد بها. وعمل قانون عام ١٩٦٢ على دعم نقابة اصحاب الصحف ونقابتي الكتاب حيث كان يوفر هيئة تنظيم ذاتي. ولم تجد الحكومة عادة ضرورة للتدخل المباشر حيث كانت نقابات الصحافة فعلاً تقوم بعملها جيداً(١٥) وساعد هذا القانون على تعزيز «درجة عالية من الحرية» في الصحافة ويفتخر المحررون اللبنانيون بممارستهم للنظام الذاتي مما كان يؤدي عادة الى الغاء الرقابة(١٦) الحكومية. وعندما كانت تفشل الصحافة بتنظيم نفسها كانت تتدخل الحكومة أحيانا متبعة الاجراءات القضائية التي نص عليها القانون وقد ألغي تعديل قانون الصحافة لعام ١٩٧٤ التوقيف الوقائي للصحفيين وجعل المحاكم المدنية مسؤولة عن البيت في الانتهاكات الصحفية وكانت قبل ذلك محكمة صحافية خاصة تتمتع بسلطة البت في الانتهاكات الصحفية. وكانت تصدر هذه المحاكم من وقت لآخر احكاماً بالسجن او الغرامة إما للتشهير بالجيش أو زعيم دولة اجنبية او كشف اسرار عسكرية احيانا ومن الممكن في هذه المناسبات ان تطلب(١٧) الحكومة الى صحيفة ما التوقف عن نشر مادة معينة لأن ذلك يعرض الامن الوطني للخطر. وفي مثل هذه الحالة كانت تقوم الصحيفة بترك مكان فارغ على صفحتها بينما يتنافس المحررون بينهم فيما اذا كان الطلب مناسباً ويحتجون علناً اذا كان ما اعتقدوا ان الطلب غير مناسبا(١٨). واستخدمت الحكومة اللبنانية طريقة اخرى هي مناشدة عامة للصحافة «لاخذ الحيطة والحذر اكثر من العادة بسبب الظروف الحاضرة» كما قال رئيس الوزراء في يونيو ١٩٧٢ اثناء مرحلة دقيقة في مناقشة بين العرب عن اسرائيل والفلسطينيين(١٩).

وقد خلقت الحرب الاهلية اللبنانية التي ابتدأت في بداية عام ١٩٧٥ ضغوطاً خاصة على الصحافة كشأن المؤسسات اللبنانية جميعها. وبدأت «التركيبة الاجتماعية» للبنان التي وفرت قاعدة التعددية لديمقراطية مفتوحة لمدة ثلاثين عاما بالتفكك على أمور اقتصادية واجتماعية وعلى

تخصيص الحصص من السلطة السياسية وعلى الدور المناسب للفلسطينيين في لبنان وعلى قضايا اخرى. ولما احبط الحوار في الصحافة وفي المجلس النيابي الفئات المتنافسة فانها سعت الى تحقيق اهدافها بوسائل العنف. وجرت الانقسامات على خطوط مختلفة. ـ دينية، غني/فقير، وطني عربي/وطني لبناني، مؤيد ومناهض للفلسطينيين ـ وفقد الزعماء الوطنيون الكثير من سيطرتهم بحيث احتلت الشوارع من قبل الميليشيات الخاصة وكشفت عن عدم قدرة الدولة الحفاظ على النظام.

واستمرت معظم الصحف اليومية الكبرى بالظهور ولكن بصفحات أقل كما خصصت عملياً كل صفحاتها لاحداث لبنانية صرفة. واصبح توزيع كل صحيفة مقتصر على المنطقة او المناطق التي تسيطر عليها انصار الصحيفة حيث اصبح لبنان وبخاصة بيروت منقسماً على طول خطوط جغرافيـة الى معـامل. وانخفض مستوى المسؤولية والحقيقة في الصحافة مع تدهور الازمة واصبحت الصحف التي لم يكن لديها علاقات مع انصار يرعونها ممن لديهم مليشيات مسلحة اشد ضررا أو انها اوقفت عملها بينما اصبحت الصحف الباقية اكثر صخباً. وتمتع الصحفيون في البداية مثلهم مثل الزعماء السياسيين الوطنيين بحصانة ضد الهجوم الجسماني المتعمد الا ان كبار محرري صحيفتين من الصحف اليومية المهمة توفيا في يناير عام ١٩٧٦ نتيجة الاغارة على مكاتب الصحف مما يحتمل ان يكون قد تم بوحي سياسي. واصدر وزير الاعلام وهو نفسه محرر بارز بعد الإغارة مجرد توبيخ غير حاد ولكنه لم يفعل شيئاً مظهراً بذلك عدم قدرة الحكومة على حماية الصحفيين او اي انسان آخر[٢٠].

وفي خريف عام ١٩٧٦ توصلت الدول العربية الكبرى الى اتفاق بينها لانشاء قوة الردع العربية لمساعدة الحكومة اللبنانية على اعادة النظام. وكانت سوريا التي كانت قد بعثت بوحداتها العسكرية الى لبنان في ذروة الحرب الاهلية مسيطرة في قوات الردع حينما بدأ لبنان بالعودة الى حالته الطبيعية. وفيما ساندت بعض الصحف اللبنانية سوريا وقوات الردع العربية كان عدد من الصحف نقاداً للتطورات. واحتل الجنود السوريون من قوات الردع العربية في ديسمبر ١٩٧٦ مكاتب صحف عديدة ومن ضمنها صحيفة النهار اليومية المستقلة والصحيفة اليومية السفير المؤيدة لليبيا مما ادى الى توقف النشر وبعد اسابيع قليلة سمحت قوات الردع العربية للصحف

المحظورة بمتابعة النشر. لكن الحكومة اللبنانية اصدرت في هذه الاثناء مرسوما يقضي بفرض الرقابة المسبقة على الصحافة مما اعطى مديرية الأمن العام السلطة لكل ثري مقدماً كل ما ينشر واعلن وزير الداخلية انه يجب على كل فرد عدم نشر «مواد تحرك النزاع الداخلي الطائفي... او اثارة اعمال تعرض السلامة والامن العام للخطر [أو]... أو تسبب جدالات تقود الى تجدد القتال».

وكانت المعاقبة على الانتهاكات الاولى بالسجن والغرامة أما الانتهاكات الثانية فكان عقابها الغاء تصريح اصدار المنشورات(٢١).

وبذلك فقد قررت الحكومة اللبنانية ان التنظيم الذاتي لم يكن كافياً وان الرقابة المباشرة قد اصبحت ضرورية لان الوضع الداخلي لم يكن مستقراً بعد الا ان الخطوط العريضة التي وضعها وزير الداخلية كانت اكثر تحديدا الى درجة ما من تلك التي كانت موجودة في قانون الصحافة لعام ١٩٦٢. بينما تجدر ملاحظة ان مراسيم الرقابة قد عينت اجراء قضائيا صريحا من خلال المحاكم للتعامل مع الانتهاكات. وحقا ان الصحافة اللبنانية عام ١٩٧٩ كانت مطوقة الى درجة تفوق ما كانت عليه عام ١٩٧٣ قبل الحرب الاهلية الا انها كانت لا تزال قادرة على انتقاد الحكومة. كما كان يقضي في خلافاتها مع السلطات لدى المحاكم.

اضافة الى ذلك لم يخرب حتى الصراع الأهلي خاصية التعددية والتنوع في الصحافة اللبنانية. فمن بين الصحف اليومية الواسعة الانتشار الواحدة والعشرين التي كانت موجودة عام ١٩٧٥ توقف تسع منها عن النشر تماما عام ١٩٧٩ كما ان ثماني صحف اخرى كانت لا تزال دون مستوى عام ١٩٧٥ في الاعداد المباعة ومع ذلك فقد ظهر العديد من الصحف اليومية الجديدة تفوت منذ عام ١٩٧٩ بحيث ان صحيفة اخرى من بينها قد ارتفعت الى المركز الثاني بالنسبة للاعداد المباعة.

ويعتبر بنفس الأهمية عودة الاختلاف الظاهر في اتجاه الصحف المختلفة عبر طيف كبير بحلول العام ١٩٧٧ وكان لا يزال الاختلاف موجودا عام ١٩٧٩ (انظر جدول ٦). وقد اختلفت صحيفة لسان الحال المسيحية الارثوذكسية المؤيدة للغرب خلال تلك السنين الاربع. الا ان

جدول رقم ٦

الصحف اللبنانية اليومية البارزة (١٩٧٩)

الاسم	العدد المقدر من النسخ المتداولة	الانتماء الديني	مجموع القراء والاتجاه الغالب السياسي
النهار	٤٠٠٠٠	مسيحي ارثوذكسي	مستقلة، عادة تؤيد الغرب
لوريفاي*	٢٠٠٠٠	ماروني	كتائبية، مؤيدة للغرب
لوريان لوجور	١٥٠٠٠	مسيحي ارثوذكسي	مستقلة
الأمل	١٥٠٠٠	ماروني	كتائبية، مؤيدة للغرب
الأنوار	١٠٠٠٠	مسيحي ارثوذكسي	يميني، مؤيد لسوريا
السفير	٩٠٠٠	شيعية	يسارية مؤيدة لليبيا
ايك**	٦٠٠٠	مسلمة سنية	مستقلة
الاحرار	٤٠٠٠	مارونية	يميني راديكالي، وطنية لبنانية كتائبية مؤيدة للغرب
البيرق	٤٠٠٠	مارونية	يميني
دايلي ستار+	٣٥٠٠	شيعي	مؤيدة للغرب، مؤيدة لمنظمة التحرير الفلسطينية
الشرق	٢٠٠٠	سني	مؤيدة لسوريا
اللواء	١٠٠٠	سني	مؤيدة لليبيا والعراق ومنظمة التحرير الفلسطينية مناوئة للغرب
صوت العروبة	٨٠٠	سني	حزب النجادة، مناوئة للغرب
النداء	٦٠٠	شيعي	لسان حال الحزب الشيوعي
الشعب	٥٠٠	سني	مؤيدة لموسكو

* يومية جديدة، ظهرت بعد ١٩٧٥

+ تصدر بالفرنسية

+ تصدر بالانكليزية

+

** تصدر باللغة الارمنية

صحيفة Reveil الجديدة والناجحة كانت لها نفس الميول وطويت صحيفة الكفاح المؤيدة للعراق ولكن اللواء كانت لا تزال تدافع عن العراق من بين قضايا أخرى.

وبالرغم من ان الاضطرابات الأهلية اللبنانية التي اثيرت حدتها من الخارج قد استمرت في الثمانينات مؤثرة على التوزيع والمظاهر الأخرى للنشر فقد استمر عدد من الصحف بالظهور. وبحلول عام ١٩٨٦ كان طيف الاتجاهات السياسية والدينية الوارد في الجدول رقم ٦ لا يزال موجودا بشكل اساسي. وكان نشر أربع عشر من خمس عشر من الصحف اليومية ما زال قائما (وبينما اختفت صحيفة صوت العروبة فقد ظهرت صحيفة يومية جديدة، الحقيقة، ممثلة اراء عمالية). وكانت كل من صحيفة النهار المستقلة والسفير المؤيدة لليبيا تصل معظم القارئين وبلغت الاعداد المباعة من كل منها ستين الفا بينما بلغت الاعداد المباعة من كل الصحف اليومية مجتمعة مائة وخمسة وسبعون الفاً وهذا هو اعلى رقم في تاريخ لبنان.

واظهرت المجلات الاسبوعية اللبنانية مثلها مثل الصحف اليومية تنوعا في الاتجاه السياسي والديني لم يتمكن الصراع الاهلي من محوه. وانخفض عدد المجلات الاسبوعية بسبب ظروف عدم الاستقرار في البلاد ولكن كانت حوالي ثلاثين مجلة اسبوعية سياسية منذ عام ١٩٨٦ لا تزال تمثل مدى واسعاً نوعا ما من الاراء التحررية فكانت المجلة الاسبوعية المسيرة تعبر عن اراء حزب الكتائب المسيحي، بينما عبرت الأمل عن اراء حزب أمل الشيعي المعتدل، والاحد عن اراء حزب الله الشيعي الراديكالي، والانباء عن اراء الحزب التقدمي الاشتراكي الدرزي. اضافة الى ذلك فقد نقل العديد من الناشرين مكاتبهم الرئيسية من بيروت الى اوروبا خلال الحرب الأهلية بحيث اصبحت المجلات الاسبوعية المتلكة من قبل لبنانيين تنشر في باريس ولندن ولم تقتصر قراءتها على المغتربين العرب دائما واصبحت ترسل من هناك الى البلاد العربية بما فيها لبنان. وكانت المجلات الاسبوعية المستقبل والنهار في عام ١٩٨٦ لا تزال تظهر في باريس بينما الحوادث وقرينتها Events الصادرة باللغة الانجليزية كانت لا تزال تظهر في لندن وبذلك فقد اجتازت صفات الصحافة الاساسية صدمة الاحداث هذه.

وقد أدى عاملان اثنان إلى جعل الصحافة اللبنانية من اكثر الصحافة حرية في العالم العربي. اولاً ـ فشل الحكومة في اسكات انتقادات الصحافة الى المدى الذي حققته دول عربية اخرى، كما طورت الصحافة مقياساً من التنظيم الذاتي لحماية نفسها كمؤسسة. وثانياً ـ ان استمـرار المجتمع المتعدد والديمقراطية الطائفية كانت ولا تزال تعكس في الاختلاف الحقيقي للصحافة اللبنانية. وقد لا يجد قارىء الصحيفة اللبنانية دائما موضوعية في احدى الصحف الا ان الصحافة اللبنانية في مجملها قد وفرت له طيفاً عريضاً من الاراء والاخبار لا يوجد له مثيل في العالم العربي مما يمكنه ان يختار منها ما يريد(٢٢). وقد بني نظام الصحافة هذا على قاعدة سياسية لتعددية المؤسسات مما كان ينقص الدول العربية الأخرى. وبانهيار هذه القاعدة اصبحت الصحافة محدودة الى درجة اكبر لتعمل كقناة اتصال ضيقة بين اعضاء الفريق الواحد كما انها اصبحت عديمة المسؤولية لدرجة اكبر مرتبطة بعملاء العنف. وبقي تنوع الصحافة لان التعددية اللبنانية قد تحولت إلى اجزاء، ونسف فقدان الوحدة الوطنية دور الصحافة الوطني.

الصحافة الكويتية والمغربية

توجد أوجه تشابه في بنية نظام الصحافة الكويتية والمغربية للصحافة اللبنانية كما توجد بينها فوارق.

تنتج الكويت عدداً ضخماً من الصحف مقارنة بحجمها وقد وصلت نوعية صحافتها الى مستوى ملحوظ خلال السبعينات والثمانينات. وبحلول عام ١٩٧٩، كان لا يزال سبع صحف يومية (خمس منها تصدر باللغة العربية واثنتان بالانجليزية) تبلغ اعدادها المباعة محليا ما يزيد عن ١٢٤ ألف عددا تنشر في الكويت بالرغم من ان عدد السكان كان لا يزال دون المليون نسمة ونسبة البالغين المتعلمين تبلغ ستين بالمئة فقط. وبحلول عام ١٩٨٦ كانت هذه الصحف اليومية السبع توزع ٢٧٥ الف نسخة داخل البلاد بالرغم من كون عدد السكان لا يزال ١٫٧ مليون نسمة ونسبة التعليم واحد وسبعين بالمئة اضافة الى ذلك ظهرت في ذلك البلد اكثر من اثنتي عشرة مجلة اسبوعية وعدد مساو من المنشورات الاخرى وقد كانت الصحف اليومية جميعها معروفة

خارج الكويت حيث كان يباع منها ١٠٠ ألف نسخة اخرى. وقد ذاعت شهرتها بين الناس في دول الخليج الا ان بعضها كسب قراء في اماكن اخرى ايضا من العالم العربي.

وللمغـرب ايضا عدد كبير نسبياً من الصحف فكان لدى المغرب عام ١٩٨٦ احد عشر صحيفة يومية (ست منها بالعربية، وخمس بالفرنسية)، وبلغت الاعداد المباعة منها اكثر من ٢٧٣ الف نسخة كما كان لديها عشرات المنشورات الأخرى. ولو ان نوعية الصحافة المغربية حقا لا تضاهي الصحافة اللبنانية والكويتية إلا أنها في تحسن. وتعتبر صحافتها ضعيفة نسبيا ـ حيث لا يوجد فيها تقليد صحفي طويل مثل لبنان ولا الأموال لتوظيف مواهب من الخارج كما تفعل الكويت[٢٣]. ومع ذلك فإن الدول الثلاث تشترك في صفات صحفية أخرى.

التعددية بين الصحف

تتركز الصحافة اساساً في الكويت والمغرب كما في لبنان بايدي القطاع الخاص كما انها تظهر درجة متميزة من التنوع.

وقد طورت الصحافة في الكويت (أنظر جدول رقم ٧) درجة من التنوع والتنافس والصراحة في القول مما جعلها في فئة خاصة متميزة عن أنظمة الصحافة التي تمت مناقشتها في الفصول السابقة. وتجعل هذه الصفات من الصحافة الكويتية رديفاً الى حد ما للصحافة اللبنانية بالرغم من ان هذه الصفات اكثر بروزا في صحف لبنان كما ان تقاليد الصحف مؤسسه بترسيخ اثبت لان الصحافة سبقت بمدة خمسة وسبعين عاما الصحافة الكويتية.

ويظهر ان الصحافة الكويتية الحديثة نسبيا ـ ظهر اول منشور في الكويت من اي نوع عام ١٩٢٨ ـ تتجه باتجاه الصحافة اللبنانية بالرغم من أن بيئتها السياسية تختلف نوعا ما.
وتعتبـر الصحف اليـوميـة كالرأي العام والسياسة من أقدم الصحف اليومية الكويتية الناجحة حيث تم تأسيس كل منها في الستينات. وتحافظ الرأي العام على سياسة تحريرية ثابتة ومنتـظمـة تسـاند بشدة العائلة المالكة بينما تنتقد المسؤولين الكويتيين والشخصيات العامة

جدول رقم ٧

الصحف اليومية الكويتية (١٩٨٦)

مجموع القراء والاتجاه الغالب

الاسم	العدد المقدر من النسخ المباعة	تاريخ بدء النشر	الاتجاه المسيطر
القبس	٥٥ ٠٠٠	١٩٧٢	الاتجاه الرأسمالي للاعمال الحرة، موضوعية سياسياً، وطنية كويتية
السياسة	٤٥ ٠٠٠	١٩٦٥	معتدلة، مؤيدة للحكومة، اقل عاطفية من الصحف الاخرى مؤيدة لمصر
الرأي العام	٤٠ ٠٠٠	١٩٦١	محافظة، ملكية، وطنية كويتية، مناوئة للشيوعية ومؤيدة للغرب ولكن تنتقد سياسة الولايات المتحدة الشرق اوسطية
الوطن	٥٥ ٠٠٠	١٩٧٤	تحررية، تنتقد الحكومة، ديمقراطية بما فيه حرية الكويت، مؤيدة لسورية
الانباء	٥٠ ٠٠٠	١٩٧٦	رأسمالية، مؤسسية، تنتقد سياسة الحكومة وسياسة الولايات المتحدة الشرق اوسطية، منافسة للسياسة
كويت تايمز*	٢٥ ٠٠٠	١٩٦١	منتصف الطريق، تركز على الشؤون غير العربية
عرب تايمز*	٢٥ ٠٠٠	١٩٧٧	تحررية، شعبية، تركز على الاخبار الاقليمية

* تصدر بالانكليزية.

المصادر: اعداد النسخ المتداولة من مراقبين مطلعين هي افضل ما تم الحصول عليه، الا انها تعتبر تقديرات. المعلومات الاخرى اخذت من مقابلات ومن كتاب مروّه «الصحافة»، صفحة ٤٠٣ ـ ٤٠٥ وكذلك من وكالة الولايات المتحدة للمعلومات "Media Directories" عن الكويت وكذلك من اتصالات خاصة.

المعارضة للشيوعية والاشتراكية العربية (وخاصة اشتراكية حزب البعث العراقي) وتنتقد الداعين لاقامة علاقات مع الغرب بينما تدافع عن الاستقلال الكويتي وتعبر عن عدم الرضى احيانا عن السياسة الامريكية في الشرق الاوسط.

ومن الناحية الاخرى فان صحيفة السياسة تميل نوعا ما الى قدر اكبر من الصراحة والتحرر والتنوع في تفسيرها للاحداث. فهي تعالج بقوة مسائل مختلفة كما تعبر افتتاحياتها عن تنوع معتبر في وجهات النظر مخضعة الشخصيات العامة من اي رأي الى تفحص عن قرب. ويختص رئيس تحريرها المعروف احمد جادالله بمقابلة الزكاة العرب. وقد أظهر بعض كتابها تعاطف مع التفسيرات الماركسية والأنظمة العربية الراديكالية في العراق واليمن الجنوبي. الا ان صحيفة السياسة تتجه الى مساندة العائلة الحاكمة كما تتجه للدعوة الى مسارات عمل معتدلة، ونتعامل مع الامور بأقل عاطفية مما تفعل[٢٤] الصحف الاخرى.

أما القبس وهي صحيفة ذات منهج تحريري مختلف فهي اكثر نجاحا حتى من هاتين الصحيفتين. وقد حققت الرقم الأعلى من الاعداد المباعة عن اي صحيفة يومية خلال اربع سنوات بعد تأسيسها عام ١٩٧٢. ولا تدعو القبس الى اي خط سياسي معين ولكنها تنشد ارضاء الفرق الكويتية. فهي تحريرية نوعا ما وموضوعية الى حد جيد في عرضها للاخبار والتعليق. ويقوم بتمويلها فريق من رجال الاعمال المحليين وتعطي تغطية جيدة بشكل خاص للمسائل الاقتصادية مع التأكيد على مصالح الاعمال الكويتية. وتتجه الى استعمال قطع فكرية وترجمات من الصحافة الأجنبية (بما فيها الاسرائيلية) اكثر من منافساتها كما انها تعطي حيزا اكبر للكتّاب الفلسطينيين.

وتظهر صحيفة الوطن الرابعة اليومية نوعا من الاهتمام الزائد عن الصحف الاخرى بالشؤون الخارجية وخاصة لمنطقة الخليج، فهي تدعو الى المفاهيم الديمقراطية بما فيها حرية الكلام والتبادل الحر للاراء كما تعطي الكتاب ذوي الاراء المتنوعة حرية استعمال صفحاتها. وقد قامت احياناً بانتقاد صريح للحكومة الكويتية.

واخيرا فان الصحيفة الخامسة الأنباء هي أحدث صحيفة يومية عربية ولها صلات قوية مع مجتمع الاعمال الكويتي وتدعو بقوة الى الرأسمالية والتقاليد العربية العائلية كما أنها كذلك قامت بانتقاد صريح للسياسة الحكومية. ويدخل رئيس تحريرها الذي تربطه علاقات مع العديد من الساسة البارزين احيانا في مجالات ومناظرات مع صحف يومية اخرى وخاصة السياسة مما يزيد من التباين في المحتوى والرأي بين صحيفة الأنباء والصحف الأخرى.

أما Kuwait Times الصحيفة الكويتية اليومية بالانجليزية فقد وجدت منذ الاستقلال. وتقدم نقطة رأي معتدل وليبرالي.

وأما الصحيفة Daily News الاكثر تحفظاً والتي نافستها لوقت طويل فقد توقفت عن النشر عام ١٩٧٦ عندما باعها عبدالعزيز المساعد لعائلة الغانم التي لم تستطع الاستمرار في نشرها. الا ان دار السياسة للنشر قامت ببيع Kuwait Times عام ١٩٧٧ وانشأت صحيفة Arab Times اليومية بالانجليزية التي تتمتع باسلوب حيوي.

والمنشورات الكويتية الاسبوعية تقدم تماماً ما تقدمه الصحف اليومية ايضا طيفا من الاراء والاتجاهات بما فيها الليبرالي والمحافظ المتطرف والمعتدل والنقابي والمؤيد للادارة والوطني الكويتي والوطني العربي والبعثي والماركسي(٢٥).

وتنتشر الصحافة المغربية كذلك عبر طيف سياسي عريض في ذلك البلد. وتمثل مثلاً ثلاث صحف يومية تعتبر اعدادها اليومية المباعة عالية لعام ١٩٨٦، اراء تختلف عن اراء الحكومة. فكلاً من الصحيفتين العلم و L'Opinion وهما شقيقتان عربية وفرنسية ينشرهما حزب الاستقلال الذي عمل في المعارضة لسنوات عدة ولكنه كان أيضاً في الحكومة. وهاتان الصحيفتان هما أقدم صحف يومية موجودة ـ بدأت العلم عام ١٩٤٤ ـ والفتا مثل حزب الاستقلال نفسه جزء من المشهد السياسي في المغرب المستقلة لزمن طويل جدا بحيث تعتبران عملياً جزء من المؤسسة. إلا انهما تبديان انتقاداً للوضع الراهن. وتدعوان الى اعادة توزيع الثروات والعدالة الاجتماعية

جدول رقم ٨

الصحف اليومية المغربية (١٩٨٦)

الاســم	تقدير الاعداد المباعة	تاريخ ابتداء النشر	الاتجــاه المسيطـــر
الاتحاد الاشتراكي	٥٥ ٠٠٠	١٩٨٣	المعارضة، الاتحاد الاشتراكي للقوات الشعبية
العــلم	٤٥ ٠٠٠	١٩٤٤	المعارضة، حزب الاستقلال
لوبنيـون*	٤٥ ٠٠٠	١٩٦٥	المعارضة، حزب الاستقلال
لوماتان دي صحارى*	٥٠ ٠٠٠	١٩٧١	مؤيدة للحكومة
ماروك سوار*	٤٠ ٠٠٠	١٩٧١	مؤيدة للحكومة
البيــان*	١٥ ٠٠٠	١٩٧٢	المعارضة، حزب التقدم والاشتراكية (شيوعي)
البيــان	١٠ ٠٠٠	١٩٧٢	المعارضة، حزب التقدم والاشتراكية (شيوعي)
المغـــرب*	١٠ ٠٠٠	١٩٧٨	ملكية، الحزب المستقل
الميثاق الوطني	٥ ٠٠٠	١٩٧٦	ملكية، الحزب المستقل
الانبــــاء*	٥ ٠٠٠	١٩٦٣	وزارة الاعلام
رسالة الأمـة	٣ ٠٠٠	١٩٨٣	حزب الاتحاد الدستوري

* تصدر بالفرنسية

المصادر: ١٩٨٥ وكالة الولايات المتحدة للمعلومات ورقة معلومات البلاد و١٩٨٦ اتصالات خاصة.

والاصلاح التربوي. وهما وطنيتان بشدة في بلدهما وتدعوان الى التعريب السريع وعلى مستوى المسائل الدولية فانهما تساندان احيانا القومية العربية.... ومواقف العالم الثالث بقوة وصراحة تفوق مساندة الحكومة. وتروق صحيفة العلم اكثر ما تروق الى الطبقة الوسطى المعتدلة الثقافة وللطبقات الوسطى السفلى ويتجه الى قراءة صحيفة L'Opinion الفريق الأفضل تعلماً واكثر ثروة(٢٦).

وتعتبر الصحيفة اليومية الاتحاد الاشتراكي اكثر نجاحاً بصوت انتقادي والتي تم نشرها من قبل الاتحاد الاشتراكي للقوى الشعبية منذ مايو ١٩٨٣ حيث خلفت المحرر (توقفت بعد حوادث الشغب في كازبلانكا في يونيو عام ١٩٨١).

وينتقد حزب الاتحاد الاشتراكي للقوى الشعبية الذي قام بتشكيله فريق من السياسيين الذين اختلفوا مع حزب الاستقلال، ولسان حال صحيفة الاتحاد سياسات الحكومة الاقتصادية والتعليمية وكذلك علاقاتها الأمريكية والاوروبية. وتتجه الصحيفة الى استعمال اللغة الاشتراكية المنمقة العادية في كثير من مقالاتها وعناوينها وتروق بشكل خاص للطلاب طلاب الجامعات والمهنيين الشباب والموظفين الحكوميين.

وتقوم صحيفتان يوميتان ناجحتان بالدفاع عن سياسات الحكومة وهما كازابلانكا الصباحية والشقيقات المسائية Lematin و Maroc Soir ويتولى نشر هاتين الصحيفتين مولاي احمد علاوي وهو وزير سابق من أقارب الملك الحسن الثاني، وهو يقوم بكتابة الافتتاحيات بنفسه. وتتجه في اختيارها للأخبار والتعليق الى مساندة الملكية والمؤسسة ومشاريع العمل الخاص وتعتبر صديقه نسبياً الى حد كبير للدول الاوروبية. كما أن الصحيفة المغرب بالفرنسية، وكذلك الميثاق الوطني بالعربية تساند هي الاخرى سياسات الحكومة. الا أنها كانت تتجه في الثمانينات الى تفضيل احمد عثمان وهو منافس سياسي لأحمد علاوي، ولذلك اختلف مضمونها نوعا ما عن محتوى صحيفتي Lematin و Maroc Soir .

وأما صحيفة الأنباء التي تصدرها وزارة الاعلام فهي تؤيد الحكومة بشكل ثابت مستمر.

وتتميز هذه الصحف الثلاث الأخيرة بأنها قادرة على السبق الصحفي للانباء الحكومية وتقدم اتجاهاً متفائلاً جداً يختلف تماماً عن الصحف الأخرى.

إضافة الى ذلك فهنالك ثلاث صحف أخرى يومية حزبية. منها اثنتان يوميتان يقوم بنشرهما حزب التقدم والاشتراكية لم تحققا أرقاما عالية في الاعداد المباعة الا أنهما تزيدان بشكل مميز طيف الاراء الصحفية في المغرب. فصحيفة البيان العربية وشقيقتها البيان الفرنسية تتحدثان باسم حزب التقدم والاشتراكية الماركسي وتصلان قطاعات كبيرة من القراء في المغرب وبصحيفة رسالة الامل التي يقوم بنشرها حزب الاتحاد الدستوري منذ عام ١٩٨٣ يصبح عدد الصحف في المغرب احدى عشرة صحيفة.

النقد والتقييد الحكومي

لا تتجه الصحافة في الكويت للوصول الى الحد الذي تصله الصحافة اللبنانية في تهجمها على الحكومة.

ويمنع القانون الصحافة الكويتية من انتقاد الحاكم «الأمير» او أن تورد احاديثه بدون تصريح كما لا يسمح لها بنشر معلومات تؤثر على قيمة العملة الوطنية أو تثير الشكوك بالاقتصاد الكويتي وكذلك يمنع القانون من الدعوة الى الاطاحة بالحكومة عن طريق القوة(٢٧) إلا انه لا تزال الصحافة تتمتع بقدر من حرية النقد. ولم تستطع الحكومة بين تعديلات قانون الصحافة لعام ١٩٧٢ وعام ١٩٧٦ من اتخاذ اجراء مباشر لتوقيف صحيفة مخالفة للأنظمة بل كل ما استطاعت عمله هو مقاضاة الصحيفة. وفي الواقع فهذه عملية تستمر طويلاً مما خفض من عدد الاجراءات الحكومية واعطى الصحافة حرية اضافية(٢٨).

وأعطى تعديل قانون الصحافة في اغسطس ١٩٧٦ الحكومة الصلاحيات لتوقيف او الغاء اية صحيفية:

أ ـ اذا كانت تخدم مصالح دولة أو منظمة أجنبية.

ب ـ اذا حصلت على أي نوع من المساعدة من دولة أجنبية.

جـ ـ اذا كانت سياستها تناقض الصالح الوطني[٢٩].

وقـال رئيس «الوزراء» اصبحت الصحافة غير مسؤولة بقدر غير محدود من الحرية... واعطاؤها حرية بدون قيود قد جعل من بعض الصحف ادوات طيعة في خدمة الاهداف الغربية عن بلادنـا والتي تعمل على افساد المجتمع وتنشر الاشاعات لمصالح خاصة وتزرع التفاهات والتحريض على الفتنة بين صفوفنا[٣٠].

واصدرت الحكومة قانون صحافة عام ١٩٨٥ وبيانا عن الصحافة في يوليو عام ١٩٨٦ مما زاد نوعا ما بين القيود على وسائل الاعلام والرقابة ـ وفرضت الحكومة منعاً مبهماً مثلاً على «اثارة الحقد بين الناس».

وتستخدم الحكومة الكويتية هذه السلطة الحديثة لاتخاذ اجراء ضد صحف على بعض افتتاحيات باعثة للنقاش وبعض المواد الاخبارية ذات المغزى السياسي الا ان الاجراءات كقاعدة هي خفيفة نسبياً حيث تشتمل التوقيف لمدة قصيرة من قبل وزير الاعلام لاقل من ثلاثة اشهر وليس لمدة توقيف طويلة او الالغاء. مما اشتملت عليه صلاحيات مجلس الوزراء[٣١].

أما الرقابة المسبقة فهي غير مستخدمة الا في حالات الطوارىء الوطنية مثل حرب عام ١٩٦٧ والرقابة على المواد المطبوعة الواردة من الخارج نادرة كما في لبنان. وتستمر الصحافة الكويتية بتحدي الحكم بينما يبقى الامتناع هو السبيل الاساسي لنفوذ الحكومة.

وتتمتـع الصحافة في المغرب ايضاً ببعض الحرية لتوجيه النقد للحكومة ولمن هم أقوياء سياسياً فمنذ عام ١٩٥٦ عندما حصلت المغرب على استقلالها ورفعت الضوابط الاستعمارية عن الصحافة من قبل فرنسا واسبانيا، ظهرت الصحف المغربية بمجموعها رغبة ثابتة للنقد ومناقشة الأمور. ولم تحتمل الحكومة دائماً هذا النقد واستعملت من وقت لآخر اساليب قانونية وسياسية مختلفة ضد بعض الصحف وتثير هذه الاجراءات كل مرة اعتراضات المحررين والناشرين المعنيين، وبذلك فقد كان هنالك نوع من شد الحبل المستمر على الحد الذي يمكن ويجب ان تصل الصحافة اليه.

وتفرض القوانين المغربية عقوبة الغرامة أو السجن للاساءات ضد العائلة الملكية والسلام العام والقوى المعنوية ووحدة الجيش والشرطة والامن الخارجي(٣٢) وقد عبر الملك عن اعتزازه بحرية الصحافة في المغرب ولكنه حض الصحفيين على التصرف بمسؤولية.

«ان الدور التثقيفي للصحافة في الفترة التي تمر فيها يفرض عليها اقصى قدر من الشرف والولاء والامانة في نشر المعلومات... وان استعمال حرية الصحف لتجميع العنف الكلامي والاشغال هو ليس مجرد عمل غير مشرف للمؤلفين فحسب إنما هو خيانة نحو الشعب المغربي»(٣٣).

وتستخدم الحكومة هذا التفسير ـ ان الدولة يجب ان «تؤمن وتحمي» جو الحرية ـ لتبرير تدخلاتها ضد الصحف. الا ان هذا النهج لم يترك بدون معارضة. فعندما سنت الحكومة عام ١٩٥٩ انظمة جديدة تنص على ايقاع العقوبة للاساءات الصحفية اوقف حزب الاستقلال نشر صحفه الخمس احتجاجاً على «انتهاك الصحافة الحرة». الا ان الحكومة مستمرة في لعب دور تنظيم الصحافة. فمثلاً حينما نشرت صحيفة التحرير اليسارية في ديسمبر عام ١٩٥٩ مقالاً تتهم فيه رجال القصر الملكي برفض السماح لفريق من زعماء المقاومة الوطنية لمقابلة الملك، كان العنوان بأحرف ضخمة «الذين قاموا بالامس بطرد الاستعمار هم انفسهم يطردون اليوم» وادت هذه مع افتتاحيات نقدية تالية تطالب تطهير الادارة، الى توقيف رئيس التحرير ومدير الادارة لارتكابهم» اساءة بحق المؤسسات السياسية والدينية للمملكة». الا انه عندما اعلنت الحكومة عام ١٩٦٠ قانون صحفي جديد يعطيها سلطة اوسع لتوقيف الصحف فقد ادى اضراب الصحافة الى الغاء القانون(٣٤).

ولقد زاد التنافس بين الحكومة المغربية وصحف المعارضة اثناء الازمات السياسية عام ١٩٦٠ حيث قامت بعض الصحف بانتقاد سياسات الحكومة ومسؤوليتها بعنف الا ان الحكومة استخدمت سلطاتها بانتظام للرقابة والاستيلاء على بعض الصحف. وقد ادى توقيف صحيفة حزب الاستقلال اليومية La Ivation Africaine في فبراير ١٩٦٥ بسبب نشرها نصاً مناوئاً

للحكـومة اوردته عن فيلسوف مصري من القرن التاسع عشر الى ازمة برلمانية وتعديل قانون الصحافة بحيث الغيت صلاحيات الحكومة لتوقيف او حظر الصحف الا ان ذلك بدوره ادى الى قرار الملك ليتولى شخصياً مراقبة الحكومة في يونيو. ورفعت «حالة الاعتراض» في يوليو ١٩٧٠ الا ان الحكومة استمرت في اتخاذ اجراءاتها ضد الصحافة المعارضة بتوقيف الصحيفة واعتقال المحـررين[٣٥]. ورحب معـظم الصحفيـين المغاربة بتوقيف الحكومة عام ١٩٧١ لمجموعة Mas للصحف التي يملكها الفرنسيون حيث بقيت صحف هذه المجموعة اليومية La Virgie Marocaine و Le Petit Marocain بعد الانتقال الى الاستقلال وبلغت اعدادها المباعة ثلاث الى اربع اضعاف الصحيفة اليومية التي تليها وهي صحيفة العلم وذلك بسبب نوعية صحافتها وموضوعية تغطيتها للانباء. وكانت صحف مجموعة MAS تعارض بشكل ثابت ومستمر الاستقلال قبل عام ١٩٥٥ حتى انها دعت الى تنحية السلطان محمد الخامس وابدت موافقتها على نفيه عام ١٩٥٣.

وغيرت صحف هذه المجموعة مواقفها فجأة قبل عودة السلطان تماما عام ١٩٥٥ واصبحت تسانده. وابتعدت هذه الصحف عن اي تورط في السياسة بعد الاستقلال واصبحت تقوم بوظيفة اعلامية صرفة. ولأجل هذه الاسباب والانتقال الهادىء نسبياً الى الاستقلال تمكنت هذه الصحف من الاستمرار بالنشر[٣٦].

الا ان استمرارها كان يثير العديد من المغاربة وخاصة حزب الاستقلال المعارض وفرقاً سياسية اخرى كانت ترفض رؤية تحقيق هذه «الصحافة الأجنبية» نجاحاً في بلادها. واوجب قانون الصحافة لعام ١٩٥٨ ـ بطلب من حزب الاستقلال ـ ادارة كل الصحف من قبل مواطنين مغاربة الا ان الحكومة لم تطبق هذا النظام على صحف مجموعة Mas . وقد أقام اتحاد الصحافة الوطني عام ١٩٦٣ دعوى قضائية ضد صحف Mas ووافقت المحكمة على ان هذه الصحف كانت تنشر بصورة غير شرعية وفرضت عليها غرامة بسيطة فقط.

وادت «حالة الاستثناءات»[٣٧] الحكومية الى تحويل طلب لحزب الاستقلال باقرار قانون ضد

مجموعة Mas ويونيو ١٩٦٥ واخيرا قامت الحكومة بانهاء تصاريح الصحف اليومية التابعة لمجموعة Mas في ٧/اكتوبر ١٩٧١ وبحلول ١/نوفمبر ظهرت Le Matin و Maroc Soir لتحل محلها. وقام الجهاز الصحفي السابق نفسه بنشر الصحف الجديدة ولكن بعد ان تم تعيين رؤساء تحرير مغاربة جدد لها لاخذ المسؤولية الكاملة عن قرارات التحرير(٣٨).

واستمرت اجراءات الحكومة لتوقيف الصحف لمدة قصيرة بسبب انتهاكات معينة لقانون الصحافة واصبح حدثا في بعض الاوقات يمس صحف المعارضة اليومية احيانا مثل L'Opinion والاتحاد الاشتراكي وسابقتها المحرر. لكن الصحف لا تكل من الاستمرار في فحص الحدود التي يمكن الوصول اليها وفي هذه العملية تحدث مناقشات مفتوحة بشكل كبير على امور شتى.

أسباب التعددية
والحرية النسبية

ما هي الاسباب التي تكمن خلف التعددية ودرجة الحرية النسبية في الصحافة الكويتية والمغربية؟.

ان الاتجاه في الصحف ان تكون ملكيتها تابعة لاشخاص ذوي نشاط وطموح ممن يرون ان الصحافة هي وسيلة لاسماع اصواتهم ولزيادة قوتهم السياسية والاقتصادية. ففي الكويت تدار الراي العام على اساس عائلي ويقوم بتحريرها ونشرها كويتي رأس لجنة الشؤون الخارجية في البرلمان حتى تاريخ الغائه عام ١٩٧٦. كذلك فإن الانباء والقبس قد أسست من قبل مجموعات بارزة من رجال الاعمال الكويتيين الذين لهم صلات مع عائلات وقطاعات مختلفة من المجتمع. أما الوطن فهي مملوكة لفريق من الملاكين والمقاولين بينما تدار السياسة من قبل صحفي شاب له اتصالات ممتازة في الدوار الحكومية الكويتية وبعض الدوائر الاجنبية، ولكل من هؤلاء نصيب شخصي في الصحف ولذلك يتأثر اتجاه واسلوب الصحيفة بشخصياتهم(٣٩).

وفي المغرب ايضاً يشعر الافراد ذوو الاهتمامات السياسية انهم يحققون كسباً عن طريق تعزيز ارائهم من خلال صحفهم واوضح مثال على ذلك هما العلم و L'Opinion الصحيفتان التابعتان لحزب الاستقلال، حيث ان رئيس تحرير صحيفة العلم عبدالكريم الغلاب هو عضو لجنة مركزية في حزب الاستقلال وله اراء وطموحات سياسيةمحدودة تماما ويعد من أفضل الصحفيين المغاربة وهو سياسي معارض بارز في الوقت نفسه. كما ان رئيس تحرير L'Opinion هو سياسي من حزب الاستقلال. ويستخدم كل منهما الصحف لتوصيل اراء وتحليلات سياسية الى اعضاء حزب الاستقلال كما يعتبران الصحافة مهمة جدا حيث أن كونهم سياسيين معارضين فانهما يشعران بحرمان من الوصول الى محطة الاذاعة أو التلفزيون التي تديرها الحكومة. وكذلك فانهما يعتبران شركة التوزيع التي تديرها الحكومة منحازة ضدهم وغير مناسبة ومن أجل ذلك فانهما يستخدمان طرق حزبهما الخاصة لتوزيع الصحف على الاعضاء(٤٠). وكذلك تدار الصحيفتان Maroc Soir و Le Matin الواسعة الانتشار من قبل مولاي (الامير احمد علاوي) وهو ابن عم الملك وتعكس الصحيفتان بوضوح اراءه الملكية الموالية. وهما تمثلان قوة سياسية واضحة موازنة للمواقف السياسية التي توردها صحف حزب الاستقلال وهي نتيجة قصدها علاوي . وفي عام ١٩٨٦ اتجهت صحيفة يومية حديثة وهخي الميثاق الوطني لتمثيل اراء البرلمان احمد عثمان وهو منــافس لعلاوي. وأخيراً فان رؤساء تحرير الاتحاد الاشتراكي والبيان في الواقع يستخدمان الصحف كمخــارج سياسية لارائهم الحزبية. وحيث قيدت الحكومة نشاطات الحزبين اللذين يساندانهما وهما حزب الاتحاد الاشتراكي للقوى الشعبية والحزب الشيوعي المحظور حالياً لذلك فإن رئيسي التحرير مضطران جداً لاستغلال صحيفتيهما كأقنية للتعبير السياسي(٤١).

ثانياً، ان النظام السياسي في البلاد يجعل من هذا التسابق المعلن والمنافسة أمراً ممكنا. لم يكن المجلس النيابي في الكويت مؤسسة ديمقراطية تمثل تمثيلاً كاملاً الا ان المجلس في اواسط السبعينـات عقـد المزيد من المناقشات الحادة على أمور حساسة وعبر عن نقد بالغ لسياسة الحكومة علناً. ولم تكن العائلات الكبرى العاملة بالتجارة ممثلة فحسب بل كذلك اليساريون والنقابيون والوطنيون العرب حيث كان لكل منهم في المجلس متحدثون ناطقون عملت الصحافة

على تضخيم ارائهم في صحفها، ولا تزال الحكومة الكويتية تحتفظ بسلطات كبيرة تناقصت على مر السنين بسبب تزايد في قوة وصراحة القول في البرلمان مما زاد في حرية الصحافة.

وقد توقف هذا الاتجاه عام ١٩٧٦ بالغاء البرلمان واعلان قانون صحفي أشد قساوة[٤٢]. وقد أعلن الحاكم عن وجوب اتخاذ خطوات للحفاظ على الوحدة الوطنية كما صرح رئيس وزرائه ان عمل الحكومة مستحيلاً لان الوزراء والمسؤولين قد اصبحوا مشغولين في المجلس الوطني «بهجمات واتهامات غير صحيحة». وبقي السياسيون الكويتيون وبالرغم من اجراءات عام ١٩٧٦ نشطين كما ان المحاكم ايدت حق الصحافة في انتقاد المسؤولين وبذلك بقي بعض الشيء من الحوار السياسي[٤٣].

ويساعد النظام السياسي في المغرب أيضاً على امكانية تعددية ومنافسة الصحافة. ويسمح هذا النظام بدرجة من التنافس السياسي لكي يهيمن علناً، وكما علق مراقب بقوله «المغرب هو احد البلاد النادرة في افريقيا حيث فيه الاراء السياسية والترابط ويتمتع بحرية وانفتاح تامين تقريبا... وأما القوانين التي تسمح بممارسة تنفيذ القرارات كتلك التي تمنع أي تهجم على «مبادىء الملكية» فقد تم العمل بها في مناسبات قليلة للحد من حرية الصحافة[٤٤].

ولا يعتبر نظام الصحافة المغربية نظاماً مفتوحاً تماماً كالنظام اللبناني الا انه وجد طيف سياسي محدد بوضوح في المغرب منذ الاستقلال عام ١٩٥٦. وقد استعاد السلطان محمد الخامس في ذلك الوقت سلطات سيادة تامة في معاهدات مع الفرنسيين والاسبان ولكنه اقام حكومة تشتمل على ممثلين من عدد من الاحزاب المختلفة بما فيها الاستقلال والحزب الديمقراطي المسقل. وحيث كانت الاحزاب شرعية ومفتوحة فقد كان من الطبيعي ان تظهر الصحف لتعكس اراءها المختلفة. وقد نشأت الصحافة في المغرب في القرن التاسع عشر الا انها أخذت اتجاهاً سياسياً وطنياً متشدداً في الثلاثينات من القرن الحالي حينما حاول الزعماء الوطنيون استخدام الصحافة في وجه الاستعمار الفرنسي[٤٥]. واعتبرت الصحف بعد الاستقلال ادوات سياسية. ويصف مراقب هذا الوضع بقوله: «بما ان الصحف كانت تعتبر قلب السياسة فان ممثلي كل اتجاه سياسي حاولوا

نشر صحيفة على الأقل واثنتين وثلاث احيانا بالعربية لتقديم اراء زعمائهم[٤٦].

حافظ حزب الاستقلال على موقفه في المعارضة الموالية الا انه لم يتمكن من السيطرة على الحركة الوطنية حيث كان الحزب الشيوعي وبعض الاحزاب الصغيرة الاخرى مثل الحركة الشعبية كلها نشطة أيضاً كما كانت كذلك منظمات نقابية عديدة ومعظم هذه الفرق كفلت صحفاً. واعتبر الحزب الشيوعي خارجا عن القانون عام ١٩٥٩ ولكن العديد من قياداته واعضائه سمح لهم فيما بعد بالانضمام معاً في ما يسمى بحزب التقدم والاشتراكية الذي جاء بصحيفة جديدة ذات اتجاه ماركسي. وكذلك فان الحكومة ومؤيديها يدعمون صحفاً[٤٧].

وبذلك فان فرقاً سياسية عدة تتنافس على السلطة تحت الابصار اليقظ للملك الذي كان يأذن على نحو دوري باجراء انتخابات عامة وتشكيل برلمانات وبالرغم من ان العملية السياسية في المغرب تُشل بعض الاحيان بهذا «التنوع الغني من الفرق والاحزاب ذات المصالح... التي تعمل على ترجمة مطالبها الى نداءات في شعارات يعجز متخذو القرار عن التوفيق بينها»[٤٨] فان هذه التعددية النشطة تحافظ على حيوية الصحافة. وبذلك من الممكن وصف الصحف المغربية «بـأنها اكثر الصحافة اختلافاً وتشويقاً في شمال افريقيا»[٤٩] ويتفق المراقبون على ان هذا الاختلاف يستند الى قاعدة التنافس السياسي الذي يحدث في النظام.

والعنصر الثالث خلف النظام المغربي والكويتي هو حساسية الحكومة الى مركزها الدولي مما يظهر بانه يجعلها اكثر احتمالاً لصحافة حيوية متعددة.

تعلم الحكومة تماماً في الكويت حقيقة لون بلادها دولة صغيرة محاطة ببلاد مجاورة أوسع منها واكثر قوة، وحتى السكان المقيمون في البلاد فان اكثر من نصفهم هم غير كويتيين. ونتيجة لذلك تبنت الحكومة سياسة واعية للتعاون مع كل فرد وتحمل كل الحركات السياسية في المنطقة فعلياً.

ويعتبر وجود غير الكويتيين في مراكز حساسة في كل صحيفة ـ الكويتيون عادة ما يكونون اقلية ـ تعزيزا لتحمل الاراء المختلفة. كما يجب كلاً من الحكومة واعضاء البرلمان ان يشيروا

ايضا باعتزاز الى صحافة البلاد الحرة والنشطة.

وتعتبـر الحكـومـة المغربية ايضاً حساسة للرأي الخارجي ويساند العديد من الزعماء المغـربيـين بما فيهم الملك استمرار حرية الصحافة لان الصحافة حرة في اوروبا ولأن الدول الاوروبية وخاصة فرنسا ما زالت ينظر اليها نماذج تحاكي في نواح كثيرة.

وبالرغم من العداوة الوطنية المعادية للاستعمار التي وجهت ضد فرنسا في الخمسينات، فان تأثير الثقافة الفرنسية ما زال قوياً في المغرب وهذا دليل على هذه الظاهرة. الا انه لا بد من الاضافة بان الصحافة المغربية لم تصل تطلعات النخبة المحبة للفرنسيين التي تساند حرية الصحافة ولهذا السبب فان العديد من المثقفين المغاربة ما زالوا يفضلون قراءة Le Monde او صحف فرنسية اخرى.

وبذلك فان انظمة الصحافة في لبنان والكويت والمغرب تتمتع بحرية وتنوع يجعلها بعيدة عن انظمة الصحافة الاخرى في العالم العربي.

وتوجد اختلافات مهمة بين هذه الانظمة الثلاث، (ففي الاوقات العادية) تمارس الصحافة اللبنـانيـة قدراً كبيراً من التنظيم الذاتي وتكون حرة نسبياً من تحكم الحكومة في حين تعمل الصحف المغربية والكويتية ضمن حدود اضيق. مع ذلك فانها جميعاً تعكس تعدداً سياسياً ودرجة من الحوار المفتوح في النظام السياسي نفسه الذي يجعل من تعددية الصحافة وحريتها امراً ممكناً.

الفصل السادس

الاذاعة العربية والتلفزيون

إن الاذاعة والتلفزيون في العالم العربي هي احتكارات على نحو نموذجي تحت الاشراف الحكومي المباشر، مع وجود استثناءات وعدد اكبر من الاستثناءات التي وجدت في الماضي. الا أن الامتلاك والتشغيل الحكومي المباشر للاذاعة والتلفزيون هما القاعدة في الثمانينات وبذلك فان النماذج التنظيمية لهذه الوسائل تعتبر أقل تعقيدا من الصحافة كما أنها اكثر تشابهاً في كل انحاء العالم العربي.

وتوجد اسباب عدة لذلك: أولاً ، ان الحد الأدنى لتكلفة اقامة نظام اذاعي أو تلفزيوني يفوق كثيراً الحد الادنى لتأسيس صحيفة وذلك يتجاوز الى حد كبير قدرة الجميع، جميع الأفراد تقريبا في هذه الدول النامية.

ثانياً ، تشجع هذه الكلفة العالية على تجميع مشترك للموارد أو الاحتكار، وبما أن هذه الوسائل تتجاوز الحدود الجغرافية وحواجز مستوى التعليم فان للحكومة درجة اكثر من الرغبة في ادارتها أو ابقائها بعيدة عن الأيدي المعادية على الأقل ويستطيع كل من يمتلك مطبعة ان يصل الى النخبة المتعلمة وترى الحكومة في ذلك تهديدا محتملاً ولكنه يقل حجماً عن التهديد السيـاسي لاحتكار محطة اذاعة تبث اذاعتها للملايين. وتعتبر الحكومات العربية ان للاذاعة والتلفزيون التي يمكن لها ان تصل الى كل فرد في البلاد والعديد في الخارج في الوقت نفسه اهمية كبيرة بحيث لا يجوز تركها للمصالح الخاصة. ولم يجر في الدول العربية سوى النزر اليسير من الجدل المعارض لهذا المطلب الحكومي الاساسي.

ثالثاً ، ان الاذاعة والتلفزيون هي وسائل اكثر حداثة. واثر الاتجاه نحو ادارة سلطوية بدرجة اكبر لكافة وسائل الاعلام مما لاحظناه في نقاشنا السابق عن الصحافة على هذه الوسائل الاكثر حداثة الى حد بارز اذ ليس لهذه الوسائل تقاليد استقلالية تعمل على دعمها.

فالتلفزيون الذي لم يؤسس في ظل الحكم العربي في أي بلد الى ما بعد عام ١٩٥٦ قد وصل في عهد زوال تعددية الصحافة وفي وقت كانت فيه الصحافة تخضع للتوجيه والتعبئة. ولم تتطور الاذاعة التي بدأت في المغرب نحو الحرب العالمية الأولى وفي قليل من البلاد العربية بعد ذلك بوقت قصير الى ما بعد الحرب العالمية الثانية في العديد من البلدان العربية وبدأت الاذاعات في بعض الاماكن خلال فترة انشقاق الصحافة، وتنوعها واستقلالها النسبي. وفي ذلك الوقت كان للاذاعة درجة كبيرة من الاستقلال والنفوذ الشخصي الخاص. الا ان تطور الاذاعة وتوسعها قد جاء في فترة كانت فيها الحكومات لا تزال تعمل على الاجهاز على حرية الصحافة مما جعل من السيطرة الحكومية على الاذاعة أمراً في غاية السهولة.

وكان لكل دولة من الدول خبرات مختلفة مع الاذاعة والتلفزيون بسبب العوامل المحلية الفريدة التي اثرت على هذه الوسائل. الا ان العديد من البلدان العربية قد حصلت على هذه الوسائل عندما كانت البلاد لا تزال تحت النفوذ الاستعماري الأوروبي. واتجهت الادارات الاستعمارية البريطانية والفرنسية لوضعها تحت المراقبة الحكومية منذ البداية لسببين وهما أن هذه الادارات كانت تحاول استخدام هذه الوسائل كأدوات حكم استعماري وكذلك لخبرة هذه الادارات في بلادها في بريطانيا وفرنسا في وسائل الإعلام الالكترونية التي تقوم الحكومة على رعايتها. وحين مغادرة هذه الدول الاستعمارية فانها عادة ما كانت تسهيلات البث الاذاعي للحكومات المستقلة الجديدة التي تكتفي بالمحافظة عليها كمؤسسات حكومية.

هناك ايضاً اسباب صغرى أخرى وراء الادارة الحكومية لوسائل الاعلام الالكتروني مثل ندرة الذبذبات الاذاعية وصعوبة ايجاد وتدريب الاشخاص المؤهلين. الا أن الاسباب الرئيسة هي الرغبة الحكومية الشديدة في وسائل الاعلام كأدوات سياسية والتكلفة العالية، وعدم وجود تقاليد استقلالية، وكذلك السوابق التي أقامتها الادارات المستعمرة في بعض الحالات.

ويظهر المنهج السلطوي للاذاعة في البلدان العربية كذلك في قلة عامة من الاهتمام بحجم وطبيعة واهتمام المستمعين أو المشاهدين حيث نادراً ما تجري محطات الاذاعة والتلفزيون العربية ابحاثاً عن الجمهور المستمع أو المشاهد ولا يتم اعطاء شكل للبرامج لتناسب الحاجات المحددة ورغبات المشاهدين أو المستمعين بل هي مصممة من قبل طواقم البث والمسؤولين الحكوميين الذين يقررون ما يجب تقديمه للجمهور. وتعطي الرسائل التي يبعثها المستمع والمشاهد نكهة من ردة فعل الجمهور الا انها لا تعتبر عنصراً ذا أهمية في تقرير البرامج(١).

وتقوم الاذاعة والتلفزيون ببث الدعايات في جميع المنطقة وانحائها الا انها محدودة كثيرا واما الدعايات التجارية كما يجري في الولايات المتحدة فانها غير موجودة.

والترتيب الأكثر شيوعاً هو أن يحمل البرنامج الاذاعي أو التلفزيوني مجموعات من الاعلانات في أوقات محددة يتم وضعها بدقة بين البرامج لعدم حدوث تقاطع وبدون أية رعاية أو ضمان. وتحقق هذه الاعلانات واردات تساعد على تغطية ميزانية البث ومع ذلك يتوجب على الحكومة عادة ان توفر الجزء الاكبر من دخل المحطة من خلال رسوم الأجهزة كالراديو والتلفزيون او من مصادر أخرى(٢).

ويعتمد عدد قليل من المحطات في العالم العربي كلية تقريبا على واردات الدعايات. ويوجد في الامارات العربية المتحدة محطات اذاعة وتلفزيون تجارية تحصل على دخولها من خلال الدعايات وتسير جنباً الى جنب مع المحطات غير التجارية التي تديرها الحكومة. وقد تم تأسيس تلفزيون كمشروع تجاري بعقد مع شركة امريكية بالرغم من ان حكومة البحرين تتولى الادارة حاليا بشكل مباشر. وتبث ثلاث محطات اذاعية من بين احدى عشرة محطة في مصر الدعايات بما فيها محطة اذاعة الشرق الاوسط التي تجعلها برامجها الخفيفة وكثرة الدعايات شبيهة بالبرامج الأمريكية في نواح عديدة(٣). واخيراً فان كلاً من محطتي التلفزيون اللبناني تعمل على اساس تجاري ـ وسوف تتم مناقشتها بالتفصيل. الا ان بعض الدول مثل تونس والمملكة العربية السعودية لا تسمح ببث الدعايات على الاطلاق.

وتوجد بعض الاختلافات بين معظم انظمة الاذاعة والتلفزيون العربية في الادوار السياسية التي تلعبها بالرغم من انها تخضع لسيطرة الحكومة المباشرة ولذلك فانها تظهر خصائص نظامية متشابهة ويمكن تقسيم هذه الانظمة الموجودة في ثمانية عشر بلدا عربيا الى ثلاث أقسام موازية تقريبا لمجموعات انظمة الصحافة التي تم بحثها سابقاً. وقد عاملت الدول السبع التي عملت على تطوير الصحافة التعبوية والتي تم ابرازها في الفصل الثاني والثالث وهي - الجزائر، مصر، العراق، سوريا، ليبيا اليمن الجنوبي والسودان الاذاعة والتلفزيون بطريقة متشابهة جدا بحيث يمكن وضعها ضمن مجموعة واحدة. وقد مارست هذه الحكومات السبع أقصى حد من السيطرة على وسائل الاعلام الالكترونية ورفعت بتطويرها كادوات للاتصال السياسي بقوة كبيرة. ويظهر للمراقبين ان اسلوب ومنحى البرمجة في هذه البلدان ومع عدم توفر مسوحات مفصلة وموضوعية يختلف عن بلدان المجموعة الكبرى الثابتة التي تشمل كل الدول العربية باستثناء لبنان ومع أنه توجد في هذه الدول العشر سيطرة حكومية على البث الاذاعي الا انها تعتبر أقل شدة الى حد ما كما أن تطوير هذه الوسائل لم يدفع به قدماً بنفس السرعة مع توفر الموارد.

ويمكن تسمية هذين الفريقين الرئيسين بالنظام الاذاعي التعبوي والنظام الحكومي وهما يشملان جميع البلدان العربية باستثناء لبنان الذي يعتبر حالة خاصة وسيتم بحثه مفصلاً.

النظـام التعبوي

اتجهت الدول العربية السبع التي تم بحثها في الفصل الثاني الى اعطاء أولوية لتطوير وسائل الاعلام الالكتروني أعلى من الدول العربية الاخرى ذات الموارد المشابهة. وقد أظهرت هذه الدول تصديرا اكبر للاذاعة والتلفزيون كادوات تصل الى جمهور المواطنين الذين ما زالوا اميين وتعمل على تعبئتهم. ومن أجل ذلك خصصت جزء اكبر من مواردها للاذاعة وكانت السباقة لتأسيس أنظمة تلفزيونية.

الاذاعـــــة

عندما جاءت الانظمة الثورية الحاكمة في هذه البلدان السبع الى الحكم أعطت الاذاعة

حظاً كبيراً من الاهتمام وعززت توسعها كي يمكن استخدامها كاداة سياسية لتعبئة الجماهير ونشر الخط الرئيسي.

ويعتبر نظام البث الاذاعي في مصر أكثر الانظمة اتساعاً وقوة في الشرق الادنى وافريقيا. ففي السبعينات عمل اكثر من ألفي شخص من جهاز البرامج والفان وخمسماية شخص من الأجهزة الهندسية في ثلاثة واربعين ستوديو في بناية الاذاعة في القاهرة على بث اكثر من (١٢٠٠) ساعة اذاعة اسبوعيا في اربع عشرة محطة، ثمان منها موجهاً للمستمع المحلي. وقد عملت المرسلات القوية على اسماع هذه البرامج في كل ارجاء مصر وفي معظم البلدان العربية ايضا وحتى على الموجه المتوسطة. وقد انشيء هذا النظام اساساً بعد مجيء النظام الثوري الحاكم الى السلطة عام ١٩٥٢ حيث قرر التشديد على البث الاذاعي كاداة لسياسته. وبدأت البث الاذاعي في مصر شركة خاصة في عام ١٩٢٠ على اساس تجاري بحث ولم تعطها الملكية اهتماما للاغراض السياسية. وحتى حينما انهت الحكومة العقد الخاص مع ماركوني عام ١٩٤٧ وزادت من التدخل الحكومي نوعا ما فان ذلك قد جرى اصلا بسبب ضغوط وطنية. واعطيت ادارة الاذاعة لمجلس الحكام شبه المستقل الذين كان اشرافهم سائباً نسبياً(٤).

ولم تجد الزعامة المصرية الجديدة التي تسلمت زمام السلطة في عام ١٩٥٢ سوى تجهيزات اذاعية متواضعة بقوة (٧٢) كيلواط على الموجة المتوسطة. ولم يكن هنالك موجة قصيرة واما الجهاز الاذاعي العامل فكان قليلاً. وبدأت هذه الزعامة حالا بتقوية هذه القدرة وتأمين سيطرتها عليها بوضع الاذاعة تحت وزارة الارشاد القومي التي قامت باستثمار أموال طائلة لتعزيز قوة البث وتوسيع البرامج. وعمل النظام الجديد على الغاء رسوم اجهزة الراديو التي سنتها الملكية وذلك من أجل زيادة عدد المستمعين عن طريق ازالة هذه الكلفة(٥) وفي اقل من عقد ضاعفت الحكومة قوة البث الى ٢٨ ضعفاً ووفرت استقبالاً جيداً في جميع انحاء البلاد وخارجها.

واتسمت البرامج خلال الخمسينات ولم تشمل البرنامج العام فحسب وانما أيضاً البرنامج الثاني رحلة ثقافية للمفكرين «مع الشعب» الموجه للعمال والفلاحين بالتحديد لتزويدهم بعقيدة

سياسية ومعلومات عملية ايضاً. وتم تطوير البرنامج الاوروبي في ست لغات الى جانب ركن السودان وصوت العرب، واضيف فيما بعد برامج القرآن الكريم والموسيقى، والشباب والبرنامج العبري وبرنامج فلسطين وبرنامج اذاعة الشرق الأوسط لتصل في مصر الى مجموعات خاصة أخرى. واما البرامج المصممة لتصل المستمع المحلي وحده فقد زادت من (١٨) ساعة يوميا عام ١٩٥٢ لتصبح (٧٢) ساعة في عام ١٩٦٠ واكثر من (١٢٠) ساعة في نهاية السبعينات عندما بلغ عدد مستمعي البرنامج العام اكثر من (٨٥) بالماية من البالغين في المدن[٦] وحدها.

وقد طورت الحكومة المصرية الاذاعة كأداة قوية لتصل الى المستمع الاجنبي (راجع الفصل السابع) الا ان الرغبة في توصيل السياسة الحكومية بفعالية اكبر لكافة المصريين قد ادت الى التوسع الاذاعي بالدرجة الرئيسة. وأعلن النظام الحاكم قانون الاذاعة الذي كان يوجب على هيئة الاذاعة المصرية «تقوية الوعي الوطني... والمشاركة في الحملة التثقيفية بين الشعب»... والتعامل مع المشاكل الاجتماعية والحض على التمسك بالقيم الأدبية والاخلاقية». وكان لهذا المجهود غرضاً سياسياً واجتماعياً.

كذلك عملت الدول الست الاخرى التي تمت مناقشتها في الجزء على توسيع تسهيلاتها بسرعة نسبياً بعد وصول الانظمة الثورية الحاكمة هنالك الى السلطة وقامت بإدارة مباشرة للاذاعة بشكل اكبر.

وأقامت الحكومة في سوريا من خلال هيئة الاذاعة والتلفزيون أجهزة بث اذاعي في انحاء البلاد في الخمسينات مما زاد القدرة من ٦ر١٣ لتصبح ١٥٠ كيلواط وعملت في السنوات التالية على زيادتها الى حد أعلى. ووصل عدد ساعات البث المحلي الى ٥ر١٨ ساعة يومياً كما تم تعزيز البث الاذاعي الآخر[٨].

واما التوسع الحقيقي في اذاعة العراق فقد حصل بعد ثورة تموز ١٩٥٨ مباشرة عندما كان نظام الحكم الجديد مشغولاً في معارك دعائية مع مصر وسوريا وكان يبذل قصارى جهده لافهام وجهة نظره... للعراقيين والعرب الآخرين.

وتكـرر هذا النمط في أماكن أخرى. ونقل نظام الحكم الجديد في السودان ادارة البث الاذاعي من لجنة شبه مستقلة تتألف من شخصيات سودانية بارزة الى دائرة حكومية عندما اصبح البلد مستقلاً. وبذلت هذه الدائرة جهداً كبيراً في تحويل محطة ذي قدرة منخفضة لا تصل لاكثر من ١١ ألف من مجموع ١١ مليون نسمة من السكان لمدة ثماني ساعات يومياً الى شبكة قوميـة على الهواء لمدة ١٧ ساعة يومياً. واعطت الفرق الثورية التي حلت محل أنظمة الحكم الاوروبية المستعمرة في الجزائر واليمن الجنوبي في الستينات وتلك التي تسلمت الحكم من الملكية في ليبيا كلها اسبقية الى زيادة فعاليات التسهيلات الاذاعية كما زادت من سلطتها عليها.

وخاضت هذه الفرق نفسها في الجزائر واليمن الجنوبي معارك على محطات الاذاعة اثناء حروب التحرير وقامت بإعادة بناء هذه التسهيلات بعد الاستقلال مباشرة تحت الاشراف المحكم لجبهات التحرير الوطنية الحاكمة. وقد جعل فريق ضباط الجيش الذي استولى على السلطة عام ١٩٦٩ في ليبيا محطة الاذاعة الليبية تتجاوب حالاً لتوجيه اوامر مجلس قيادة الثورة كما باشر التخطيط لزيادة تغطية في الاستماع(٩).

التلفـزيــون

وقد تم تعزيز التلفزيون ايضاً بنشاط اكبر اجمالاً من قبل انظمة الحكم الثورية في هذه البلدان السبع منه في اي مكان في العالم العربي مع الأخذ بعين الاعتبار مستوى الموارد المختلفة. واتجهت هذه الدول لاقامة انظمة تلفزيونية قبل الدول العربية الاخرى. اذ كانت حكوماتها راغبة بشكل خاص في استغلال هذه الوسيلة الجديدة للأغراض السياسية.

ويظهر الجدول رقم ٩ ان معظم الدول ذات نظام الصحافة التعبوي قد افتتحت انظمة تلفزيونية وطنية تحت ادارة عربية قبل باقي دول العالم العربي باستثناء لبنان (حالة خاصة). واما اليمن الجنوبي وليبيا فقد تأخرت عن هذه الفرق بسبب عدم مجيء انظمتها الثورية الحاكمة حتى عام ١٩٦٧ وعام ١٩٦٩(١٠).

وافتتـح او نظام تلفزيوني تحت ادارة عربية في العراق في ايار ١٩٥٦ وكان عبارة عن

جدول رقم ٩
تواريخ افتتاح انظمة التلفزيون الوطنية

الانظمة التعبوية			الاخـرى	
العراق	١٩٥٦		لبنان	١٩٥٩
مصر	١٩٦٠		الكويت	١٩٦٢
سوريا	١٩٦٠		المغرب	١٩٦٢
الجزائر	١٩٦٢	(الفرنسية ١٩٥٦ ـ ١٩٦٢)	العربية السعودية	١٩٦٥
السودان	١٩٦٢		تونس	١٩٦٦
ليبيا	١٩٦٨		دبي	١٩٦٨
اليمن الجنوبي	١٩٦٩	(البريطانية ١٩٦٤ـ٦٧)	الاردن	١٩٦٨
			ابو ظبي	١٩٦٩
			قطر	١٩٧٠
البحرين	١٩٧٢			
			عمان	١٩٧٤
			الجمهورية العربية اليمنية	١٩٧٥

تسهيلات متواضعة بقدرة ٥٠٠ واط ببرنامج معد بشكل خاص لتسلية المشاهدين في بغداد. وقامت الحكومة الثورية التي حلت محل الملكية بعد سنتين بتعزيز قدرة المحطة وزادت من المحتوى السياسي للبرامج بمساعدة جزئية من الدول الشيوعية في هذا العمل. وانشئت مرسلات جديدة في جميع انحاء البلاد مما زاد من عدد المشاهدين بشكل كبير.

فكان هنالك ـ ٥٠ ألف جهاز تلفزيوني بحلول ١٩٦١ ومع منتصف السبعينات كان عددها ٣٥٠ الفاً.

وباشرت كل من مصر وسوريا انظمتها التلفزيونة عام ١٩٦٠ كلاً على حده بعد المحاولة الفاشلة للمباشرة في مشروع مشترك تحت رعاية اتحادها السياسي الذي لم يدم طويلاً. وزادت الحكومة المصرية التغطية خلال الستينات الى مناطق مأهولة كبرى عن طريق انشاء ٢٩ مرسلاً وتقديم الدعم المالي لشراء اجهزة التلفزيون المستقبلة الممتلكة جماعيا في المناطق الأشد فقراً.

وانشأت الحكومة المصرية كما فعلت للاذاعة تسهيلات تلفزيونية على مقياس منظم واسع. وجهزت (١١) ستوديو في القاهرة بأحدث الأجهزة كما عملت على توظيف (٢٥٠٠) فني برامج وجهاز قوامه (١٠٠٠) فنياً[١١].

وكانت الحكومة السورية في هذه الاثناء مشغولة بتركيب اجهزة البث خارج دمشق في حمص وحلب وبعدها في المحافظات الأخرى لتصل معظم السكان. ونتيجة لذلك زاد عدد اجهزة التلفزيون المستقبلة في سوريا من ـ ٤٢ ألف عام ١٩٦١ ليصبح ٤٢٥ ألف في اواسط السبعينات واكثر من مليون جهاز بحلول عام ١٩٨٦.

وعززت الفرق الوطنية الثورية التي انهت الحكم الاستعماري وتسلمت السلطة في الجزائر واليمن الجنوبي ايضاً وضع التلفزيون وحولته الى استخداماتها السياسية. وتم تدمير النظام السياسي الجزائري الأصل الذي عمل به الفرنسيون منذ ١٩٥٦ في الجزائر من قبل الطرفين اثناء حرب التحرير وبدأ نظام الحكم الجديد باعادة انشائه مباشرة عام ١٩٦٤ وتوجيه محتواه سياسيا. ودمر الفرنسيون المتطرفون مرسل اوران ليحولوا دون سماع الجزائريين لديغول وطلبت

مؤسسة الاذاعة والتلفزيون الجزائري عام ١٩٦٣ من هيئة الاذاعة والتلفزيون الفرنسية المساعدة لاعادة انشائه. ووجد النظام الحاكم في اليمن الجنوبي الذي تولى السلطة بعد المغادرة السريعة للبريطانيين عام ١٩٦٧ بان المحطة المتواضعة التي يديرها البريطانيون بحالة خراب سيئة وان وضعها المالي ضعيف جداً بحيث استغرقت اعادة البث مرة أخرى مدة سنتين.

وحصل توسع متعمد في هذا البلد تحت الادارة المحكمة للحكومة الجديدة وبذلك اعتمد ما يزيد على ٢١ ألف جهاز تلفزيوني ستقبل في منتصف السبعينات على خدمة ثلاث مرسلات. وبدأت محطة اذاعة الجنوب العربي انشأت عام ١٩٥٤ البث التلفزيوني في آب ١٩٦٤. ووصل عدد أجهزة التلفزيون الى ١٦ الف في البلاد بحلول عام ١٩٦٦ وزاد العدد عن ٥٠ الف جهاز مع بداية عام ١٩٨٦.

ومضت الحكومة السودانية قدما بالبث التلفزيوني عام ١٩٦٢ تحت نظام حكم عبود العسكري بالرغم من مواجهتها لمشاكل مالية ووجود مساحة جغرافية شاسعة لتغطيتها حيث كان لنظام الحكم حينئذ غرض سياسي في ذلك. وخرج عبود من الحكم عام ١٩٦٤ الا انه تم اعطاء التلفزيون قوة دافعة اخرى بعد مجيء الرئيس النميري الى السلطة عام ١٩٦٩. وحسنت الحكومة البث الى منطقة الخرطوم - ام درمان حتى ان عدد الاجهزة التلفزيونية المستقبلة وصل الى اكثر من ٧٠ الفاً في منتصف السبعينات بما فيها اجهزة عديدة في النوادي ومنظمات اخرى. وقامت الحكومة بجهد خاص في منطقة النيل الأزرق من حيث البث وتسليم أجهزة تلفزيونية مستقبلة مما عزز من مشاهدة التلفزيون هنالك[١٢]. وأخيراً لم تشعر الملكية في ليبيا بأي حاجة وعلى مدى سنوات طويلة لانشاء نظام تلفزيوني وطني بالرغم من ان الآلاف من الليبيين كانوا يتمكنون من مشاهدة برامج التلفزيون الأجنبية التي ثبت في قاعدة ويلوس الامريكية أدق ايطاليا او تونس، وبدأت الملكية بالبث التلفزيوني المتواضع عام ١٩٦٨ فقط وفي اقل من سنة جعل الفريق الثوري الذي تولى زمام السلطة من التلفزيون اولوية كبرى كاداة للتحكم والتعبئة. وعمل العقيد معمر القذافي ومجلس قيادة الثورة على توسيع قدرة البث وتسييس البرمجة. ورأس العقيد القذافي عملية

اغلاق القاعدة الجوية الامريكية ونظامها التلفزيوني في ويلوس التي كانت تبث برامجها للعسكريين الأمريكيين المقيمين والتي كان يشاهدها بعض الليبيين.

البرمجـة التعبويـة

بذلت انظمة الحكم في هذه الدول السبع بشكل عام جهد اكبر من اي حكومة في اي مكان آخر في العالم العربي لتجعل البرمجة الاذاعية والتلفزيون توصل المهمات السياسية الى جماهير السكان. وورد في قول مراقب عن السودان مثلاً ان الحكومة «تستخدم التلفزيون احيانا كثيرة لتوصيل رسائلها الى مواطني السودان ولتعبئة الرأي العام والتحكم به عندما تجد أمور عظيمة. ويكون الاسلوب المستخدم في هذه المناسبات استغلالاً مباشراً وواضحاً لهذه الوسيلة الاعلامية(١٣).

ويكون للبرمجة المسيّسة بشكل عام معان إضافية ثورية تدعو الى تغيير أساسي وسريع داخلياً وخارجياً كما انها تكون مفتوحة وعلنية مثل بيان وزارة الاعلام الليبية الذي نشر عن الاهداف الاذاعية وهي «تجسيد الاهداف الثورية العربية للحرية والاشتراكية والوحدة وادخال هذه الاهداف في عقول الشعب... وربط الكفاح العربي من أجل تحرير الاراضي المغتصبة مع قضية التحرير والحرية في العالم الثالث»(١٤).

وتخصص الاذاعة والتلفزيون السودانية مثلاً الجزء الاكبر من نشراتها الاخبارية لانجازات الحكومة الاخيرة ونشاطاتها يتبعها مقابلات وظواهر توفق المنافع التي احدثتها هذه التغييرات. وتبتديء هذه الوسائل الاعلامية في المناسبات الخاصة مثل العيد الوطني السوداني (٢٥ أيار) قبل عدة اسابيع من المناسب بشحذ الحماس للحدث عن طريق اعادة بث مشاهد تلقي الضوء على الحدث من اعياد سابقة تتخللها شعارات من التعابير الاشتراكية المعروفة. كما تبث تمثيليات ذات عبر سياسية ـ مثل غدر ومساوىء الرأسمالي، تهديد المستعمر، والحاجة الملحة لمناهضة اسرائيل ـ باستخدام أحسن مواهب تمثيلية موجودة(١٥). وتنفذ هذه البرمجة بدرجات متباينة من الشدة والمهارة في كل واحدة من الدول السبع التي نحن بصدد بحثها.

وتوجد اكثر البرمجة السياسية فعالية وحداقة وحسن تنفيذ في مصر حيث تظهر لمسات الأجهزة البشرية العاملة في الاذاعة والتلفزيون اكثر خفة من مثيلاتها في العراق مثلاً. وركز النظام المصري الحاكم اولاً على الاذاعة في الخمسينات بانشاء محطات قوية للداخل والخارج تحولت في الستينات الى التلفزيون كوسيلة مكملة للوصول الى المصريين. واستخدام الرئيس عبدالناصر كلاً منهما لاثارة الحماس للتغييرات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي كان يعمل على تعزيزها والاحتقار للاعداء الداخليين والخارجين التي كان يعمل على محاربتهم. وتفهم المستمع النظامي بوضوح تام من الاخبار والتعليق ومن المعالم الرئيسة والدراما وبرامج الموسيقى المنحى الذي تتجه اليه وفيه سياسته ومن هم اعداؤه واصدقاؤه.

ونورد مثالاً واحداً فقط من الداخل فقد قامت الاذاعة والتلفزيون ببث المحاكمة الطويلة واعترافات ثمانية عشر عضوا من الاخوان المسلمين بين تشرين اول وكانون اول ١٩٦٥ الذين خططوا ضد نظام الحكم. واستخلص التقديم المغربي للمشاهدين بشكل واضح وهو ان النظام الحاكم الذي كان يريد الاقحام(١٦). واطلقت الوسائل الاعلامية الالكترونية حملات شديدة عديدة فيما يتعلق بالشؤون الخارجية ضد «الامبريالية» في اشكالها من حلف بغداد وكلوب باشا وشركة قنال السويس واسرائيل ولصالح الوحدة العربية والاشتراكية(١٧).

واظهر المذيعون المصريون في كلا هاتين الوسيلتين الاعلاميتين وخاصة في الاذاعة من وقت لآخر حماساً زائداً لتعزيز النهج الرسمي وتعطلت المصداقية ـ وخاصة ايام حرب عام ١٩٦٧ ـ ومن أجل ذلك اصبحت هذه الوسائل فيما بعد اكثر تقييدا. واوضحت الزعامة المصرية ان الاذاعة والتلفزيون مثلها مثل الصحافة يجب ان تستمر في طريق المشاركة مع جميع اجهزة الدولة في تثقيف الرجال القادرين على تحمل اعباء المرحلة الحالية للثورة. ويصاغ القدر القليل من مادة البرامج التي تحمل انتقاداً للسياسات الحكومية بهزل أو تلميح وهو اسلوب يشتهر به المصريون(١٨).

ويستخدم كل من هذه الدول السبع التي نحن بصدد بحثها في هذا الجزء وسائل الاعلام

الالكترونية بشكل مباغت لتوصيل رسائل سياسية تساند المواضيع اليسارية والمناوئة للامبريالية ومواضيع العالم الثالث. وبالتالي فان هذه الدول هي التي وفرت قواعد للوطنيين الفلسطينيين لاذاعة نداءاتهم السياسية بين العرب للمساندة من أجل تحرير وطنهم. إلا ان هذه البرامج تذاع على اجهزة البث القومية كما تقوم الدول المضيفة بمراقبتها بكل حذر بالرغم من ان التشابه في اسم البرنامج الفلسطيني - توحد الاسم في السنوات الأخيرة «صوت فلسطين[١٩] - وظهور محطة مستقلة في كل واحدة من هذه الدول. ونتيجة لذلك يتطابق مضمونها مع متطلبات سياسة البلد المضيف وعندما يحدث اختلاف بينهما يتم توقيفها عن البث[٢٠]. وليس من المستبعد حقا قيام هذه الانظمة السبع الاذاعية بشن حروب على الهواء مع بعضها البعض بسبب اختلافات في السياسة التكتيكية على الرغم من وجود اوجه شبه في فلسفاتها واستعمالها لهذه الوسائل الاعلامية[٢١]. وعلى اية حال يبقى المضمون السياسي للبرمجة خاضعاً لإرشاد وايحاء النظام الحكم دون اخطاء.

وتظهر البرمجة ذات الاهداف السياسية أكثر ما تظهر بوضوح وعموم في الاذاعة والتلفزيون العراقي واليمني الجنوبي[٢٢].

ويطلق المذيع الجزائري والسوري وغيرهم نفس الكلام مع اختلاف في الطريقة من حيث شدتها بشكل عام. ويتم الحصول على بعض المواد من مصادر شيوعية كما يتم ايجاد الكثير منها محلياً ويتم تشكيلها كلها لتناسب الظروف المحلية والسياسات الحكومية[٢٣]، ولم يكن لنصف هذه المادة المعروضة على الاقل والتي حملتها الوسائل الاعلامية الالكترونية في جميع هذه البلاد في الأوقات العادية معان سياسية مباشرة. وتحصل كل هذه الدول فعلاً على افلام غير سياسية للتسلية وعلى اشرطة من مصادر متعددة وخاصة الأمريكية، وتقوم بإذاعتها جنباً الى جنب مع المادة السياسية التي تكون احياناً معادية للولايات المتحدة. وبذلك فان المشاهد في هذه البلاد يعتبر مشاهدة نشرة اخبارية مسائية محملة بتقارير تتعمد وضع امريكا في ظل قائم ومشاهدة فيلم من هوليوود أو مسلسل تلفزيوني مثل "Little House Onthe Prairie" أو «دالاس» الاكثر شعبية امراً عادياً.

وتتجه الحكومات في هذه الدول السبع مع ذلك الى الاهتمام الزائد بالاراء السياسية الغربية التي تصل الى مواطنيها عبر موجات الهواء. وتتأكد وزارات الاعلام بأن جميع الافلام الأجنبية المستوردة التي تستخدم في وسائل الاعلام هي غير سياسية او أنها مقبولة سياسياً.

وحاولت هذه الوزارات كذلك منع الاستماع الى بعض الاذاعات الأجنبية. كما حاول البعض مثلاً التشويش على البث القادم في البرنامج العالمي لهيئة الاذاعة البريطانية وحذروا الجماهير بعدم السماح للمذيعين الغربيين «بتسميم» عقولهم «بالاكاذيب» وجاء في افتتاحية صحيفة ليبية مثلاً ان الاذاعة العربية لهيئة الاذاعة البريطانية، وصوت امريكا والموجات الالمانية قد «شوشت التفكير العربي بالحرب النفسية. واغرت الفرد العربي بالشك في مساره... لطمس الروح المعنوية للفرد العربي... فهي تنشر الاشاعات والاكاذيب والاخبار السياسية المضللة»[٢٥].

الاذاعة الحكومية

اتجهت الاذاعة والتلفزيون في الدول العربية الأخرى باستثناء لبنان للتطور البطيء وكان الاسلوب البرامجي اقل شدة وعدوانية سياسياً. ويكمن السبب في هذا الاختلاف اظهار حكومات المغرب وتونس والأردن والكويت والعربية السعودية والبحرين وقطر والامارات العربية المتحدة وعُمان واليمن الشمالي اهتماماً أقل في هندسة الجماهير الاجتماعية النشطة مما يجعلها أقل تأثراً بهذه الوسائل الاعلامية كأدوات للتغيير الاجتماعي من الانظمة الحاكمة في الدول السبع التي سبق بحثها. وابدت هذه الحكومات العشرة ـ وكلها ملكية ما عدا تونس واليمن ـ بعض التفهم للاهمية السياسية لوسائل الاعلام الالكترونية للوصول الى الجماهير وبذلك اولت هذا الأمر عناية بان جعلت الاذاعة والتلفزيون في ايدٍ حكومية. الا أنها بشكل عام لم تدفع بنفس قوة الانظمة الحاكمة «الثورية» لتوسيع مدى وصول الاذاعة والتلفزيون كمسألة ذات أولوية، كما لم تتحرر كل الإمكانيات لتسييس البرامج. فأعطت انتباهاً اكثر نسبياً لمشاريع التنمية الأخرى.

الاذاعــــة

بدأ أول بث اذاعي في أي من هذه البلدان في الاربعينات وبدأ في معظمها بعد ذلك. وقد

تولت الحكومة الاردنية عام ١٩٤٨ المرسلات التي انشأها البريطانيون في مدينة رام الله في فلسطين الا انها لم توسع هذه التسهيلات بشكل كبير حتى منتصف الخمسينات حينما وجدت انها تقع تحت هجوم اذاعي من القاهرة بسبب حلف بغداد وكلوب باشا. وساعدت هذه الحرب الاذاعية على تشجيع الاردن لاقامة اجهزة بث جديدة في عمان عام ١٩٥٦.

وقطع ضياع الضفة الغربية بما فيها رام الله لاسرائيل في حرب عام ١٩٦٧ جزءاً من قدرات الاردن الاذاعية. ولم تكن الحكومة قد اعطت الاذاعة اولويات كبرى في توزيع مواردها الشحيحة. وغادر المذيعون الماهرون الاردنيون البلاد مما زاد في اضعاف النظام في بحثهم عن وظائف ذات مردود مادي اكبر في دول الخليج العربية.

وبدأ اليمن الشمالي البث الاذاعي ايضاً بعد الحرب العالمية الثانية، وكان ينقصه المال للاستثمار في وسائل الاعلام كما كان ينقصه الجهاز البشري المدرب كاملاً. وابدت الحكومة اهتماماً ايجابياً ضئيلاً بحيث كان ما يزال في هذا البلد في اواسط السبعينات نظاماً نظاماً اذاعياً بدائياً مع وجود ٩٠ ألف جهاز استقبال راديو موزعة بين اكثر من ٥ ملايين نسمة. وكان لدى الدول الاخرى في شبه الجزيرة العربية الوسائل المالية لتخصيصها للبث الاذاعي الا انها كانت بطيئة نسبياً في ذلك.

وحينما افتتحت العربية السعودية أول محطة اذاعية لها عام ١٩٤٨ فانها لم تكن مسموعة الا في منطقة جدة ومكة وطورت الحكومة السعودية الواعية لدورها الدولي في حماية الأماكن الاسلامية المقدسة قدرتها الاذاعية على الموجة القصيرة الموجهة للمسلمين في اندونيسيا والباكستان وفي أي مكان آخر الا انها لم تدفع قدماً بالاذاعة المحلية بقوة خاصة. ولم تفتتح محطة اذاعية في العاصمة الرياض حتى عام ١٩٦٣ او في الدمام للمستمعين في المنطقة الشرقية حتى عام ١٩٦٧[٢٦].

بدأ البث الاذاعي في الكويت المجاورة عام ١٩٥٢ ولم تكن تسمع اكثر من ٥ر٢ ساعة يومياً وازداد الرقم قليلاً حتى استقلال البلاد التام بعد تسع سنوات ونمت البرامج واعداد

المستمعين بشكل كبير بعد عام ١٩٦١ وهي مهمة سهلة في مثل هذه الدولة المدينة بوارداتها الوفيرة من النفط. ولم يكن هنالك في الامارات العربية الصغيرة على الخليج وفي عُمان في الجنوب بث اذاعي بادارة عربية قبل اواخر الستينات باستثناء البحرين التي افتتحت تسهيلات متواضعة عام ١٩٥٥. وعمل البريطانيون الذين كانوا مسؤولين عن الشؤون الخارجية والدفاع في المنطقة حتى عام ١٩٧١ على تشغيل محطة اذاعية من الشارقة ابتداء من ١٩٦٦ ولم يجد الحكام العرب اية حاجة ملحة لايجاد محطات اذاعية لشعوبهم. وافتتحت دول النفط الغنية في قطر وابو ظبي عام ١٩٦٨ ـ ١٩٦٩ محطاتها الاذاعية لأجل التعجيل في الاستقلال التام والمنافسة على حصولها لانتباه دولي. وتولت الامارات العربية المتحدة امر التسهيلات الاذاعية البريطانية عام ١٩٧١ كما عبرت رأس الخيمة احد اعضاء الاتحاد عن استقلالها عن الاتحاد بفتح محطة خاصة بها عام ١٩٧٤. ولم يكن في عُمان اية محطة اذاعية حتى ما بعد عام ١٩٧٠ عندما نحّى السلطان الجديد والده الرجعي وفتح البلاد على العالم الخارجي.

وبذلك فقد كانت ضغوط المنافسات الخارجية بشكل رئيسي بين دول متجاورة لاثبات نفسها بعد مغادرة البريطانيين هي التي حثت هذه الدول الصغيرة على استثمار بعض من ثرواتها النفطية في تسهيلات اذاعية. وقد اشترى هؤلاء الحكام اجهزة بث ضخمة وتجهيزات ستوديو خيالية واستقدموا المواهب الاذاعية لتوصيل صورة الاستقلال والسيادة والهوية الوطنية التي شعروا بحاجة دولهم الصغيرة اليها الى العالم اكثر من توصيل سياساتهم الحكومية على أمور محددة الى شعوبهم. وقد اعتبر الحكام الاذاعات رموزا خارجية للسلطة اكثر من كونها ادوات داخلية للاتصال ولم يعتبرها بالتأكيد عوامل تغيير اجتماعي[٢٧].

ولم تدفع الزعامة في شمال افريقيا في تونس والمغرب قدما بالاذاعة التي تديرها الحكومة كما فعلت الانظمة العربية الثورية الحاكمة.

فكانت المغرب مستقلة استقلالاً تاماً عام ١٩٥٦ الا ان إغلاق الحكومة لمحطة الاذاعة

التجارية لم يحدث حتى عام ١٩٥٩ حيث تولت امر ادارة البث الاذاعي بكامله لخلق شبكة قوية[٢٨].

ووضعت الحكومة التونسية التي تولت الامور عند الاستقلال عام ١٩٥٦ الاذاعة تحت دائرة حكومية الا انها اعطتها بعض الاستقلال. ولم تظهر الحكومة التونسية اهتمامها بوضوح لسياسة ضبط محكمة حتى عام ١٩٦٤ حينما عين الرئيس بورقيبة عضوا من الحزب التونسي الحاكم المكتب السياسي مديراً للاذاعة والتلفزيون التونسي ووسعت الحكومة التسهيلات الاذاعية بعض الشيء وأظهر مسح اجري عام ١٩٧٣ ان ما يعادل ٢٥ بالمئة من التونسيين البالغين في المدن كانوا لا يستمعون للاذاعة حتى ولو مرة واحدة اسبوعياً.

التلفـــزيون

لم يأت التلفزيون تحت ادارة عربية الى أي من هذه الدول العشرة حتى ما بعد عام ١٩٦١ وبشكل عام فقد تأخر خلف تطورات التلفزيون في الدول الاخرى. وكانت الحكومة الكويتية التي كانت لديها الواردات للانفاق على هذه الوسيلة الاعلامية الاولى من بين العشرة للدخول فيها. واذنت الحكـومـة الكـويتية الحديثة الاستقلال لمقاول ثري من القطاع الخاص باقامة محطة تلفزيونية ولم تتول امرها الا بعد أن بدأ التشغيل في هذه المحطة كما بدأت بتطوير نظام تديره الحكومة. واستطاعت الحكومة بموارد وفيرة وظروف جغرافية مثالية ان توفر بثاً تلفزيونياً جيداً لكافة سكان البلاد البالغ عددهم ٩٠٠ الفاً دون أية صعوبة.

وبدأت حكومة العربية السعودية البث التلفزيوني عام ١٩٦٥ فقط بعد حدوث بعض التأخير ولم تغط الشبكة المناطق الخمس الكبرى المدينة حتى تشرين الثاني ١٩٦٩. وكان السعوديون يمتلكون التمويل الكافي للقيام بهذا العمل بوقت أسرع، ولكن العناصر المحافظة قاومت بشدة إدخال الوسيلة الاعلامية كلياً وبذلك ترددت الحكومة في دفعها قدماً بسبب النتائج الاجتماعية المجهول. ورأت الحكومة أخيراً انه يمكن ان يشكل التلفزيون بديلاً لدور السينما العامة (والتي

كانت ولا تزال محظورة) وتحتم عليها قبول هذه الوسيلة التي كانت موجودة لدى دول أخرى لسنوات[٣٠]. وقد حث على قرار افتتاح التلفزيون السعودي اعتبارات اذاعية دولية. فكان البث الاذاعي من القاهرة في ذلك الوقت ينتقد الحكومة السعودية وكان السعوديون يستمعون اليه بشكل واسع وبذلك فقد اعتبر التلفزيون جزئياً اجراءً دفاعياً ذاتياً. وعندما افتتحت الحكومة السعودية عام ١٩٦٩ اكبر هوائي في الشرق الاوسط في الدمام باثنين من المرسلات بقدرة ١٢٫٥ كيلووط لكل منهما، لم يكن السبب اعطاء صورة تلفزيونية أفضل للسعوديين في المنطقة الشرقية وانما الوصول الى الكويت التي كان التلفزيون موجود فيها قرابة العقد[٣١]

وشعرت الدول العربية الأخرى على الخليج العربي بشكل يشابه هذه الحاجة للتنافس بهذه الوسيلة الاعلامية الالكترونية. واشترى العديد من الناس اجهزة استقبال تلفزيونية عام ١٩٦٨ قبل امتلاك اي من امارات الخليج السفاى الصغيرة أنفسها للتلفزيون لمشاهدة محطة التلفزيون الكويتية وارامكو (الظهران). وكان لدى كل من البحرين وقطر في ذلك الوقت عدد يبلغ ٧٥٠٠ و٢٥٠٠ جهاز استقبال تلفزيوني على التوالي لهذا الغرض. وساعد هذا التنافس عبر الحدود على تشجيع دبي وابو ظبي وقطر لاستخدام الفائض من واردات النفط لفتح محطات تلفزيونية للعرض عام ١٩٦٨، ١٩٦٩ و١٩٧٠ على التوالي. وكان لدى حكومات البحرين وعُمان المجاورة والتي لا تعد بنفس الدرجة من الثراء اولويات اخرى وبذلك فلم تعمل على فتح محطات تلفزيونية حتى عام ١٩٧٢ و١٩٧٤ المحطة التلفزيونية في البحرين مشروعاً تجارياً خاصاً للسنوات الثلاث الاولى[٣٢]. وافتتح اليمن الشمالي اخيراً وهو الدولة الأشد فقرا في شبه الجزيرة العربية النظام التلفزيوني في نهاية عام ١٩٧٥ لان حكومة ابو ظبي عرضت ان تقوم بتمويل المشروع كاملاً. ولم تظهر الحكومة اليمنية اية رغبة ملحة للاستثمار في التلفزيون[٣٣].

وتشجعت الحكومات ايضاً في المغرب وتونس لتركيب انظمه تلفزيونية محلية بسبب نمو التلفزيون في البلدان المجاورة اكثر من شعورها بالحاجة الملحة لخلق قناة اعلامية داخلية. وقد حصل كل من البلدين على الاستقلال عام ١٩٥٦ الا انهما لم يعملا على انشاء التلفزيون حتى

عام ١٩٦٢ و١٩٦٦ على التوالي. وقد استطاع التونسيون والمغاربة الذين يعيشون في المناطق الساحلية على البحر المتوسط ولسنوات عدة ان يلتقطوا البث الاوروبي وتمكن البعض عام ١٩٦٢ من مشاهدة التلفزيون الجزائري ايضاً. ولم تستطع الحكومتان التونسية والمغربية ان تبقى متأخرة في الخلف في تعزيز هذا الرمز الاكثر حداثة للدولة(٣٤).

افتتحت الحكومة الاردنية أخيراً عام ١٩٦٨ نظامها التلفزيوني بعدما حصل السكان في الاردن على اكثر من ١٠ الاف جهاز استقبال تلفزيوني لاجل مشاهدة برامج من دول مجاورة عديدة.

وجاء الدفع لانشاء التلفزيون لمعظم هذه الحكومات المحافظة من الضغط الخارجي بدلاً من اي اهتمام داخلي او نزعة فكرية لخلق اداة تصل الامة وتعمل على تعبئتها لاجل التغيير الاجتماعي. ويظهر ان ذلك غير موجود في هذه الدول.

البرمجـــة

يتصف مضمون واسلوب البث الاذاعي والتلفزيون في هذه الدول العشرة بالبرمجة ذات حافز سياسي اقل وبقدر اكبر من التسلية والثقافة الشعبية. وتقدم النشرات الاخبارية ومعالم الشـؤون العـامـة بشكـل مستمـر وثـابت شواهد لانجازات الحكومة الاخيرة وتمجد فضائل الشخصيات العليا. وتزود وزارات الاعلام المحررين بالارشاد والتوجيه عن البرمجة السياسية المتبعة. ويكون التوجيه احيانا من نوعية سلبية بحيث يعطي التعليمات للمحررين لتجاهل امور حساسة بدلا من استغلال بعض المواضيع بسبب قيمتها الدعائية. كما وتعطي قدراً أكبر من الحرية للمحررين الذين يبتعدون عن المواضيع الممنوعة لعمل برامج بالطريقة التي يرغبون فيها(٣٥).

ويتجه الزعماء الوطنيون في هذه البلاد باستثناء الرئيس بورقيبه خلال السنوات الاثنتي عشرة الاولى من الاستقلال التونسي الى عدم استغلال وسائل الاعلام الالكتروني لاجل الاتصال الشخصي المباشر مع الجماهير كما يفعل الزعماءفي الدول الثورية. وليس من الامور الشائعة لمحطة

الاذاعة والتلفزيون هذه ان تشن حملات عدائية لتعزيز المواضيع السياسية في التعليقات والمعالم والدراما والاغنية. وتكون البرمجة فيها اكثر لطفاً كما تكون الاغلبية منها غير سياسية(٣٦).

صرح مراقب داخلي في احدى هذه الدول بقوله: «ليس لدى الحكومة مجرد تفكير لاستعمل هذه الوسائل الاعلامية الالكترونية للتعبئة السياسية ولا تدفع الحكومة قدما امورا محدده في الاذاعة والتلفزيون وانما تولي امور هذه الوسائل الاعلامية الى فنيين تثق بهم وتعمل على مراقبة النتائج»(٣٧)

وتأخذ الاجهزة البشرية العاملة بالبث الاذاعي حذرها من كل ما هو سياسي بسبب الجو السياسي المهيمن في هذه الدول (التي تم بحثها في الفصل الرابع) وتفضل ان تبتعد عن كل المشكلات مع الحكومة. ولا تنعكس الاراء المناوئة لنظام الحكم في البرمجة الاذاعية ابدا لعدم وجود معارضة سياسية في جميع هذه البلدان تقريبا. وحتى في الكويت والمغرب حيث تعمل معارضة سياسية علنا فليس لها سوى حرية الوصول واستعمال الراديو والتلفزيون بشكل محدود - وهو أقل كثير من الصحفية، وتمثيل هذه التسهيلات التي تعمل الحكومة على ادارتها الى الخدمة من انتقاد الحكومات الاجنبية اكثر من وسائل الاعلام في الدول العربية الاخرى.

اسست حكـومة العربية السعودية مثر نظامها التلفزيوني اخذه بعين الاعتبار الدواعي الثقافية ودواعي التسلية بدلا من البرمجة السياسية وتحول المحررون الى الماد المسلية المستوردة وذلك عندما تبين ان هنالك صعوبة لملء الساعات الطويلة من البث التلفزيوني ببرمجه ثقافية مناسبة. وفي قطر ذكر مسؤول في محطة اذاعة قطر ان هدفها هو «دفع مسيرة الحضارة الى الامام ونشر الوعي الثقافي والاجتماعي بين المواطنين... ومحطة الاذاعة هي نافذة يرى المستمع العالم من خلالها

وتعتبر الوسائل الاعلامية الاردنية الالكترونية ذات محتوى سياسي منخفض وتتجه الى التركيز على التسلية بالرغم من ان الاسرائيليين والاردنيين - في حرب منذ ١٩٤٨ - يستطيعون رؤية وسماع الاذاعة والتلفزيون لكل منهما. ولا تتسم الحكومة الاردنية ببساطة بتسييس وسائل

اعلامها بشكل جذري لاجل تعبئة السكان من اجل التغيير.

وتعتبر الضوابط على البرمجة الاذاعية في هذه الدول العشرة في حالات عديدة ثقافية اكثر ممـا هي سيـاسيـة. ولا تزال المرأة السعودية مثلاً تمتنع عن الظهور على التلفزيون حتى في الثمانينات فالعادات الاجتماعية تتطلب وضع النقاب بين العامة. ويسمح لها بالتحدث في الاذاعة الا ان وسيلتي الاعـلام الاثنتين تحافظ ايضا على محظورات ثقافية واجتماعية اخرى ويهتم محررو البث الاذاعي بشكل مشابه في البلاد الاخرى بعدم انتهاك العادات والتقاليد ويعتمدون بشكل عام والى حد كبير على الاشرطة والافلام المستوردة وخاصة مادة التسلية من الغرب. ويتم تدقيقها جميعا قبل استعمالها للتحقق من مدى ملاءمتها الاجتماعية والثقافية والسياسية(٤٠).

الاذاعـة اللبنانيـة

يعتبـر لبنـان حالة خاصة من بين الانظمة الاذاعية العربية كما هو حالة بين الانظمة الصحفية العربية (راجع الفصل الخامس).

والاذاعة اللبنانية هي الوحيدة من بين وسائل الاعلام التي تمتلكها الحكومة وتعمل على تشغيلها. ولم تجد الحكومة اللبنانية الحديثة الاستقلال صعوبة في تولي الامور كليا بشكل احتكار عندما انسحب الفرنسيون من البلاد عام ١٩٤٦ وذلك منذ تأسيس الاذاعة عام ١٩٣٨ من قبل سلطات الانتداب الفرنسية التي اصرت على ادارتها كاملة. واسس الفرنسيون مسابقة الاذاعة الحكومية ولذلك استطاع المسؤولون اللبنانيون المحافظة عليها(٤١).

ومـارست وزارة الداخلية ادارة الاذاعة اولاً ثم تولت هذه المهمة وزارة الاعلام. وكانت الحكـومـة اللبنانية بطيئة نسبيا بالدفع قدما لتوسيع وسيلة الاعلام هذه. وبقي عدد اجهزة الاستقبال خلال السنوات الاولى من التشغيل من قبل الحكومة اللبنانية دون ٥٠ الف جهاز او ما يقل عن خمس اجهزة لكل ١٠٠ مواطن. ولم تخصص الحكومة الاموال اللازمة لتوسيع اجهزة البث حتى بداية الستينات حينما وصل البث الاذاعي جميع انحاء البلاد وتمكن عدد المستمعين

من النمو بشكل كبير. واشار مسح اجري عام ١٩٧٤ مع ذلك الى ان ما يزيد عن ربع السكان البالغين لم يستمعوا للاذاعة اللبنانية حتى ولو مرة واحدة اسبوعياً.

ويدير وزير الاعلام ومديره العام للاعلام سياسة التحرير مباشرة للاذاعة اللبنانية. ويتأكدان من ان البرمجة الهامة سياسيا تنطبق مع التوجيه الحكومي. ولم تتبع مع ذلك النشرات الاخبارية قبل عام ١٩٧٥ بشكل عام اي خط سياسي ثابت متميز بل كانت تقدم الامور في طريقه مباشرة ومتوازنة. وتم تخصيص معظم وقت البرامج للتسلية والمعالم التي لم تعكس اي تلون سياسي(٤٣).

بدأ التلفزيون في لبنان مشروعا خاصا مثله مثل الصحافة وكان لبنان حتى عام ١٩٧٨ البلد العربي الوحيد الذي تمتلك شبكاته التلفزيونية ويشغلها مصالح تجارية خاصة. وبدىء التلفزيون من قبل الشركة اللبنانية للتلفزيون في حزيران ١٩٥٩والشركة عبارة عن مشروع تجاري اسسه رجال اعمال لبنانيون مع مساهمة فرنسية. وشملت التغطية بحلول السبعينات بيروت وكذلك بعض الاحياء القريبة منها وطرابلس وتوسعت من القنالين الاثنين الى اربع. وبدأت محطة تلفزيون لبنان والشرق الادنى التي اسسها فريق آخر من رجال الاعمال اللبنانيين ببعض المساعدة البريطانية بثها التلفزيوني عام ١٩٦٢.

ووسعت هذه الشركة بسرعة الرقعة الجغرافية المغطاة كما وسعت البرمجة من قنال الى قنالين. وعمل كل من الشبكتين على البث طيلة المساء ووفر اختيارا من البرامج العربية والفرنسية والانكليزية. ونما عدد اجهزة التلفزيون طبقاً لذلك من (٦٠) الفاً عام ١٩٦١ الى اكثر من ٤٠٠ الفا في منتصف السبعينات.

واعتمد كل من المحطتين السابقتي الذكر على الدخل المتأتي من الدعاية واخذت الاعلانات التجارية اجزاء من البث التلفزيوني كما في التلفزيون الامريكي بالرغم من اختلاف في التوقيت. وتتجه الدعاية في لبنان كما في اوروبا الى ان تجمع معا قبل البرامج وبعدها بدلا من مقاطعتها،

كما ان الاتجاه السائد هو عدم السماح للشركات برعاية برامج محددة كما يحدث في الولايات المتحدة. وكان لدى الحكومة اللبنانية سلطة لاصدار تصاريح اذاعية للتلفزيون مما مكنها بموجب شروط هذه التصاريح من تحديد خطوط عريضة لسياسة تحرير الاخبار وتغطية الاحداث الخاصة.

إتجهت الحكومة لممارسة هذا الحق كقوة نقض على امور حساسة في اوقات الازمات السياسية فقط. وكان يقوم على كتابة وتحرير الاخبار محررو التلفزيون بواسطة المراسلين المحليين وخدمات الاخبار العالمية بحرية نسبية. فكانوا يهتمون بالابتعاد عن تفضيل فريق على فريق آخر او انتقاد قوة خارجية وبذلك اتجهت مادتهم السياسية الى اللطف اكثر من مادة الصحافة(٤٤).

وقامت المحطتان الاثنتان للتلفزيون اللبناني بدمج دائرتي الاخبار فيها عام ١٩٦٢ وما عدا ذلك فقد قاومتا المحاولات للتنسيق. وبقيتا منافسين تجاريين. وكان مجمل برمجتهما غير سياسي كما كان ثلاث ارباع هذه البرمجة من الافلام او شريط الفيديو المستورد. ولم تتناقص المصالح الاجنبية على مر السنين. فقد وفر الفرنسيون مواد كبيرة لشركة التلفزيون اللبنانية واصبح دورهم في هذه المحطة ذا اهمية كبيرة بحيث اصبحت مفاوضات التصاريح تعقد بينهم وبين الحكومات اللبنانية وكان تلفزيون لبنان والشرق الادنى بدوره يعتمد الى حد اكبر على الدعم الامريكي والبريطاني ومساهمة كبرى للورد تومبسون من Fleet Street ، لندن. واستخدمت شركة التلفزيون اللبنانية طريقة الالوان الفرنسية سيكام بينما استخدم تلفزيون لبنان والشرق الادنى نظام الالوان الالماني بال.

وقد اثر الصراع الاهلي اللبناني الذي انزل كارثة بالبلاد لاكثر من عقد عندما ابتدأ عام ١٩٧٥ في بنية ومضمون الاذاعة والتلفزيون في لبنان. واصبح لدى الفئات اللبنانية المختلفة اهتمام اوسع في وسائل الاعلام الالكترونية لشرح ارائهم حين تجمدت الخطوط الجغرافية واصبحت صحف الاحزاب غير قادرة على الانتشار بحرية. ولم تحاول هذه الفئات تولي امور هذه المحطات بالقوة في البداية تماما كما كانت قد تركت في البداية مكاتب الصحف على حدة.

وبدأت محطة اذاعية بثها من موقع سري مطلقة على نفسها اسم صوت لبنان لتساند احد اكبر زعماء القضية في الصراع، وهو حزب الكتائب المسيحي اليميني. وانطلقت محطة سرية اخرى على الهواء مطلقة على نفسها اسم صوت لبنان العربي لتهاجم «الكتائب الفاشي» بينما كانت تساند اليساريين والفلسطينيين(٤٦).

وعندما اعلن العميد عبد العزيز الاحدب انه استولى على السلطة في لبنان من الرئيس فرنجية انقسمت انظمة الاذاعة والتلفزيون النظامية اللبنانية الى قسمين متنافسين: وتولى الجنرال الاحدب امر اجهزة بث الموجة المتوسطة و FM وعمل على التأكد من ان شركة التلفزيون اللبنانية الواقعة في منطقة تلة الخياط في راس بيروت التي وقعت تحت سيطرته من انها تبث نشرات اخبارية عربية مؤيدة له كل مساء.

واستمر في هذه الاثناء مساندو الرئيس فرنجية ـ الذي رفض الاستقالة من الرئاسة ـ بادارة المرسلات على الموجة المتوسطة والقصيرة في المنطقة المسيحية شمال بيروت.

واستطاع فريق فرنجية القيام بالتحكم بتسهيلات تلفزيون لبنان والشرق الادنى حيث كان موقعها في ضاحية الحازمية في بيروت تحت السيطرة المسيحية منذ بداية الازمة. وكانت صيغة تلفزيون لبنان والشرق الأدنى للاخبار المسائية منحازة بوضوح لصالح فرنجية ومختلفة بحدة عن اخبار شركة تلفزيون لبنان.

واستقـال العميد الاحدب مع نهاية ايار ١٩٧٦ وتبنت محطة اذاعاته وتلفزيونه التحيز السياسي لجيش لبنان العربي الذي سيطر على المنطقة. واصبحت محطات الاذاعة والتلفزيون في لبنان تساند جيش لبنان العربي وفئات فرنجية كلا على حدة. وتم تثبيت رئيس جديد للجمهورية مع نهاية عام ١٩٧٦ وتحسن الوضع الامني وفقدت عناصر المعارضة سيطرتها على اجهزة البث الاذاعي والتلفزيوني.

ومع ذلك لم يبق الوضع اللبناني ثابتاً بالرغم من امال وجهود الجميع وتأثرت وسائل الاعلام

الالكترونية حالا مثلها مثل سائر المؤسسات اللبنانية ولمرة اخرى. بالاحداث السياسية والعسكرية.

واصبحت سبع محطات اذاعية غير مصرح لها خلال العقد التالي والتي كانت تخص فئات سياسية مختلفة عناصر ثابتة في لبنان تنافس الاذاعة اللبنانية التي تديرها الحكومة. واستمر صوت لبنان وتمت تقويته من قبل حزب الكتائب وقامت الحركة الناصرية (المرابطون) الاسلامية اليسارية المستقلة بتشغيل منافس له وهو صوت لبنان العربي. وانطلقت ميليشيا القوات المسيحية على الهواء في اذاعة لبنان الحر بينما عملت الميليشيات المسيحية في جنوب لبنان على تشغيل مستقل لصوت الامل وعندما تنازع الرئيس السابق فرنجية مع الجبهة اللبنانية عام ١٩٨٨ فقد بدأ صوت لبنان المتحد. وبدأت الجمعية الخيرية الاسلام عام ١٩٨٤ صوت الامة كما بدأ حزب الزعيم الدرزي وليد جنبلاط الحزب التقدمي الاشتراكي بثه الاذاعي صوت الجبل. واستمرت هذه المحطات بالعمل في منتصف الثمانينات بالرغم من قرار حكومة الوحدة الوطنية ـ التي كان فيها جنبلاط وزيرا ـ انه يتوجب عليها ان تنقطع عن البث وان تعيد احتكار الاذاعة اللبنانية(٤٨).

وتأثرت كذلك الاذاعة اللبنانية نفسها بالاضطرابات المستمرة. فعندما ادت المعارك في بداية ١٩٨٤ الى السيطرة على غرب بيروت بين الجيش اللبناني من جهة وحركة امل الشيعية والحزب التقدمي الاشتراكي من جهة اخرى الى سيطرة الميليشيات المعارضة ولواء الجيش السادس ذي الاغلبية الشيعية على المنطقة، قامت القوات المنتصرة بتغييرات بشرية كاسحة في وزارة الاعلام وفي تسهيلات الاذاعة الواقعة هناك. وساندت برامج الانباء في الاذاعة اللبنانية بعد ذلك اراء امل والحزب التقدمي الاشتراكي.

وتوصلت محطتا التلفزيون التجاريتان وهما الشركة اللبنانية للتلفزيون وتلفزيون لبنان والشرق الادنى عام ١٩٧٨ بعد وقوعها فريسة للازمات المتلاحقة الى اتفاق مع الحكومة اللبنانية لدمج ثلاثي في شركة اذاعية واحدة لكل لبنان دعي تلفزيون لبنان. وقد تحكمت الشركتان

التجاريتان الاصليتان بخمسة وعشرين بالمائة لكل منهما من الاسهم بينما كانت حصة الحكومة ٥٠ بالمئة مما ادخل الحكومة مباشرة في نظام تلفزيوني تحت ادارة خاصة. ومع ذلك فلم يتغير مضمون البرمجة للتلفزيون اللبناني بشكل كبير. ويحمل القنالان واحد واثنان البرامج العربية والانكليزية بينما يحمل القنال ٣ البرامج الفرنسية وتأتي المادة الانكليزية والفرنسية غالبا من الغرب.

وادى الاستيلاء على غرب بيروت في بداية عام ١٩٨٤ من قبل وحدات ميليشيا المعارضة الى تطورات بشرية وبرامجية في التلفزيون وكذلك في الاذاعة، وتم فصل الجهاز البشري الموحد العامل في الاخبار تلفزيون لبنان ونقله طبقا للانتماء الديني بشكل رئيسي. واصبحت نشرة الاخبار على القنال ٧ بغرب بيروت تكتب من قبل المسلمين بينما تكتب نفس نشرة الاخبار على القنال ٥ في الحـازميـة من قبل المسيحيين. وكان يمكن للمشاهدين معرفة الفارق بسهولة. وحيث كان البرنامجان بالعربية فكان يمكن للمشاهدين اختيار الاخبار حسبما يفضلون.

وبـذلك ساعد القتال الفئوي المرير المستثمر في لبنان على المحافظة على تعددية وسائل الاعلام الا ان ذلك كان على حساب تحيز اكبر من قبل وحدات اذاعية منفردة.

الفصل السابع

مصادر الاخبار الاجنبية للجماهير العربية

ما هي اهم قنوات الاخبار الاجنبية لوسائل الاعلام العربية؟ من يدير هذه القنوات وكيف يتأثر لمضمون الاخبار عبر هذه القنوات بالتصفية التي يمارسها المحررون المختلفون وصمامات الداخل على مساراتها؟ ما هي القنوات المختلفة الموجودة وكيف تطورت شبكاتها الى العالم العربي؟.

وعند تفحصنا لقنوات الاخبار فسوف لا نعمل على تحليل العوامل الاقتصادية والسياسية والفنية التي اثرت على شكل هذه القنوات فحسب. انما سنتعرض لتحليل العوامل التاريخية التي اثرت على عملها في البلاد العربية خلال الفترة التي تلت الحرب العالمية الثانية. وسيتركز البحث على خصائص الاخبار وتعدديتها مما يتوفر لمحرر عربي عن دول اخرى غير بلاده كالاخبار التي تتعلق بالولايات المتحدة مثلا. وسوف يشير البحث الى اجهزة التصفية المختلفة التي لا بد للاخبار ان تمر عبرها لتصل المحرر العربي ـ او المستمع العربي مباشرة كما هو الحال في النشرات الاذاعية الدولية.

يستخدم محررو وسائل الاعلام العربية مصادر اخبار مختلفة كل يوم. وتعتبر هذه المصادر اكثر اهمية بشكل عام فيما ـ يخص ـ قصص الاخبار المحلية التي تتعلق باحداث في بلادهم فقط وهي، وكالة الانباء الوطنية، الوزارات الحكومية، معدو الانباء، الكتاب المستقلون، الاذاعة (للصحافة)، والصحف (للاذاعة والتلفزيون) والمجلات ومصادر اخرى.

ومن المصادر الاكثر اهمية التي يستخدمها المحررون العرب لقصص الاخبار الاجنبية هي:

وكالاتْ انباء العالم، وكالات الانباء العربية والاخرى، النشرات الاذاعية الاجنبية، خدمات الفيديو الاجنبية (الافلام واشرطة الفيديو للتلفزيون)، الصحف والمجلات، المواد والمنشورات الصادرة عن السفارات الاجنبية، والمراسلات المقيمون في الخارج والتلفزيون ومصادر أخرى.

ويختلف استخدام نوع المصدر او غيره بالطبع طبقاً لطبيعة القصة نفسها والعوامل الاخرى. الا ان وكالات انباء العالم الخمس بشكل عام هي عماد العمل في الاخبار الاجنبية وتليها وكالات الانباء العربية والوكالات الاخرى والاذاعات الاجنبية وخدمات الفيديو (لمحرري اخبار التلفزيون). واما المراسلون العرب المقيمون خارج بلادهم الذين يبعثون التقارير للصحف او الاذاعة او محطة لتلفزيون (والذين يختلفون عن مراسلي وكالات الانباء) فهم قليلو العدد وبذلك فانهم لا يوفرون قدرا كبيرا من الاخبار الاجنبية لوسائل الاعلام العربية. واخيرا يجب ان نلاحظ التوفر المباشر لبعض من مصادر الاخبار هذه لنشرات الاذاعية الاجنبية للمستمع العربي بينما يعمل المحررون والمسؤولون الحكوميون على تصفية مصادر الاخبار الاخرى كأشرطة وكالات الانباء.

وسننظر بشيء من التفصيل الى كل مصدر من هذه المصادر الاخبارية بدء بوكالات الانباء العالمية الخمس ثم نتفحص الخدمات العربية وغير العربية الاقل حجما والمصادر الاخرى.

وكالات الانباء العالمية

تعمل اكثر من اربعين وكالة انباء على تزويد وسائل الاعلام العربية بالاخبار. وتعتبر خمس من هذه الوكالات وهي رويتر البريطانية، ووكالة الصحافة الفرنسية وتاس الروسية والاسوشيتدبرس ووكالة الصحافة المتحدة الدولية الامريكية وكالات عالمية حيث انها تحتفظ بشبكات من المكاتب في جميع انحاء العالم لجمع الانباء وتوزيعها على اساس يومي. بينما تنحصر البقية من هذه الوكالات بشكل اكبر في مجالها الجغرافي في بعض الاقاليم او في بلد واحد[1].

ومما يتوجب الاشارة اليه ان المحررين العرب يعتمدون بشكل كبير بشأن الاخبار الاجنبية وخاصة غير العربية على وكالات الانباء الغربية الاربع. وقد تأسست هذه الوكالات قبل وجود اية وكالة انباء عربية بوقت طويل. وبذلك كانت سباقة في خلق نماذج من التدفق الاخباري وتمكنت من المحافظة حينئذ على الكثير من مواقعها لانها كانت توفر خدمات لم يوجد لها شبيه.

الاحتكار الانكليزي والفرنسي المبكر خضعت جميع مصادر الانباء ذات الاهمية التي كانت تدخل العالم العربي من الخارج للتحكم البريطاني والفرنسي بما فيها الاخبار التي كانت ترد من امريكا. وقد عمل البريطانيون والفرنسيون على تأسيس انفسهم في القرن التاسع عشر كوردين وحيدين للاخبار الاجنبية الى هذه المنطقة وذلك بسبب نشاطاتهم الاستعمارية فيها.

وادت المصالح الاستعمارية البريطانية في القاهرة والخرطوم وعدن ومسقط لانشاء شبكة من الخطوط من انكلترا الى هذه المدن العربية منذ عام ١٨٦٠. واقامت الخدمة الاخبارية الخاصة التي كان يعمل على تشغيلها يوليوس رويتر احتكارا على جمع الانباء وتوزيعها في اقاليم الشرق العربي الخاضعة للبريطانيين على مسار الخطوط اولاً وفي الاماكن الاخرى بعد ذلك بما فيها العراق وفلسطين.

وفتحت خدمة الانباء الخاصة في الوقت نفسه التي كان يعمل على تشغيلها خارج باريس Charles Havas مكاتب لها في الرباط وتونس والجزائر حيث تولت الحكومة الفرنسية مسؤوليات استعمارية في هذه المدن. وطور Havas في نهاية الحرب العالمية الاولى احتكارا بشأن الاخبار الاجنبية الواردة الى سوريا ولبنان وذلك حينما تم تسمية فرنسا دولة انتداب على هذين البلدين. وتولت وكالة الانباء الفرنسية عام ١٩٤٥ الامر من Havas ، وكانت قادرة كما اورد المراقبون على تأسيس «احتكار فعلي على تدفق الانباء في الاراضي الخاضعة لفرنسا عبر البحار» حيث انها كانت مؤسسة حكومية فرنسية مستقلة(٣).

وكالات الانباء الامريكية

ساعدت وكالات الانباء الامريكية اسوشيتدبرس والصحافة المتحدة (عرفت بعد ذلك باسم

الصحافة الدولية المتحدة) على كسر الاحتكار البريطاني الفرنسي في السنوات التي تلت الحرب العالمية الثانية وبرزت هاتان الوكالتان عام ١٩٥٢ في الكويت والعربية السعودية، وكانتا تقومان على خدمة ١١ صحيفة في مصر، وصحيفتين في الاردن، وستة صحف في لبنان وصحف عديدة في سوريا والعراق[٤] وقد حصل ذلك لان محرري وسائل الاعلام العربية كانوا يبحثون عن تنوع لمصادرهم وقطع العلاقات الاستعمارية المقيدة ولان الوكالات الامريكية قدمت خدمة سريعة ومنافسة ودقيقة من الاخبار الدولية. كما ان هاتين الوكالتين الامريكتيين عملتا على تشغيل اجهزتها لمدة ٢٤ ساعة يوميا مما اعطى المشتركين حجما من الانباء اكثر مما كانت تقدمه وكالة الصحافة الفرنسية ورويتر اللتان كانتا تشغلان لمدة ١٥ـ٢٠ ساعة يومياً. وكانت وسائل الاعلام العربية خلال هذه الفترة تنمو نمواً سريعاً كما اصبح المستمعون لها مهمتين في الاخبار الدولية وبذلك سعى المحررون للايفاء بهذا الطلب بالاشتراك في هذه الخدمات العالمية المفيدة. كما ساعدت ازمة السويس عام ١٩٥٦ التي حطت من قدر البريطانيين والفرنسيين في عيون العرب على تحويل عدد اكبر من المحررين عن رويتر وكالة الصحافة الفرنسية الى الخدمات السلكية الامريكية.

ولاحظ المحررون العرب بعض الشبه بين الوكالتين الامريكيتين ولذلك فقد كانوا يختارون احداهما احيانا. واستطاعت الاسوشيتدبرس بصفتها اكبر وكالة انباء عالمية ان تقدم تغطية ممتازة للانباء والصور والمعالم مما اقنع العملاء العرب في عدد من الدول (الكويت، المملكة العربية السعودية، الاردن، السودان، العراق، وفي دول الخليج بعد تنازل البريطانيين عن حقوق خاصة لهم هناك) لاختيار اسوشيتدبرس على وكالة الصحافة المتحدة الدولية.

وبذلت وكالة الانباء المتحدة الدولية من جهة اخرى جهدا خاصا للدخول الى افريقيا الناطقة بالفرنسية بخدمة باللغة الفرنسية اشترك فيها وسائل الاعلام الجزائرية، والمغربية والتونسية[٥].

وكالة الانباء السوفياتية

وسعت وكالة الانباء السوفياتية تاس (وكالة التلغراف للاتحاد السوفياتي).

لسان حال الحكومة السوفياتية خدماتها في العالم العربي خاصة بعد عام ١٩٥٦. وكان استعمالها بانتظام قبل ذلك مقصورا على قليل من المحررين اليساريين والشيوعيين في لبنان وذلك لان نسخه انبائها كانت تعتبر غير موضوعية ولان تاس لم تبذل جهدا كبيرا لدخول العالم العربي(٦). وسعى ممثلو تاس في الخمسينات لتوسيع خدمتهم الاخبارية في الدول العربية. ولم يكن العامل المساعد في ذلك رغبة المحرر العربي في تنويع مصادره فحسب وانما كذلك الاحداث السياسية مثل ازمة السويس عام ١٩٥٦ وتنامي شعور «معادٍ للامبريالية» تمكن الاتحاد السوفياتي من الاستفاد منه. وبذلك استهلت تاس خدمة اخبارية يومية في القاهرة ودمشق وعمان في خريف عام ١٩٥٦(٧). وساعدت عوامل اقتصادية على توسع تاس؛ فقد كانت تاس تقدم خدماتها بدون مقابل في البداية على الاقل وكان ذلك ترتيبا مغريا للمحرر العربي الذي كان يجابه نفقات متصاعدة مع ميزانيات محدودة. وشجع محررون ماركسيون في بعض الاماكن صحفهم لتركيب اجهزة مستقلة وطابعه لاخبار تاس واتخذت الحكومات في دول اخرى - مثل اليمن الشمالي عام ١٩٦٠ قرارات متعمدة لادخال تاس كجزء من جهودها لاقامة علاقات جيدة مع الدول الشيوعية، بالرغم من فرض قيود تامة على الشيوعيين المحليين.

واوجد الاتحاد السوفياتي في شباط عام ١٩٦١ في جهد لنشر الصيغة السوفياتية للانباء في الخارج وكالة انباء ثانية قام بتقديمها حالا مكافأة للعملاء العرب. وكانت وكالة الصحافة والانباء نوفوستي مكتبا حكوميا يوفر المعلومات عن الاتحاد السوفياتي التي كانت تقوم السفارات الروسية ومكاتب تاس في العالم العربي بتعزيزها كمكمل لتاس. وكانت خدماتها مجانية بالرغم من انها لم تعتبر اكثر موضوعية من تاس وكانت تعطي المحرر العربي مصدرا اضافيا مكملا للمعلومات - وبذلك فقد تناول الكثيرون هذا المصدر.

واسست تاس ونوفوستي نفسها في بداية الستينات في المغرب وتونس وليبيا والسودان والكويت.

وبعد ان نجحتا في دخول العالم العربي على اساس مجاني فانهما حاولتا فرض رسوم اسمية لنشرات الاخبار المنتظمة، والمعالم والصور. واشترى بعض المشتركين العرب هذه الصفقة

الا ان اخرين لم يفعلوا ذلك او انهم تباطأوا بالدفع وعادة ما كانت الخدمة تستمر على اية حال. واصبـح لهمـا في مخارج في منتصف السبعينات في كل قطر عربي لاستثناء المملكة العربية السعودية ودولة الامارات العربية المتحدة. واستغرقت تقارير تاس ١٧ بالمائة منذ حجم نسخها فيما يتعلق بالولايات المتحدة ومعظمها كان منحازا سلبياً. وكان حجم الاخبار التي توزعها تاس في هذه المنطقة اقل بكثير مما كانت توزع الوكالات العالمية الاخرى: فكانت مثلا في نفس السنة تعادل ١٠ بالماية من قدرة الاسوشيتدبرس و٢٥ بالماية من الوكالات الاخرى ولهذا السبب لم تستخدم بانتظام الا في البلاد التي كانت تقيم علاقات سياسية وثيقة مع الاتحاد السوفياتي مثل العراق وسوريا[٩] ولسبب آخر هو اعتبار العديد من المحررين العرب للمادة الواردة على انها مجرد دعاية.

استمـرار منافسـة
رويتر ووكالة الانباء الفرنسية

بذلت كل من رويتر ووكالة الانباء الفرنسية كل جهد بالرغم من فقدان مواقفهما الاحتكارية وبالرغم من المشكلات والمنافسات التي واجهتهما بعد الحرب العالمية الثانية للمحافظة على ادوارها القيادية في توزيع الاخبار لوسائل الاعلام العربية. ونجحتا لانهما استطاعتا اعطاء المحرر العربي ما يحتاجه بشكل رئيسي، مما كان يعني احياناً تصميم الخدمة لتوافق الحاجات العربية مما لم تتجه الخدمات الامريكية الى تحقيقه.

وقـامت كل من رويتر ووكالة الصحافة الفرنسية بادىء الامر بفصل خدمتيهما للشرق الاوسـط عن خدمـة افـريقيـا مقدمتين لكل منطقة مختارات اخبارية منفصلة تنتقى لتناسب الاهتمامات المحلي. ويراهما العديد من المحررين العرب اكثر مناسبة من الخدمات الامريكية. وثـانيـاً، فقد كان لوكالة الصحافة الفرنسية موقف قوي في شمال افريقيا ولبنان كون نشرتها الاخبارية بالفرنسية، وسعت رويتر لتقليد ذلك بتطوير خدمة افريقية خاصة مترجمة للفرنسية.

وعملت وكالة الصحافة الفرنسية على نفس النمط اذ ترجمت نشرتها الاخبارية للشرق الاوسط الى الانكليزية من اجل توصيلها الى المحرر هنالك بسهولة اكثر. والاهم من ذلك كله، ان الوكالتين طورتا خدمة باللغة العربية خلال الستينات. وانشأت عام ١٩٦٤ الاخبار الاقليمية العربية في بيروت لترجمة وتوزيع اخبار رويتر بالعربية في جميع انحاء المنطقة[١٠]. وعقدت وكالة الصحافة الفرنسية عام ١٩٦٩ اتفاقية مع وكالة انباء الشرق الاوسط المصرية (مينا) لترجمة اخبار الوكالة الى العربية وتوزيعها في جميع انحاء العالم العربي. وتعاقدت رويتر ايضا مع مينا لترجمة نشرتها الاخبارية للمشترك المصري[١١]. وكان لهذه النشرات الاخبارية العربية اهمية كبرى في جعلها ذات فائدة للمحرر العربي.

مصادر الاخبار غير العربية الاخرى

حاول عدد من اصحاب الخدمات السلكية الدولية الى جانب الوكالات الخمس الكبيرة تطوير مخارج في العالم العربي بعد منتصف الخمسينات. واستطاعت بعض وكالات الانباء التي تديرها الحكومة في الدول الشيوعية اقناع المحررين العرب وخاصة في ما يسمى بالدول الاشتراكية ان يأخذوا مواد لهم بانتظام اما عن طريق اتفاق تبادل مع وكالة الانباء المحلية العربية او عن طريق نشرات مجانية. واستطاعت الوكالة اليوغسلافية Tanjug ان تسلك هذا السلوك في عدد من الدول بسبب الاهتمام العربي بتيتو كزعيم للعالم الثالث. ووجد كل من وكالة انباء الصين الجديدة في بكين ومكتب الصحافة التشيكي والوكالة الالمانية الشرقية عملاء في العديد من الدول العربية. كما ينشط في المنطقة ممثلو وكالات الانباء من المجر وبولندا وبلغاريا ورومانيا وكوبا وكوريا الشمالية وفيتنام. ويظهر ان استعمال موادهم قليل جدا.

وسعت كذلك بعض وكالات الانباء غير الشيوعية والاقل حجماً لدخول العالم العربي كان نجاحها محدودا.

الخدمات الاخبارية للتلفزيون

ان معظم مادة الاخبار الاجنبية التي تدخل الى العالم العربي هي كلمات وصور ساكنة تنتقل بواسطة خطوط سلكية او لاسلكية الى اجهزة الاستقبال لدى العملاء. ويتطلب التلفزيون نوعا خاصا من الخدمة الاخبارية ـ الصور المتحركة او اشرطة الفيديو ـ التي استطاع عدد من شركات اوروبا الغربية بشكل خاص توفيرها بشكل جيد الى حد معقول. وكانت الشركة البريطانية Visnews من انجح الشركات في توفير قصاصات الافلام واشرطة الفيديو عن طريق الجو الى العديد من محطات التلفزيون العربية. واصبحت المواد التلفزيونية متوفرة بشكل ايسر للعملاء العرب بعد ان انشأت الدول الاوروبية الغربية اتفاق تجمع التلفزيون الاوروبي عام ١٩٥٤ وتبعتها دول اوروبا الشرقية مباشرة بانشاء تجمعها Intervision في عام ١٩٦٠. وكان الوصول الى محطات التلفزيون في شمال افريقيا التي تتصل مع اوروبا بالمايكرويف سهلا نسبيا حيث كانت تنتقل المواد بشكل منتظم ومبكر. وكان يتوجب على شركة Visnews والموردين الاخرين ان يشحنوا قصاصات الافلام واشرطة الفيديو عن طريق الجو الى محطات التلفزيون في شرق العالم العربي. واشترك كل من محطات تلفزيون السودان والمملكة العربية السعودية والكويت على الخليج وحتى اليمن الجنوبي في هذه الخدمة بالرغم من بطء هذه الطريقة واستعملوا المواد بانتظام بالرغم من كون عمر هذه المواد احيانا يومان او ثلاثة في وقت اذاعتها على التلفزيون(١٢).

وتحقق وكالة الانباء الالمانية الغربية نجاحا افضل من الوكالات السابقة لانها تقدم من خلال وكالة انباء الشرق الاوسط مينا في القاهرة (مثل وكالة الصحافة الفرنسية) خدمة بالعربية الى العالم العربي بكامله(١٣).

ويوجد للوكالات الايطالية والاسبانية بعض المخارج في العالم العربي الا ان استعمالاتها قليلة.

اذن ، فقد اصبح لدى المحرر العربي بحلول السبعينات سهولة الوصول الى تشكيلة متنوعة من مصادر الاخبار غير العربية. وبعد ان كان لدولة عربية نموذجية عام ١٩٥٠ مصدر او اثنان

وغالبا ما كانت هذه المصادر اما رويتر او وكالة الصحافة الفرنسية فقد اصبح لديها بعد ٢٥ عامـا اجهزة التقاط وتسجيل للوكالات العالمية الخمس بالاضافة الى خدمات منتظمة لوكالات صغرى عديدة. ويظهر ان استخدام المحرر لهذه المصادر يفضل بشكل اكبر الوكالات الامريكية والفرنسية والبريطانية. ونجحت الوكالات الامريكية بسبب حجم ونوعية موادها وبسبب الاهتمام العـربي في الاحـداث المتعلقـة بالولايات المتحدة[١٤]. ونجحت كل من رويتر ووكالة الصحافة الفرنسية لانها استطاعت بالرغم من المشكلات المذكورة انفا ان تستمر بتوفير خدمات ذات فائدة للمحرر العربي. وفصلت كل من وكالة الصحافة الفرنسية ورويتر خدمات الشرق الادنى عن افريقيا وصممت هذه الخدمات بحيث توائم حاجات المحرر المحلي بعكس الوكالات الامريكية التي كان لديها خدمة واحدة بالانكليزية لما وراء البحار. لكامل الاقليم وقدمت الوكالة الفرنسية ورويتر موادهـا بالعـربيـة والانكليزية والفرنسية. وكانت هذه الجهود مجدية حيث ابقت على الخدمة البريطانية والفرنسية منافسة للأمريكية. ولم تنجح وكالة تاس السوفياتية من ناحية اخرى سوى في اماكن واوقات حيث تجبر العلاقات الوثيقة مع الاتحاد السوفياتي المحرر باستخدامها بشكل ثابت ومستمـر. وكانت وكالات الانباء المفضلة بوضوح بشكل عام من بين وكالات الانباء غير العربية هي الامريكية والبريطانية والفرنسية. واستطاع البريطانيون والفرنسيون بالفعل، كما يظهر الجدول رقم ١٠ المحافظة على الاقل على مراكز قيادية في معظم مناطقها المستعمرة سابقاً.

وبذلك كان لدى كل من رويتر ووكالة الصحافة الفرنسية واي من وكالات الانباء الامريكية بحلول السبعينات مشتركون في كل بلد عربي تقريباً. وكانت جميع هذه الوكالات تزود المحرر العربي بقدر كبير من الاخبار المتعلقة بالدول الغربية بما فيها الولايات المتحدة. وبلغت نسبة الاخبـار الامريكية ٢٩ بالماية من اخبار وكالة الصحافة الفرنسية لعملاء الشرق الادنى تموز ١٩٧٥ مثلا كما بلغت الاخبار الامريكية ٢٢ بالماية من اخبارها الى عملاء الشمال الافريقي. بينما بلغت الارقام التي حققتها رويتر ٣٢ بالماية و١٦ بالماية. وحققت الوكالات الامريكية بالطبع نجاحا افضـل حيث مراكـزهـا الرئيسيـة في الولايـات المتحدة وحيث نشراتها اكبر ضخامة. ووفرت الاسوشيتدبرس مثلا عام ١٩٧٥ اخبارا تتعلق بمواضيع امريكية تزيد بنسبة خمسين بالمائة عما

جدول رقم ١٠
الترتيب المتسلسل لمصادر الاخبار الاجنبية ذات الاهمية
لوسائل الاعلام العربية
(١٩٧٥)

	بريطانية	فرنسية	امريكية	غربية اخرى	روسية	شيوعية اخرى
مناطق نفوذ بريطاني سابق						
مصــر	١	٤	٢	٥	٣	٦
السودان	١	x	٢	x	x	x
الاردن	١	٣	٢	x	x	
العراق	٣	٢	x	x	١	x
اليمن الجنوبي	١		x	x		
الكويت	٢	٣	١	٤	٥	
ليبيــا	١	٣	٤	x	٢	
بحــرين	x		x			
قطــر	١		٢			
الامارات العربية المتحدة	١		٢			
عُمــان	١					
مناطق نفوذ فرنسي سابق						
تونس	٢	١	٣	٥	٤	٦
المغـرب	٣	١	٢	٥	٤	٦
الجزائر	x	١	x	x	x	x
لبنــان	٢	٣	١	٤	٥	٦
ســوريا	٢	x	x	x	١	x

مصادر المعلومات من وكالة الولايات المتحدة للمعلومات "Country Data Sheets" لعام ١٩٧٥ و١٩٧٦ ومن مقابلات مع موظفي وكالات الانباء في نيويورك ولندن وباريس وواشنطن. تشير الارقام الى الترتيب المتسلسل لوسائل اعلام الدولة ككل. وتشير العلامة x الى استعمال الخدمة الا ان الترتيب غير واضح.

وفرت رويتر او خدمة الشرق الادنى التابعة للوكالة الفرنسية كما وفرت اخبارا تتعلق بمواضيع امريكية تبلغ ضعفين ونصف ما حققته خدماتهما للشمال الافريقي[١٥].

وبذلك حصل المحرر العربي على كمية وفيرة من المادة المتعلقة بالولايات المتحدة.

وكالات الانباء العربية والاخبار الاجنبية

اقامت كل دولة من الدول العربية الثماني عشرة مع منتصف السبعينات وكالات للانباء. الا انها كانت تختلف تماما عن الوكالات الغربية للانباء التي تم بحثها سابقا من حيث الغرض والوظيفة الفعلية.

وكانت الاهداف الفعلية الحقيقية لهذه المنظمات الثماني عشرة حين تأسيسها كما يلي:

١ـ الرفع من مستوى توزيع المعلومات المتعلقة بالحكومة الوطنية والدولة.

٢ـ تحسين الضبط الحكومي في الحصول على الاخبار الاجنبية الواردة. وتم تنظيم هذه الوكالات الثماني عشرة جميعا كدوائر في حكوماتها الوطنية وتتجاوب جميعها مع توجيه السياسة الرسمي. وبذلك فقد صممت بحيث توزع وتعمل على ضبط المعلومات المحلية بشكل رئيسي ولم يتم ايجادها لجمع الاخبار الاجنبية. وطور عدد قليل من هذه الوكالات شبكات وتبادلاً أوصلها بشكل ثانوي الى جمع الاخبار الاجنبية وسنجري تفصحا لهذا التطور. ولكننا سنتفحص اولا الخصائص الاساسية لهذه المؤسسات.

ويورد الجدول رقم ١١ وكالات الانباء العربية تبعاً لتاريخ تأسيسها.

جدول رقم ١١
وكالات الانباء الوطنية في البلاد العربية

البلد	السنة	الوكالة
السودان	١٩٤٦	وكالة الانباء السودانية * (SUNA)
مصــر	١٩٥٦	وكالة انباء الشرق الاوسط (MENA)
المغرب	١٩٥٩	صحافة المغرب العربية (MAP)
العـراق	١٩٥٩	وكالة الانباء العراقية (INA)
تونــس	١٩٦١	صحافة تونس الافريقية (TAP)
الجـــزائر	١٩٦١	وكالة الصحافة الجزائرية (APS)
الاردن	١٩٦٥	وكالة الانباء الاردنية (JNA)
ســوريا	١٩٦٥	وكالة الانباء العربية السورية (SANA)
ليبيــا	١٩٦٦	وكالة انباء الجماهيرية (JANA)
لبنــان	١٩٦٦	وكالة الانباء اللبنانية (LNA)
اليمن الجنوبي	١٩٦٨	وكالة انباء عدن (ANA)
المملكة العربية السعودية	١٩٧١	وكالة الصحافة السعودية (SPA)
الجمهورية اليمنية	١٩٧١	وكالة انباء صعبا (SAPA)
قطــر	١٩٧٥	وكالة انباء قطر (QNA)
عُمــان	١٩٧٥	وكالة الانباء العمانية (ONA)
الامارات العربية المتحدة	١٩٧٦	وكالة انبـاء الامارات (ENA)
البحـرين	١٩٧٦	وكالة انبـاء الخليج (KNA)
الكـويت	١٩٧٦	وكالة الانباء الكويتية (KUNA)

* أسست وكالة الصحافة السودانية عام ١٩٤٦ وحلت وكالة الانباء السودانية SUNA محلها عام ١٩٦٠

+ تم تأسيس وكالة الانباء الليبية عام ١٩٦٦ وتغير اسمها ليصبح وكالة الانباء العربية الثورية عام ١٩٧٥، (JANA)

توزيع الانباء الوطنية

كان الحافز الاول لتأسيس وكالات الانباء الثماني عشرة هذه تديرها حكوماتها هو الرغبة في تحسين عملية توزيع الانباء المتعلقة بالامة والحكومة. اذ كان هنالك شعور في جميع هذه البلدان بوجود مغالطات وسوء فهم، كان يتوجب تصحيحها.

تم تأسيس وكالة الانباء التونسية مثلا حسبما اورد احد مديريها بقوله، «كنا نعتمد على وكالات الانباء الاجنبية لتوزيع الاخبار في الخارج الا ان هذه الانباء لم تكن تعرض من وجهة النظر التونسية بالرغم من انها لم تكن اخبارا خاطئة»(١٦).

وكذلك فقد كان تعليل ادارة وكالة الانباء المغربية لايجاد الوكالة مشابهاً: «توجد حاجة في كل بلد لاقامة وتطوير وكالة خاصة به بالرغم من الخدمة التي تقدمها وكالات الانباء الكبيرة مثل الاسوشيتدبرس والوكالة الفرنسية ورويتر وتاس ووكالة الصحافة المتحدة العالمية لصحافة العـالم وذلك من اجل عرض وجهة نظر ذلك البلد وتوفير الاخبار للصحافة والمنظمات الوطنية وارسال اخبار البلد الى الخارج من وجهة النظر الوطنية. واعتمد شمال افريقيا اعتمادا كليا على الدول الاجنبية فيما يتعلق بالاخبار... ولم يفِ تأثير المنظمات الاجنبية على اخبار المغرب التي كانت تقوم بتوزيعها بحاجاتنا الوطنية. فاحيانا تكون الاخبار مشوهة او حتى غير مذكورة».

وقد زاد حلول التلفزيون من حالة الاستياء وتذمر اتحاد اذاعات الدول العربية الذي اقيم للمساعدة في التعامل مع هذه المشكلة علنا من اعتماد محطات التلفزيون العربي على الشركة البريطانية Visnews لتوفير الافلام التلفزيونية(١٨).

ولم يقتصر هذا الشعور على المسؤولين الحكوميين فحسب بل تعداهم في اوجه عديدة الى الصحافيين المهنيين العرب. وتم تأسيس وكالة انباء الشرق الاوسط مثلا عام ١٩٥٦ في نفس السنة التي حدثت فيها ازمة السويس حينما رأى الصحفيون المصريون تحيزا خاصا من قبل

وكالات الانباء الغربية. واتحدت دور النشر الكبرى في القاهرة لايجاد وكالة انباء الشرق الاوسط لتأخذ في حسابها وجهة النظر العربية في اختيار الاخبار. وابتدأت وكالة انباء الشرق الاوسط مشروعا خاصا، الا ان الحكومة تولت امرها عام ١٩٦٢[١٩]. وكان الصحفيون في دول عديدة الداعون الى تأسيس وكالة انباء عربية يعتقدون بوجود حاجة لها حتى مع وجوب كونها مؤسسة حكومية وعبروا عن ذلك بقولهم: «ان السم الوطني خير من السم الاجنبي»[٢٠].

وتم ترجمة هذا الاهتمام الشائع لعرض وجهة النظر الوطنية من قبل النظام الحاكم في السلطة الى جهد اكبر واكثر عدوانية لتطوير وكالة انباء كاداة للدعاية للسياسات الحكومية. وتأسست وكالة الصحافة الجزائرية مثلا عام ١٩٦١ من قبل صحفيين جزائريين في المنفى بتونس اثناء الحرب الجزائرية لتكون جزء من الدائرة الاعلامية التابعة لجبهة التحرير الوطنية من اجل المساعدة في نشر الرأي الجزائري عن الحرب. وانتقلت وكالة الصحافة الجزائرية عام ١٩٦٢ بعد الاستقلال الى الجزائر الا انها بقيت تحت جبهة التحرير الوطنية. وقد شرح الرئيس الجزائري عن واجبها الدعائي بقوله: «انه لمن الواضح ان هذه الوكالة لا يمكن ان تكون كائنا حيا لنشر الحقائق فحسب ولكن لا بد ان تكون فوق كل شيء سياسية وايديولوجية وفي خدمة الأمة وكل قوى الدولة الحيوية. ولا بد لوكالة الصحافة الجزائرية من اجل انجاز هذه الرسالة ان تتعاون الى حد بعيد مع الحزب والحكومة وجميع المنظمات الوطنية»[٢١].

وكونت الانظمة الحاكمة في العراق وسورية واليمن الجنوبي وليبيا (ما بعد ١٩٦٩) نفس الرأي عن وكالات انبائها الوطنية كادوات للتعبئة السياسية بشكل رئيسي. وغير النظام الحاكم الليبي عام ١٩٧٥ من الاسم المحايد لوكالة الانباء الليبية الى «وكالة الانباء العربية الثورية» للرمز الى هدفها السياسي النشط.

وتعتبر اغلب الانظمة العربية الحاكمة وكالات ابنائها ضرورية لشيء بسيط وهو ملء الفجوات وتصحيح سوء الفهم مما يعتقد وجوده في معرفة بلادهم وحكومتهم.

واخيرا لا بد من ذكر وكالة انباء عربية تمثل المصالح الفلسطينية ولا ترتبط باي دولة إذ انها ظهرت بعد عام ١٩٦٧ واصبحت مصدرا مهما للانباء والاراء لوسائل الاعلام العربية. وتم تأسيسها لنفس الدواعي التي تم بحثها سابقاً حيث عملت منظمة التحرير الفلسطينية على ايجاد وكالة انباء فلسطين الثورة عقب كارثة الحرب العربية الاسرائيلية عام ١٩٦٧ اثر انتشار الوطنية الفلسطينية والاستياء من الوضع الراهن.

وافتتحت وكالة انباء فلسطين التي تركزت في بيروت فروعا لها في عدد من العواصم العربية كانت تعمل على توصيل النشرات الاخبارية اليومية لوسائل الاعلام المحلية، وهي التعليقات والبيانات الرسمية الصادرة عن منظمة التحرير الفلسطينية. وقد وصف متحدث من وكالة الانباء الفلسطينية الوكالة بقوله: «لقد اقيمت الوكالة من اجل التعبير عن خط ثورتنا ومبادئها وعن انتصارات مقاتلينا ومن اجل كشف مخططات ومتاجرة الخونة والعملاء والاعداء»[٢٢] وتعتبر اسرائيل العدو الاول بالطبع ويتبين من الحكم على مضمون انتاج وكالة انباء فلسطين ان العدو الثاني هي الولايات المتحدة. ويشمل «العميل» تلك الحكومات العربية التي لا تساند منظمة التحرير الفلسطينية بشدة كافية اما «الخونة» فهم بشكل عام الفلسطينيون الذين لا يلتزمون بالنهج المسيطر لمنظمة التحرير الفلسطينية.

تنظيم الاخبار الاجنبية الواردة

اما الهدف الثاني لهذه الوكالات فهو المساعدة في تحسين التنظيم والتأثير الحكومي على الاخبار الاجنبية الواردة. وتنقسم الدول العربية الثماني عشرة عملياً الى ثلاث مناهج مختلفة الى حد ما في القيام بهذه الوظيفة.

اما منظمة الانباء الوطنية في ثمان من الدول العربية وهي الجزائر والعراق وليبيا وعمان والسودان وتونس واليمنان هي المنظمة الوحيدة في البلاد التي يسمح لها بالاشتراك في الخدمات السلكية الاجنبية. ولا بد من مرور كل الاخبار الاجنبية الواردة من خلال وكالة الانباء الوطنية التي تقوم باختيار المواضيع وتحريرها احيانا وارسالها الى الصحافة والاذاعة والتلفزيون. ويعطي

هذا الترتيب محرري الوكالات الوطنية والحكومات التي يعملون في خدمتها امكانية كبيرة لتنظيم الاخبار الاجنبية. فهم في الواقع صمامات ابواب قوية تستطيع حجز بعض القصص خارجاً وزيادة الاهمية للبعض الآخر لتناسب اهدافهم السياسية.

ويوفر هذا النظام قدرا اقل من حرية الاختيار لمحرري وسائل الاعلام والذين يعتبرون انفسهم صمامات للابواب مما لو تمكنوا من الوصول المباشر الى نشرة الخدمة السلكية الاجنبية. وشرح مسؤول من وكالة الصحافة الافريقية التونسية مهمته التحريرية بقوله: «نعمل على حماية تونس من الكـذب ونحـرص على ابعـاد التشويش في الرأي العام». اما مسؤول وكالة الانباء السودانية المشابه فقد اعطى مثالا بقوله: «ان وكالة الانباء السودانية هي وكالة حكومية وبذلك فان القصص الواردة التي تحتـوي على نعوت سلبية عن الزعماء السودانيين يتم حذفها»[٢٣] واصبحت الوكالة السودانية وكالة مستقلة عام ١٩٨٦ مما يعني اذ ذلك قد يتغير.

ولا يوجد احتكار لوكالة الانباء الوطنية في مجموعة ثانية من تسع دول عربية وهي البحرين ومصر والاردن والمغرب والكويت وقطر والمملكة العربية السعودية وسوريا والامارات العربية المتحدة في الحصـول على الاخبـار الاجنبيـة حيث يسمـح لوسـائل الاعـلام بالاشتـراك المباشر في الاسوشيتدبرس او تاس او اي واحدة اخرى. الا ان وكالة الانباء الوطنية في هذه الدول هي الوكـالة المحلية الوحيدة المسموح بها وبما انها لسان حال الحكومة فان لها تأثيرا كبيرا على استخدام الاخبار الاجنبية عمليا. وهذا نوع اشد دهاء من عمل الصمام الذي يقلد المثل ويعمل بالتـوجيه غير المباشر بدل التصفية المباشرة للمعلومات الأجنبية. ويمكن ان يكون لدى محرر الصحيفة جهاز استقبال وطباعة خاص بالاسوشيتدبرس مثلا ولكنه من المحتمل ان ينظر الى نشرة وكالة الانباء الوطنية اذا كان للقصة معان سياسية للحصول على رؤوس اقلام عن كيفية تفكير الحكومة بهذه القصة. وبذلك فان اختيار الاخبار والتحرير واعطاء الخلفية من قبل وكالة الانباء الوطنية تشكل قناة توجيه لوسائل الاعلام على اساس يومي وحتى كل ساعة. ويقوم محررو وسائل الاعـلام بتفحص التصريحـات الرسمية في النشوة الخارجية وينظرون الى الصيغة الحكومية للقصص الاخبارية المتداولة من أجل الحصول على توجيه النظام الحاكم بشأن الطريقة التي

ترغب فيها الحكومة في التعامل معها.

واخيرا فان هنالك نظام ثالث يسري في لبنان وهو البلد الذي تتبع وسائل اعلامه في نواح شتى قواعد فريدة. ان وكالة الانباء اللبنانية هي منظمة حكومية كمثيلاتها في بقية العالم العربي ولكنها تبقى بدون احتكار كما ان تأثيرها على الاخبار الاجنبية الواردة ضعيف تماما. وظهر العديد من وكالات الانباء التجارية المتنافسة ذات الحجم الصغير قبل تأسيس وكالة الانباء اللبنانية عام ١٩٦٦ بوقت طويل في لبنان وعكست هذه الوكالات ـ على حد نموذجي ـ طيفاً من الاتجاهات السياسية المختلفة.

وليست هذه الاتجاهات ثابتة تماما كما ان الوكالات تجيء وتغدو ايضا وتبقى المنافسة[٢٤] بينها قائمة ويستطيع المحرر اللبناني لوسائل الاعلام ان يعلم احيانا من وكالة الانباء اللبنانية كيف تنظر الحكومة اللبنانية الى قصة او حادثة معنية ولكنه يستطيع الوصول الى تفسيرات اخرى ليس من المصادر الاجنبية فحسب وانما من المصادر المحلية وبذلك فانه يتمتع بحرية اكبر لاختيار صيغة تناسبه.

تجميع الاخبار الاجنبية

كانت وكالات الانباء العربية اقل فعالية الى حد كبير ـ واقل اهتماما ـ ببذل جهد كبير لتجميع الاخبار الاجنبية لوسائل الاعلام المحلية. ولم تطور الدول العربية الثماني عشرة مع وجود حالة استثنائية واحدة منفردة او مجتمعة خدمة سلكية دولية حقيقية بتسهيلات كاملة لتجميع وتوزيع الانباء بسرعة وعلى مقياس دولي متعدد الجوانب.

والاستثناء الوحيد هو وكالة انباء الشرق الاوسط المصرية (مينا). فقد طورت مينا قدرة دولية خلال الستينات والسبعينات وجهازا بشريا من ٣٠٠ صحافي حيث اصبحت وكالة مسيطرة من نوعها.وتعتبر مينا وكالة الانباء العربية الوحيدة بمشتركين في اجهزة استقبال الانباء وتسجيلها في كل بلد عربي كما انها تحتفظ بمكاتب في كل من هذه البلدان جميعا. وتستمر نشرة مينا العربية الاخبارية لمدة ١٨ ساعة يوميا للعملاء العرب كما ان النشرة الانكليزية والفرنسية تستمر ايضا

لمدة ١٨ ساعة يوميا للعملاء الاوروبيين والافارقة. ولهذه الوكالة (مينا) مراسلون في جميع انحاء العالم العربي وكذلك في باريس ولندن وبلغراد وواشنطن. وكذلك فانها ترتبط بعقود مع وكالات الانباء الاجنبية لبث نسختهم على شبكتها الواسعة من اجهزة الارسال الكاتبة وترتبط باتفاقيات لتبادل المواد التلفزيونية مع المنظمات العربية والغربية وكذلك لتبادل الصور مع العديد من الوكالات(٢٥).

وتعتبر وكالة انباء الشرق الاوسط (مينا) المنظمة العربية الوحيدة التي تملك هذا النوع من الشبكة الدولية. فبينما يوجد لدى سبع وكالات انباء عربية مراسلون خارج بلادهم الا ان هؤلاء المراسلين نادرا ما يستشهد بهم كمصدر باستثناء الاحداث التي تتعلق ببلدهم. ولقد بذلت جهود منذ عام ١٩٥١ على الاقل لتأسيس وكالات انباء في العالم العربي ذات جنسيات متعددة من اجل التعامل مع التحيز الذي يلاحظه الصحفي العربي في مضمون وكالة الانباء الدولية(٢٦). الا ان هذه الجهود لم تؤثر على تدفق مواد وسائل الاعلام باي طريقة كبرى.

وادت المباحثات القومية العربية عبر السنين الى تأسيس اتحاد اذاعات الدول العربية عام ١٩٦٩. ولم يكن الحافز الى ايجاد الاتحاد بشكل رئيسي هو الحصول على الاخبار وانما توزيع المعلومات. وكان الهدف الرئيسي لهذا الاتحاد كما ورد في الاتفاقية هو «تعريف جميع شعوب العالم بواقع الامة العربية وامالها واهدافها واهتماماتها»(٢٧) وتفاوض الاتحاد مع التجمعات التلفزيونية Eurovision و Intervision في اوروبا الغربية والشرقية على التوالي بشكل خاص لاجل زيادة تبادل المواد التلفزيونية. ولم يكن لهذه الجهود وقعها المقصود على تدفق الانباء. وبين مسح رسمي قام به اتحاد اذاعات الدول العربية عام ١٩٧١ ان التعاون بين الدول العربية في الحصول على الاخبار التلفزيونية ما زال قليلا جدا(٢٨).

ونما التبادل مع Eurovision نوعا ما منذ ذلك الوقت بالرغم من كونه لا يزال بسيطا وباتجاه نحو الشرق من الغرب بشكل كبير. وتشير دراسة اجريت في اذار ١٩٧٦ مثلا على تدفق الاخبار التلفزيونية ما بين Eurovision ونظام التلفزيون المصري الى ان Eurovision قامت بارسال ١٦١ مادة الى القاهرة في ذلك الشهر لم يستعمل منها سوى خمس عشرة مادة. وبلغت قيمة اسهام

Eurovision في برنامج اخبار تلفزيون القاهرة في ذلك الوقت ٥ بالمائة بينما ساهمت وكالات الانباء النظامية بخمسة عشر بالمائة[٢٠].

وحاول الصحافيون العرب في شمال افريقيا جاهدين مع اتحاد اذاعات الدول العربية لايجاد ترتيبات تعاونية ولكنها حققت نجاحا محدودا. عندما اسس فريق من الصحافيين المغاربة وكالة الصحافة الوطنية المغربية عام ١٩٥٩ فقد قصدوا لها ان تكون خدمة اقليمية للشمال الافريقي يقوم على ادارتها الدول الاربع مجتمعة وبناء عليه فقد احتفظوا فيها باسهم للجزائر وتونس وليبيا الى حين التزامهم بالاتفاقية. الا ان الدول الثلاث لم تنضم الى الاتفاقية بسبب الاختلافات السياسية. وقامت المغرب وتونس والجزائر بتأسيس نظام تبادل تلفزيوني باسم مغرب فيجن Magrebvision بقصد الانتاج المشترك وتنسيق البث التلفزيوني الا ان التعاون كان مقتصراً عملياً على المواد غير السياسية فقط. ويجري تبادل المواد التلفزيونية على اساس ثنائي بين دول عربية اخرى الا ان حجم هذا التبادل ليس كبيرا.

وتعتبر مصر ولبنان موردين بارزين. فقد كانت مصر في منتصف السبعينات مثلا ترسل عشرين مادة شهريا لسوريا والاردن والسودان في حين لم تكن تستلم منهم[٣٠] نصف هذا العدد.

وتجب الاشارة الى ان الدول العربية قد اعطت بعض الاهتمام لتبادل الاخبار بواسطة اتصالات بالاقمار الصناعية. وكان لدى ١٤ دولة من الدول العربية الثماني عشرة محطات ارضية للاقمار الصناعية بحلول عام ١٩٧٧. واصدر وزراء الاعلام العرب عام ١٩٧٤ قرارا في اجتماع لهم في القاهرة بالموافقة على مشروع قمر صناعي عربي. وقاموا باطلاق «عربسات» عام ١٩٨٤ وهو قمر اتصالات صناعي عربي لتجميع الاخبار ولكنه كان عالي التكاليف بحيث انه بحلول عام ١٩٨٦ ومع ان المملكة العربية السعودية قامت بدفع ٧٠ بالمائة من التكاليف الا انه كانت هنالك شكوك حول مستقبله.

وساندت دول عربية عديدة من ناحية المبدأ على الاقل ايجاد تجمع لوكالات الانباء غير المنحازة. وقرر مؤتمر عدم الانحياز الخامس الذي عقد في كولومبو في آب ١٩٧٦ تأسيس هذا التجمع. واقرت الحكومات العربية هذه الفكرة لنفس الاسباب التي ادت بها الى ايجاد وكالات

انبـاء وطنية. وحسبما جاء في حديث وزير الاعلام المصري للجنة تنسيق التجمع في جلستها الافتتاحية في القاهرة عام ١٩٧٧ بقوله: «ان وكالات الانباء الدولية قد عملت ولمدة طويلة على خدمة الاهداف السياسية والاقتصادية للدول العظمى وتجاهل الاخبار المتعلقة بالدول النامية مما يشكل خطرا كبيرا على حرية التعبير وحرية الصحافة»(٣٢).

ويعمل التجمع غير المنحاز من خلال تقديم الاعضاء مواضيع اخبارية لوكالة يوغسلافيا التي تقوم بدورها باعادة ارسالها الى عملاء حول العالم. واشارت دراسة اجريت عام ١٩٧٧ على مواد التجمع ان من بين المشاركين الحقيقيين الستة والعشرين كان هنالك عشرة وكالات انباء عربية وطنية واما الحادية عشرة فكانت وكالة انباء فلسطين وفا. ولم يسبق وكالة انباء الشرق الاوسط المصرية في حجم المساهمات سوى الوكالة اليوغوسلافية. وبسبب هذا الاشتراك العربي العالي في التجمع فان الصراع العربي الاسرائيلي بالاضافة الى مسائل اخرى ذات اهتمام حيوي بالنسبة للعرب تستأثر بجزء كبير غير متناسب من انتاج التجمع الفعلي(٣٣).

وكان لهذه المحاولات العربية من اجل زيادة تدفق الاخبار تأثير بسيط على الحصول على اخبـار تتعلق بالولايات المتحدة مثلا. ان بطء جهود وسائل الاعلام العربية منفردة ومجتمعة لتأسيس اجهزة تجميع للانباء في امريكا هي جديرة بالملاحظة حقاً. ولدى العديد من وكالات الانباء والصحف ومحطات الاذاعة والتلفزيون في جميع انحاء العالم مراسلون في واشنطن ونيويورك وفي اماكن اخرى من الولايات المتحدة يعملون على اعداد تقارير عن التطورات الامريكية ذات الاهتمام لبلادهم. وكان النشاط الوحيد لتجميع الاخبار في كافة انحاء الولايات المتحدة تحت رعاية عربية هو عبارة عن مكتب صغير في هيئة الامم كان يقوم بارسال تقارير الى صحيفة عربية وحيدة واربع محطات تلفزيونية، ولم يحاول هذا المكتب تغطية الاحداث الامريكية الكبرى التي تهم العرب وانما ركز على نشاطات هيئة الامم مع تأكيد خاص على بيانات الدبلوماسيين العرب امام هيئات الامم المتحدة المختلفة(٣٤). واخيرا بعثت وكالة انباء الشرق الاوسط عام ١٩٧٥ مراسلاً لها الى واشنطن وكـان الصحفي العربي الاول الدائم لتغطية اخبار الولايات المتحدة الوطنية لوسائل الاعلام العربية(٣٥). وتبع ذلك آخرون في العقد التالي بحيث انه بحلول عام ١٩٨٦. كان لدى منشورات

عربية عشرين وثماني وكالات انباء من عشرة دول عربية ممثلون في واشنطن الا ان جهودهم لتجميع الاخبار قد تركزت على امور كانت تهم كل بلد على انفراد وبقيت ثماني دول عربية دون تمثيل.

وتوجد اسباب عديدة لتعليل ذلك

اولاً ان الظروف التي ادت الى ايجاد وكالات انباء دولية في الغرب لم تتحقق في العالم العربي.

فلقد تأسست في الغرب وكالات الانباء الدولية في «بلاد تطورت فيها الصحافة... لان قارىء الصحف المتعـددة هناك كان يريد اخباراً من جميع انحاء العالم»(٣٦). وظهرت وكالات الانباء الدولية في وقت بدأت فيه الصحيفة في اوروبا وامريكا بالتغير من لسان حال حزب ذي اتجاه خاص بالصفـوة الى مشاريع تجارية تتداولها الجماهير مما استدعى زيادة مطردة في مصادر الاخبـار لاجتذاب القارىء. واجبرت التكلفة المرتفعة لتجميع الاخبار الاجنبية هذه الصحف الغربية كي تنضم معا لتشكيل وكالات انباء تقوم بدورها بايجاد اتحاد يشمل جميع انحاء العالم من اجل امكانية احداث شبكات اخبار دولية. هذه الظروف لم تتوفر في العالم العربي حيث لم تتطور الصحافة في الجزء الاكبر الى النوع ذي الاتجاه التجاري الذي تتداوله الجماهير.

ولم يقلد العرب كذلك المثال الروسي في وكالة انباء عالمية تديرها الحكومة. فقد تم ايجاد تاس بعد الثورة الروسية من قبل نظام حاكم كان يشدد على الدعاية والتحكم في الاخبار والمعلومات بما فيها الاخبار الواردة للشعب الروسي والاخبار المرسلة خارجا. ولم تتطور وسائل الاعلام العربية في ظل نظام مركزي او استبدادي مشابه بالرغم من كون الحافز وراء وكالات الانباء العربية هو نشر المعلومات. ولا يعتبر اي نظام حاكم عربي نفسه زعيماً لثورة عالمية كما تفعل الحكومة السوفيتية كما لا يعطي اي نظام حاكم اولوية عالية مشابهة لادارة واستغلال وسائل الاعلام تدفعه لايجاد شبكة عالمية من المراسلين.

ثالثاً فقد كان هنالك عامل آخر وهو نقص الموارد المالية المتاحة لايجاد وكالة انباء عربية

عالمية. إذ ان التكلفة للتغلب على العقبات الفنية والعقبات الاخرى في سبيل توفير سريع للاخبار تعتبر تكلفة ضخمة ومن المحتمل ان دول عربية غنية قليلة مثل الكويت وابو ظبي تستطيع تأسيس مثل هذه الوكالة العالمية الا ان انظمتها الحاكمة المحافظة لم تظهر اهتماما كبيرا في مثل هذه المشاريع. وتكتفي بالاعتماد على مواد وكالات الانباء الدولية التي يعمل محرروها على تصفيتها.

لماذا لم تنضم الدول العربية معا لتشكيل وكالة انباء عربية بشبكة دولية فعلية؟ ويكمن الجواب في الظروف التي عرقلت الجهود الاخرى نحو اتحاد سياسي حالت بين الدول العربية. فقد حالت الاختلافات السياسية بما فيها الاختلافات التي تفصل الدول العربية الاشتراكية عن الدول العربية الاخرى وبالرغم من اللغة والحضارة المشتركة لهذه الدول دون تقاربها معاً لتأسيس وكالة انباء قد تكون ذات اهمية سياسية للعرب.

ومن المحتمل انه يتوجب على وكالة الانباء القومية العربية ان تكون خاضعة للحكومة في ظل الظروف الاقتصادية والسياسية كما يتوجب عليها ان تلتزم بشدة بالخط السياسي. وتصعب الموافقة على الخطوط السياسية وادارة وكالة انباء ترضي كل الانظمة العربية الحاكمة، ففي اوقات التوتر بين دولتين عربيتين مثلاً يتوقف التعاون الاعلامي كليا وتغلق مكاتب وكالات الانباء لاسباب سياسية[٣٧] وبذلك فقد كانت الحكومات حساسة جدا للأهمية السياسية لتغطية الانباء اليومية لأجل تحويل ادارتها الى هيئة وطنية عليا.

واخيراً فان الوجود المسبق للعديد من وكالات الانباء العالمية باتصالاتها الممتازة مع العالم العربي قد ساعدت دون شك لتحويل العرب عن ايجاد وكالة عالمية اضافية.

المصادر الاخرى للاخبار والمعلومات اضافة الى قنوات وكالات الانباء المختلفة التي تم بحثها سابقا توجد هناك ثلاث مصادر مهمة للاخبار والمعلومات. ويستخدم هذه المصادر الاخرى بانتظام محررو وسائل الاعلام العربية ـ كما يسهل الوصول اليها من قبل عامة الجمهور في العالم العربي خلافا لوكالات الانباء او ان الامر كذلك على الاقل، تبعا للقيود المحلية والعوامل الاخرى. وهذه المصادر الثلاث هي نشرات الاذاعة والتلفزيون الاجنبية، المنشورات الاجنبية والمعلومات التي توزعها السفارات الاجنبية.

نشرات الاذاعة والتلفزيون الاجنبية

يعتبـر عدد من محـطات الاذاعة العربية وغير العربية مصادر هامة للاخبار للمستمع العـربي. ويستخدم محررو وسائل الاعلام العربية بانتظام نشرات الاذاعة الاجنبية كمصادر للاخبار كما يستطيع الجمهور العام الاستماع الى مثل هذه النشرات من الدول الاخرى. وتعتبر هيئة الاذاعة البريطانية وصوت اميركا اوسع استماعا راجع الجدول رقم ١٢ من بين الاذاعات غير العربية التي تبث برامج عربية وبذلك يتمكن فهمها عدد كبير من العرب. ولكن من هاتين المحطتين برمجة متنوعة بالعربية تشمل الاخبار والمعالم والتعليق والتسلية وتبث باشارة قوية الى حد ما مما يجعل الاستماع اليها ممكنا في جميع انحاء العالم العربي(٣٨). وكسبت اذاعة مونت كارلو في السنوات الاخيرة وهي عبارة عن محطة اذاعة تجارية تعمل على اذاعة الموسيقى الشعبية المعاصرة المتداخلة مع نشرات اخبارية قصيرة قاعدة عريضة من المستمعين في العالم العربي. ولم تستطع المحطات الاخرى غير العربية التي تذيع بالعربية بما فيها منظمة الاذاعة والتلفزيون الفرنسية، واذاعة موسكو واذاعة بكين وبلغاريا والبانيا وتشيكوسلوفاكيا والمانيا الشرقية ـ تحقيق اية شعبية لسبب يبدو انها لم تكن منافسة على الموجة المتوسطة لبرامج(٣٠) مثيرة للاهتمام.

وكسبت بعض المحطات الاذاعية العربية قاعدة من المستمعين المنتظمين في جميع انحاء المنطقة او في جزء منها. وكانت الزعامة الواضحة في هذا السباق للبرنامج العام وصوت العرب الدولي من اذاعة القاهرة حيث تزيد ساعات البث الاذاعي المصري الى الخارج عن اي دولة باستثناء روسيا والصين. وتبعث مرسلاتها اشارات قوية تصل الى دول عديدة في ساعات النهار كما تصل تقريبا الى كل العرب بعد مغيب الشمس (حيث تتحسن ظروف انتشار الاشارة) كما ان برمجتها الممتعة واهمية مصر تكسبها شعبية. فكان المستمع في جميع انحاء المنطقة ومنذ الخمسينات يدير جهازه على اذاعة القاهرة للاستماع لافضل موسيقى عربية ولآخر تحرك سياسي للحكومة المصرية وللتعليقات المعدة من قبل صحفيين معروفين.

وتتعامل نشرات اذاعة القاهرة في برامجها المختلفة مع الانباء والتعليقات التي تؤثر على

جدول رقم ١٢

برامج الاذاعة المصرية

البرنامـــج	عدد الساعات أسبوعياً
البرنامج العام	١٤٠
صوت العرب	١٣٠
القرآن الكريم	١١٢
الشرق الاوسط	١٠٠
الاسكندرية	٩٨
برنامج الشعب	٦٠
البرنامج الموسيقي	٧٠
ركـــن السودان	٤٥
برنامج فلسطين	٤٢
البرنامج الثاني	٢٥
برنامج الشباب	١٤

المصادر: هذه الارقام لعام ١٩٧٩ من مسؤولين في الاذاعة المصرية. بلغت ساعات بث الاذاعة عام ١٩٧٥ من مصر ٨٩٦ ساعة اسبوعيا ومن الاتحاد السوفياتي ١٩٨٣ وبكين ١٤٠٢ ساعة وصوت امريكا ٧٧٥ ساعة وهيئة الاذاعة البريطانية ٧٢٨ ساعة، Voice of America, Statistics Book 1976 .

الولايات المتحدة وتستخدم مادة وكالات الانباء الدولية التي يجري تصميمها لتناسب مصالح الحكومة المصرية كما تستخدم بيانات رسمية من القاهرة بالاضافة الى تعليقات توافق عليها الحكومة. ويركز المذيعون المصريون (راجع جدول رقم ١٢) على الاذاعة بالعربية للدول العربية تاركين لغاتهم الاخرى للمستمع غير العربي. وينطلق من مصر يوميا ١١ برنامجا يمكن للمستمع المصري او العربي الآخر ان يستمع اليها بالعربية. ويفوق هذا البث الاذاعي من حيث المدة الزمنية الاذاعات الدولية الكبرى باللغة العربية. كما ان الاشارة من القاهرة تعتبر منافسة بشكل عام على الموجات المتوسطة والقصيرة لاشارة هيئة الاذاعة البريطانية وصوت اميركا واذاعة موسكو بالاضافة الى الاذاعة والتلفزيون الفرنسي.

ولهذه الاسباب جميعا تعتبر اذاعة القاهرة ذات قاعدة استماع عريض . ولا تتوفر معلومات كاملة عن نموذج الاستماع. ويشير الجدول رقم ١٣ الى الموقف القوي الذي تتمتع به اذاعة القاهرة كما يشير الى شعبية هيئة الاذاعة البريطانية من بين الاذاعات الاجنبية. ويجري الاستماع الى محطات اذاعية عربية اخرى خارج حدود بلادها وخاصة في الدول المجاورة لها. وتعتبر الاذاعة الاسرائيلية باللغة العربية ذات قاعدة استماع عريضة في العالم العربي وخاصة للمستمع الذي يدير جهازه الى اكثر من محطة لمتابعة تطورات الصراع العربي الاسرائيلي. ولا تتوفر ارقام معتمدة عن اعداد المستمعين العرب الا ان المراقبين يلاحظون ارتفاع قاعدة الاستماع لاذاعة اسرائيل في اوقات التوتر حيث من الممكن ان يرتفع عندها عدد المستمعين الى الملايين.

ويستمع العرب الى الاذاعة الاجنبية لسبب رئيسي وهو سماع الاخبار الا ان التلفزيون العربي هو مصدر رئيسي للاخبار للمشاهد العربي. ففي لبنان حيث نسبة التعليم عالية فان التلفزيون يحتل المرتبة الثالثة بعد الصحف والاذاعة كمصدر مفضل للانباء الا انه ما زال مستخدما من قبل ٦٥ بالمائة من النخبة المثقفة ومن قبل نسبة اكبر من الجماعات الاخرى[٤٠].

وفي الاردن يفضل التلفزيون كمصدر للاخبار على الصحف والاذاعة. وتفضل الاغلبية الساحقة من العرب الذين يشاهدون اخبار التلفزيون مشاهدة محطاتهم الوطنية كما ان معظمهم

جدول رقم ١٣
نموذج الاستماع العربي للاذاعة
معلومات مسحية مختارة

	الكويت ١٩٧٤	المملكة العربية السعودية ١٩٧٥	لبنان ١٩٧٤	المغرب ١٩٧٤	مصر ١٩٧٥
الاذاعات غير العربية					
هيئة الاذاعة البريطانية	٢٣ بالمائة	٣٢ بالمائة	٤٠ بالمائة	٣ بالمائة	٦ بالمائة
صوت امريكا	٩	١٩	١٠	١ر٠	٩
موســـكو	٢	١	١	١ر٠	٠
الاذاعة والتلفزيون الفرنسي	٣ر٠	١	١	٣	٠
محطات الاذاعة المصرية					
صوت العـــرب	١٨ بالمائة	٢٢ بالمائة	١٦ بالمائة	٢ بالمائة	٦١ بالمائة
اذاعـة القاهـــرة	١٨	١٧	٢٠		٨٥
الاذاعات العربية الاخرى					
اذاعـة دمشــق	٤ بالمائة	٦٠ بالمائة	٤٥ بالمائة	٠	
اذاعـة بغـداد	٢٢	٤	١	٠	
الاذاعـة الاردنية	٣	٥	٣	٠	١١
اذاعـة البحرين	٣	١٦		٠	
اذاعـة لبنـان	٢	٥	٧٤	٠	

المصادر: اخذت هذه المعلومات من وكالة الولايات المتحدة للمعلومات، مكتب الابحاث، ومن تقارير صوت اميركا لتقدير عدد المستمعين، واجريت التقديرات على الدول المذكورة لتشمل البالغين في المدن (الذين تزيد اعمارهم عادة عن ١٨ سنة) وفي المدن الكبرى المختارة.

التقارير: Kuwait no E-7-75, June 16,1975; Saudi Arabia (adults in Jidda and Dammam) No. E-5-76, April 23, 1976; Lebanon no E-9-75, September 30, 1975; Morocco (six cities) no E-14-75, December 15, 1975; Egypt (five cities) no E-14-75 December 15,1975. للتجاور الجغرافي وقدرة المرسلات تاثير كبير على هذه الارقام. تشير النسب المئوية الى الاستماع مرة واحدة او اكثر في الاسبوع.

لا يستطيعون استقبال البرامج التلفزيونية من الدول الاخرى. ومع وجود مناطق حدودية ومجموعات من الدول المتقاربة جغرافيا تكتسب الاخبار التلفزيونية الواردة من الخارج اهمية خاصة. ويعتبر منطقة الخليج ذات تركيز تلفزيوني عالي خاصة اثناء الامسيات الرطبة حيث تساعد الظروف الجوية على انتشار اشارة التلفزيون على الساحل مما يمكن المشاهد العربي من مشاهدة قنالات عديدة(٤٢).

ويتمكن المشاهدون في لبنان والاردن وسوريا والعراق بالاضافة الى مصر احيانا من مشاهدة برامج بعضهم بعضا في المناطق الحدودية. كما يتمكن المشاهد في شمال افريقيا من مشاهدة برامج تلفزيونية من دول مجاورة بما فيها جنوب اوروبا. وتمكن التلفزيون الاسرائيلي الذي لم يبدأ حتى عام ١٩٦٧ من تطوير قاعدة منتظمة من المشاهدين العرب في عمان حيث يعتبر الاستقبال جيدا بشكل ثابت ومستمر وكذلك في بعض المناطق في سوريا وجنوب لبنان. ويعتبر المشاهد العربي هدفا لاخبار التلفزيون الاسرائيلي العربية وبرامج المعالم وقد حقق التلفزيون الاسرائيلي بعض النجاح في الوصول الى من هم ضمن مداه. ويحمل التلفزيون الاسرائيلي يوميا مواضيع اخبارية عن امريكا. وبذلك فان التلفزيون يلعب ايضاً دوراً في نشر الاخبار بما فيها الاخبار المتعلقة بالولايات المتحدة عبر الحدود.

النشرات الاجنبية

تقيد معظم الحكومات العربية استيراد وسائل الاعلام الاجنبية المطبوعة بطريقة ما. إما بمنع منشورات كاملة او اعدادٍ منفردة او بالرقابة الاختيارية لاجزاء من اعداد. ولا تعتبر هذه القناة ذات اهمية لنشر الاخبار الاجنبية بما فيها الامريكية وذلك للسبب الذي ورد انفا وكذلك بسبب تدني نسبة المتعلمين وتدني مستوى المعرفة باللغات الاجنبية في البلاد العربية. ومع ذلك فان وسائل الاعلام المطبوعة تلعب دورها في هذا المجال خاصة للنخبة المثقفة في الدول العربية.

واما المطبوعات الاجنبية التي تحمل اكبر قدر من الاخبار المتعلقة بالولايات المتحدة ويتم

استيرادها في الدول العربية فهي الطبعة الدولية لمجلة Time و Newsweek و Paris Herald Tribune ويتم ادخال عدة الاف نسخة منها الى المنطقة وغالبا ما تذهب لدول الشرق العربي. كما ان المنشورات البريطانية تعتبر مقروءة في اوساط النخبة المثقفة في هذه الدول بينما تتمتع صحيفة Le Monde وبعض المنشورات الفرنسية الاخرى بشعبية عالية بين صفوة الناس في الشمال الافريقي. وتحمل هذه المنشورات جميعاً قدراً جيداً من الاخبار غير العربية بما فيه معلومات تتعلق بالولايات المتحدة.

وكذلك يجري توزيع بعض المنشورات العربية حيث تلاقي رواجاً خارج بلادها الاصلية. ويعتبر عدد الصحف اليومية العربية التي تعبر الحدود قليلاً بسبب المشكلات الفنية والتوزع السياسي وكذلك بسبب طبيعة الصحف اليومية من حيث انتهاء مدتها الزمنية. وتنحصر الصحف اليومية التي تشاهد بشكل مستمر في جميع انحاء العالم العربي بالاهرام القاهرية والاخبار والصحف اللبنانية البارزة مثل النهار و L'Orient - le jour التي تتجه الى انحياز سياسي اقل بعداً. وبدأت الرأي العام الكويتية والسياسية في عام ١٩٧٠ تحقيق بعض النجاح في الشرق الادنى بينما تم تداول صحف الشمال الافريقي ضمن منطقتها. وطورت مجلات عربية اسبوعية عديدة بالاضافة الى مجلة شهرية قاعدة من القراء في العالم العربي خارج الدول التي تنشر فيها. ونجح ناشرون في القاهرة وبيروت بشكل خاص في ايجاد مجلات عملوا على توزيع اعداد كبيرة منها في جميع انحاء المنطقة واكثر هذه المجلات شعبية هي مجلة العربي الشهرية التي تقوم على نشرها وزارة الاعلام الكويتية كما يشير الجدول رقم ١٤.

ويتعلق مضمون الاخبار الاجنبية لهذه المجلات بشكل رئيسي بالعالم العربي الا أن جزء منه يتعلق عادة بطريقة ما بالدول الغربية بما فيها الولايات المتحدة بسبب الارتباط الغربي في الشرق الاوسط وشمال افريقيا. وتتضمن بعض المجلات ذات المحتوى السياسي العالي مثل روز اليوسف احيانا تعليقات تتعلق بالولايات المتحدة. الا ان مجلة العربي الشهرية تختص مثلا بمعالم غير سياسية. واحيانا ما يكون لهذه علاقة بالولايات المتحدة كمقالة عن برنامج الفضاء الامريكي الا ان معظم محتواها لا يتعلق بامريكا[٤٢].

جدول رقم ١٤

المجـلات العربيـة ذات الشـهرة

(١٩٧٨)

الاعداد المتداولة بالالاف

	الاجنبية	المحليـة	المجموع	البلـد
العـــربي	١٤٠	١٥	١٥٥	الكويت
الحـوادث	٥٠	١٥	٦٥	بيروت
Jeune Afrique	٥٠	١٥	٦٥	تونس
صباح الخير	٣٠	٥٥	٨٥	القاهرة
الصـياد	١١	٤	١٥	بيروت
المصـور	٢٥	٦٠	٨٥	القاهرة
حــــواء	١٥	٤٥	٦٠	القاهرة
آخـر ساعة	٢٥	٨٥	١١٠	القاهرة
روز اليوسف	٢٠	٩٠	١١٠	القاهرة

وتتـذبـذب مستويات وخصائص وسائل الاعلام الاجنبية المطبوعة والمستوردة في الدول العربية الى حد كبير بسبب عوامل سياسية واخرى بحيث يستحيل التعميم لكافة المنطقة عن هذا المصدر المعلوماتي.

ونـورد هنـا الحجم التقـريبي لمستوردات الصحف اليومية الاجنبية في المملكة العربية السعودية عام ١٩٧٣ لاعطاء فكرة عن الاهمية النسبية لهذا المصدر في بعض الدول وذلك في وقت كانت توزع الصحف اليومية السعودية كانت توزع الصحف اليومية السعودية ما بين ٨ـ١٠ الاف نسخـة لكـل منهـا(٤٤). الصحف المصرية: الاهرام ١٥٠٠ نسخة (فرض حظر على هذه الصحيفة حتى عام ١٩٧٠)، الاخبار ١٠٠٠ نسخة، الجمهورية ٧٠٠ نسخة، الصحف اللبنانية: الحياة ٣٠٠٠ نسخة (كانت النهار ممنوعة من الدخول في ذلك الوقت) الصحف الكويتية: الرأي العام ٣٠٠٠ نسخة، السياسة ٣٠٠ نسخة (عادة ما يتأخر تسليمها بسبب الرقابة).

وكـانت المنشورات الامريكية في الوقت نفسه مثل تايم ونيوزويك تدخل المملكة العربية السعودية باعداد تصل الى ١١٠٠ نسخة اسبوعيا بينما كانت مبيعات Herald Tribune حوالي ٦٠٠ نسخة. وفي المقابل فان اكثر من ١٧٠٠٠ نسخة من مجلة العربي الشهرية الكويتية كانت تباع خلال ساعات قليلة من وصولها المملكة. ويعتمد القارىء العربي في بلاد كهذه حيث لا توجد صحافة محلية قوية فيما يتعلق بالاخبار الدولية بشكل خاص الى درجة كبيرة على المنشورات الاجنبية وخاصة المصرية واللبنانية لاجل توسيع مداركه عن صورة العالم(٤٥).

ويتبع تداول المنشورات العربية نماذج السياسة الخارجية والاتجاه الايديولوجي. فعلى سبيل المثال فرض حظر في المملكة العربية السعودية على المنشورات المصرية منذ بداية حرب اليمن عام ١٩٦٢ حتى تاريخ المصالحة السعودية المصرية بعد عشرة سنوات. وفرضت معظم الدول العربية حظرا على وسائل الاعلام المصرية بعد الاتفاقية المصرية الاسرائيلية في كامب ديفيد عام ١٩٧٩ ولو ان تنفيذ الحظر كان متقطعا.

وتتجـه الرقـابـة لفـرض تشديد اقل على وسائل الاعلام المطبوعة غير العربية منه على

المنشورات العربية حيث ينحصر القراء بغير العربية في النخبة المثقفة وحيث ان الذين قد يتذمرون من الرقابة اكثر من غيرهم هم القادرون على قراءة المنشورات الاجنبية. وعلى سبيل المثال فقد كانت الجزائر تسمح ومنذ تحقيق الاستقلال عام ١٩٦٢ بدخول اعداد كبيرة من المنشورات الفرنسية بالرغم من القيود الشديدة التي فرضت على وسائل الاعلام المحلية. وبذلك تسهم وسائل الاعلام الاجنبية في نشر الاخبار والاراء بما فيها المتعلقة بالولايات المتحدة.

المعلومات التي توزعها السفارات الاجنبية

ان المعلومات التي توفرها السفارات الاجنبية في العالم العربي هي المصدر الثالث للاخبار الذي تستخدم وسائل الاعلام العربية والذي يصل القارىء العربي بشكل مباشر في حالات عديدة. وتعين الولايات المتحدة ودول اخرى عديدة ضباطا اعلاميين في سفاراتها في محاولة منها لتزويد جمهور القراء والمستمعين بمعلومات اضافية عن بلادها.

ويوفر هذا الجهد معلومات للمحرر العربي يتمكن من استخدامها وكذلك لمجموعات هامة من النخبة العربية في كل بلد. الا ان المحررين عادة ما يقومون بنشر هذه المواد دون نسبها كما ويتجهون الى الابتعاد عن اية مواد يظهر واضحا على انها مواد دعائية للقارىء والمستمع العربي. وتقيد الحكومة في بعض الدول العربية او تعمل على تصفية بريد السفارة المباشر الذي يوزع مواد اعلامية. وبذلك فان هذه المعلومات هي مصدر تستطيع الحكومة ان تقلصه بسهولة اذا رغبت في ذلك.

مقارنة بين المصادر الاخبارية

يتوفر للمحرر العربي خمس مصادر رئيسة للاخبار الاجنبية المنتظمة بما فيها اخبار تتعلق بالولايات المتحدة وهي: الخدمات السلكية الدولية، وكالات الانباء العربية، نشرات الاذاعة والتلفزيون الاجنبية، المنشورات الاجنبية والمعلومات التي توفرها السفارات كالامريكية مثلا. وتوجد بالطبع مصادر معلومات اجنبية كالافلام والاجانب المقيمين والسفر الى الخارج الخ. الا ان هذه المصادر لا توفر الاخبار اليومية التي تشكل محور اهتمامنا في هذا الفصل.

وكيف يمكن أن نقارن هذه المصادر بعضها ببعض من حيث الفائدة والتعديل عليها؟ وتعتبر وكالات الانباء العالمية اكثر اكتمالاً من منظور محرر وسيلة الاعلام العربية كما انها تعتبر مؤقتة ومصادر فعالة للاخبار غير العربية بينما تعتبر الوكالات العربية ذات فائدة فيما يتعلق بالاخبار العربية وتستخدم النشرات الاذاعية لمقابلتها ومقارنتها. وتوفر وسائل الاعلام المطبوعة التجارية وكذلك نشرات السفارات مادة خلفية مساعدة وخاصة للافتتاحيات والمعالم علما ان هذه عادة ما تصل متأخرة جدا، بحيث يتعذر وضعها في تغطية اخبارية سريعة. كما يعتبر التلفزيون مصدرا مكملا في المناطق التي يمكن مشاهدته بانتظام.

ويجب اعتبار كل مصدر من مصادر الاخبار الاجنبية هذه جزء من قناة معقدة تتدفق فيها اخبار ومعلومات من المصدر الى السامع او القارىء او المشاهد. وتشمل صمامات الابواب التي تساعد في تنظيم تدفق هذه الاخبار ووضع شكلها ومحتواها في قالب عبر الطريق المحررين العرب والمسـؤولين الحكوميين بالاضافة الى الاجانب(٤٦) في بعض الحالات. وتختلف سلسلة المصافي وصمامات الابواب التي تعبر الاخبار من خلالها قبل وصولها الجمهور العربي تبعا للقناة الخاصة ومصدر الموضوع الاخباري. ولنأخذ مثالا على ذلك اخباراً تتعلق بامريكا حيث يمكن اجمال قنوات مصادرها الخمس للاخبار الاجنبية مع صمامات ابوابها كالتالي:

١ـ وكالات الانباء العالمية.

- مراسلو وكالات الانباء العالمية مثل اسوشيتدبرس وتاس ووكالة الصحافة الفرنسية في الولايات المتحدة.
- محررو المكاتب لوكالة الانباء في الولايات المتحدة
- محررو المكاتب الرئيسية لوكالة الانباء في نيويورك وموسكو وباريس.
- محررو المكتب الاجنبي او (في ثماني دول عربية) المحرر الحكومي العربي في وكالة الانباء الوطنية.
- محررو وسائل الاعلام العربية.

٢ـ النشرات الاذاعية

- مراسلو محطات الاذاعة الدولية مثل صوت اميركا وهيئة الاذاعة البريطانية واذاعة موسكو والاذاعة والتلفزيون الفرنسي والاذاعة الاسرائيلية في الولايات المتحدة.
- محررو والمكاتب لهذه المحطات
- محررو المكاتب الرئيسة في واشنطن وموسكو ولندن وباريس.

٣ـ وكالات الانباء العربية

- مراسل مينا في واشنطن
- محرر مينا في القاهرة
- محررو وسائل الاعلام

٤ـ برنامج اعلام سفارات الولايات المتحدة

- المراسل الصحفي ومسؤولو الاعلام في وكالة الولايات المتحدة للاعلام.
- مسؤولو التوجيه السياسي في واشنطن
- ضباط الاعلام في السفارات في البلاد العربية
- محررو وسائل الاعلام العربية (او التوزيع المباشر للجمهور العربي).

٥ـ وسائل الاعلام المطبوعة الاجنبية

- مراسلو المنشـورات الامريكية والبريطانية والفرنسية مثل Herald Tribune ولوموند في الولايات المتحدة.
- محررو المكاتب لهذه المنشورات.
- محررو المكاتب الرئيسة في نيويورك وباريس ولندن.
- مكاتب الرقابة الحكومية العربية.

ويمكن تشكيل الاخبار او تشويهها بعدة عوامل اثناء مرورها عبر هذه القنوات. وقد قال احد المراقبين ان الحواجز الرئيسة لنقل معلومات وافكار دقيقة هي عدم الكفاءة والتحيز عن قصد او غير قصد. والصبغة التجارية (وهي اعطاء المستهلك ما يريد) والرقابة او اية اجراءات تنظيمية

وعوامل فنية واقتصادية(٤٧). كما يمكن اضافة حواجز اللغة وتوجد كل هذه الحواجز في الشبكات التي تحمل الاخبار الاجنبية الى الجمهور العربي.

وقد رأينا ان العامل الاقتصادي والصبغة التجارية قد اثرت على تطور الشبكات في العالم العربي. وساعدت التكاليف المرتفعة على ايجاد تجمعات لوكالات الانباء العالمية سيطرت على نشر الانباء من امريكا حتى بعد كسر الاحتكار وساعدت على اعاقة تأليف وكالة انباء عربية دولية او مكاتب انباء في امريكا.

ويظهر انه كان للصبغة التجارية تأثير على مضمون نسخة الخدمة السلكية كما كان لاختيار لغة توزيع الاخبار تأثير كذلك.

وبرز في الثمانينات عامل اقتصادي جديد حيث تحولت بعض الخدمات السلكية الغربية الى الارسال بواسطة الاقمار الصناعية. وزاد استخدام الاقمار الصناعية من اسعار خدماتها بشكل كبير علما ان هذا الاستخدام اصبح اكثر كفاءة. واعلمت كل من رويتر والاسوشيتدبرس ووكالة الصحافة المتحدة الدولية في نهاية عام ١٩٨٥ الوكالة السودانية سونا عن توقفها عن تقديم خدماتها الاخبارية اليومية عن طريق البث اللاسلكي وتحولها الى الاقمار الصناعية مما ادى بالوكالة السودانية الى الغاء اشتراكها حيث ان رسوم الاشتراك الجديدة كانت مرتفعة جدا. ونتيجة لذلك اجبرت الوكالة السودانية على الاعتماد على تاس والخدمات الشيوعية الاخرى التي لم تكن مكلفة بل وحتى أنها كانت مجانية على الرغم من ان محرري سونا كانوا يفضلون الاحتفاظ بالوكالات الغربية من اجل التوازن.

لاحظنا ايضا ان الرقابة والممارسات التنظيمية الاخرى قد شوهت التدفق الحر للاخبار الى العالم العربي وان كان ذلك لا ينطبق على وسائل الاعلام العربية الاهلية التي تخضع لدرجات وانواع متغيرة من التنظيم الحكومي فحسب فانه يتعداها الى مواد وكالات الانباء الواردة التي تقوم الحكومات بتصفيتها في ثماني دول. وبينما تقل المحاولات لمنع الجمهور العربي من الاستماع الى النشرات الاذاعية الاجنبية التي تعتبر من اكبر المصادر للاخبار الاجنبية الا ان هنالك قيود على وسائل الاعلام المطبوعة.

ومما لا شك فيه ان نقص الكفاءة هو من العوامل التي تعيق نقل المعلومات والاراء بدقة مع العلم انه يصعب قياسه باستثناء الأمية وعدم توفر الكفاءة في معرفة اللغة الاجنبية من جانب الجمهور ويشكل هذان العاملان حاجزا مهما لتوزيع الاخبار الامريكية الى العرب. وتندرج اكثر العوائق اهمية امام توزيع الاخبار في العالم العربي تحت عنوان التحيز بما فيه التحيز المقصود وغير المقصود. وإنه من الصعوبة بمكان ان يقاس التحيز او يوصف بدقة كما انه لا يمكن التحديد احيانا فيما اذا كان التحيز مقصوداً. ولكنه من الواضح ان العرب قد لاحظوا تحيزاً في تقارير وكالات الانباء العالمية وان هذه الملاحظة كانت سبباً رئيساً لتأسيس وكالات الصحافة العربية الوطنية واتحاد اذاعات الدول العربية ومشروع القمر الصناعي العربي.

الفصل الثامن

الخلاصــة

قام هذا الكتاب بتفحص وسائل الإعلام الإخبارية في العالم العربي، فيما يتعلق بالمجتمعات التي تعمل فيها هذه الوسائل، وفيما يتعلق بالعملية السياسية بشكل خاص. وقد وصفنا في الفصول السابقة، بشيء من التفصيل، بنية الصحيفة اليومية بوصفها مؤسسة، وبنية الإذاعة والتلفـزيون، ووسائل تجميع الأخبار العربية وقد جاء الوقت الذي يمكننا فيه تطوير تصنيف للأشكال الصحفية العربية التقليدية، ثم التساؤل حول الظروف التي أدت إلى ظهور كل من هذه الأصناف والظروف التي من المحتمل أن تؤدي الى استمرار الوضع الراهن أو الى تغييره.

وقد كان افتراضنا الأساسي يقوم على أن الصحف والإذاعة والتلفزيون تستجيب، بطرق عديدة، للمناخ الذي تعمل فيه، سواء في المحتوى أو في البنية المؤسسية العاملة. وقد أثبت تحليلنا لوسائل الاعلام العربية صحة افتراضنا هذا. فالاعلام العربي لا يمكن أن يفهم بمعزل عن الظروف الاقتصادية والأصول الثقافية والحقائق السياسية في المجتمعات التي يخدمها هذا الاعلام.

وفيما يختص بالمحتوى، فإن قراء الصحف العربية أو مستمعي الاذاعة العربية يتفقون حول حقيقة أن الاعلام يحمل توجهاً محلياً واضحاً، يعكس الظروف المحلية. ويبدو أن الأخبار ذات التأثير السياسي الكبير مثل التعليقات على الأحداث المعاصرة تعكس الأوضاع المحلية أكثر من غيرها مع أن العناوين الرئيسة والاخبار العادية قد تعكس هذه الظروف أيضاً. فالاعلام في هذه الدول كغيره في باقي دول العالم يؤدي نفس الوظيفة بشكل أو بآخر، فهو ينقل الأخبار المحلية

والعالمية والمعلومات والآراء والتسلية والدعاية الى الجمهور. وتستقى معظم هذه المواد من مصادر مشتركة تمر عبر نفس وكالات الانباء العالمية والمحلية. وتنقل وسائل الاعلام العربية تقارير عن الاحداث المهمة في نفس الوقت الذي تنقلها فيها وسائل الاعلام الاميركية وبطريقة مشابهة الى حد ما. كما أن المواد الدعائية والترفيهية تعكس شكلاً من أشكال التبادل الدولي. إلا أن وسائل الاعلام العربية تحمل في محتواها الطابع المميز للمؤسسة المزودة (مصدر الخبر) بشكل أو بآخر، ويستطيع الجمهور الواعي التقاطها إذ أن الرسالة المحتواة في الخبر تزودهم بدلائل تشير الى أصل وسيلة الاعلام والجهة المسيطرة عليها.

ولكن هذا الكتاب ليس معنياً بمحتوى وسائل الإعلام. فالملاحظات المذكورة أعلاه مبنية على آراء متلقين مجربين لهذه الوسائل وليس على تحليل موضوعي لمحتوى الصحافة والاذاعة والتلفزيون في الدول الثماني عشر، إذ لم يتم حتى الآن القيام بدراسة من هذا النوع، وهي إن تمت ستكون مهمة شاقة. وبدلاً من ذلك، فقد قام هذا الكتاب بتحليل وسائل الاعلام بصفتها مؤسسات لكي يرى. الأشكال التي اتخذتها في الدول العربية المستقلة، والوسائل التي اتبعتها المجتمعات التي تحكم نفسها للسيطرة على وسائل الإعلام وكيف تتصل هذه الوسائل بالعمليات السياسية في العالم العربي.

وتتصف وسائل الإعلام العربية بخصائصها تميز وسائل الإعلام فيها عن غيرها من الدول. غير العربية النامية. فقد أصبح الإعلام الالكتروني وخاصة الراديو من أهم وسائل الاتصال الجماهيري بحيث وصلت الى أكبر عدد من السكان عبر حدود التعليم والجغرافية والاقتصاد، في حين ظلت وسائل الإعلام المطبوعة مقصورة على الجماعات المنتقاة. ولا يزال الجانب التجاري لوسائل الإعلام ضعيفاً نسبياً، ولم تظهر بعد الصحف واسعة الانتشار المعتمدة على عوائد الإعلانات ولا محطات الاذاعة والتلفاز التجارية ذات النمط الأمريكي. ولكن الجانب السياسي لهذه الوسائل يعد قوياً نسبياً ودور الحكومة فيه بارز تماماً.

العلاقات الحكومية ـ الإعلامية

لقد رأينا أن العلاقات بين الحكومات العربية ووسائل الإعلام معقدة بشكل كبير. فالإعلام العربي حقاً، يلعب دوراً في العملية السياسية ويتأثر بها ولكنه من الواضح أننا لا نستطيع وصف هذا الدور بدقة باستخدام النظريات المستخدمة لوصف أنظمة إعلامية أخرى. وأقرب النظريات الممكن تطبيقها هي النظرية الاستبدادية، التي يحكم الاعلام فيها نخبة يعتقدون أنهم يفهمون الحقيقـة أكثر من عامة الجماهير ويفترضون أنه يجب عليهم استخدامهم الصحافة والراديو والتلفاز لنقل المعلومات والتفسيرات للطبقات الدنيا. ولهذه النظرية مؤيدون عديدون في العالم العربي. حيث يرى المرء النتائج العملية المشتركة لمثل هذا الأثر ألا وهو التأثير القوي للحكومة على الاعلام. ولكن هناك أيضاً مظاهر للنظريتي التحرر والمسؤولية الاجتماعية اللتين تفترضان أن وسائل الاعلام يجب أن تقدم وجهات نظر متباينة وتعارض في الاراء وبعض النقد للحكومة. وتختلف الدرجة التي يحدث فيها هذا من دولة لأخرى.

وفي كل الأحوال، لا يمكن الحكم على الاداء الفعلي للاعلام في المسرح السياسي العربي على أساس القانون السائد أو البنية الشكلية وحسب. بل إن ثمة عوامل اهم من هذا بكثير ألا وهي وجود معارضة حقيقية وعلنية للحكومة وشرعية الجماعة الحاكمة وقوتها الفعلية وثبات النظام السياسي، ووجود التهديدات الخارجية المتطورة والقاعدة الاقتصادية لوسائل الاعلام وحيوية وقوة التقليد الصحفي المستقل في الدولة. ويتباين سلوك الصحفيين حسب تباين هذه العوامل بغض النـظر عن قوانـين الصحـافة التي تعلن بشكل أو بآخر عن دعمها لحرية الصحافة والكلام والمعلومات. وتساعدنا في فهم ديناميكيات بنية الاعلام العربي مقارنة لثلاثة أنماط مميزة لتنظيم الصحافة اليومية التي ظهرت في العالم العربي في الربع الثالث من القرن العشرين. أما تنظيم الاذاعة والتلفاز فهو متشابه في كل المنطقة وذلك لان انتشارهما الواسع الذي يغطي كل أنحاء الدولة. وتأثيرهما الواضح في الحياة السياسية جعل الأنظمة تصر على وضعهما تحت الرقابة الحكومية المباشرة، خاصة أنه لا يوجد أكثر من محطة أو محطتين للبث لخدمة الدولة كلها وذلك

لظروف اقتصادية وتقنية. أما الصحف التي يمكن أن يصدرها، من الناحية النظرية، عدد كبير من الاشخاص فإنها تصل إلى جمهور أقل. وقد تم تنظيمها تبعاً لو احد من ثلاثة أنظمة أساسية في الدول العربية المستقلة فيظهر نظام معين في أوقات واماكن مختلفة تبعاً للظروف المختلفة.

أصناف الصحافة التحتية والمعارضة السياسية

وقد ظهر اولاً نظام اسميناه الصحافة المعبئة في بلدان تلتزم الجماعة الحاكمة فيها بالتغييرات الثورية وبعنف، وقد عملت على مسح كل المعارضة الشعبية المحلية المنظمة، ولكنها بحاجة الى الدعم الناشط من الاعلام لمساعدتها على تحقيق اهدافها المعلنة ومحاربة اعدائها الظاهرين، ويمتلك كل الصحف ذات التأثير السياسي عملاء للجماعة الحاكمة، ويتم ضمان السيطرة على مضمون الصحف بشكل اساسي من خلال سيطرة الموظفين، ولكن من قبل المراقبة السياسية احياناً، العقوبات القانونية، والجوائز ووسائل غير مباشرة سهل وجودها بيئة سياسية لا يلاقي فيها النظام الحاكم اي معارضة.

وثانياً تتواجد صحافة موالية في بلدان يسودها نظام سياسي تقليدي؛ كلها ملكية ما عدا تونس، وهي جمهورية، مسيطر عليها بشكل مهيمن برجل واحد منذ الاستقلال. ولا توجد هناك معارضة شعبية منظمة، ولكن الحكومة وهي راضية بالوضع الراهن اكثر من عزمها على التغيير، تبقى قانعة بإذعان الشعب السلبي ولا تطالب الصحافة لتوليد عمل شعبي. فالصحافة موالية للنظام الحاكم وسياساته الاساسية، ولكن تتجب الصحف في العادة اكثر القضايا جدلاً بدلاً من ان تدخلها مع حماس الصحيفة المعبئة النوع. ويمتلك الصحافة الموالية الخاصة من الناس. وتستخدم الحكومة عدة وسائل لكسب دعمها، بالاغراءات المادية، والعقوبات القانونية. ولكن السبب الاساسي لولاء الصحافة هو الاجماع الذي يسود النقاشات الشعبية على قضايا هامة: لا تنتقد سياسات النظام الاساسية في العلن ولا تخالف الصحافة ذلك الشيء ايضاً.

النظام الثالث، الصحافة المتنوعة، تعمل في بيئة سياسية حيث التعبير الشعبي عن آراء ووجهات نظر مختلفة، تتضمن انتقاد الحكومة هو شيء يمكن، وحيث لا يتدخل النظام ليسكت كل المعارض العلنية.

والصحافة هنا في ايدي الخاصة وهناك صحف يومية اكثر من تلك التي في بلدان اخرى. وقد تقوم الحكومة أحياناً بعمل ضد صحيفة ما ولكن تستخدم الحكومة هذه التدخلات بشكل ضئيل ومن خلال المحكمة، بما ان الحكومة تفضل ان تتحلى بالصبر عند التعامل مع الصحافة.

ويضع جدول ١٥ هذه الانظمة الثلاث معاً في تشكيل يتبع علم دراسة الرموز Typology كامل، ويظهر الدول التي يقطن فيها منذ الثمانينات. وهناك بعض الاختلافات في داخل هذه التصفيات. فتحت الانظمة المعبئة فتحظى العراق وجمهورية اليمن الشعبية الديمقراطية بمركز الصحافة الاكثر تعبئة، بينما تحظى مصر بمركز الاقل، ويبدو ان السودان بعد انقلاب عام ١٩٨٥ اخذت تبتعد عن هذا النظام، ولكن يعقد الناتج النهائي على كيفية استقرار النظام السياسي.

ويعتبر التنوع في عالم الصحف مقياساً مهماً في بيان طبيعة العلاقة بين الحكومة والصحافة. ويقوم بعضاً على الاقل من اقسام الصحافة، في كل البلدان العربية، بتقديم التقارير والدعوات السياسية الحكومة. ولكن يمتاز قارىء الصحيفة باطلاعه على معلومات جيدة عن موضوع ما، وعنده اكثر من فرصة ليختار الحقائق الواقعية، وان يقرر بنفسه، من دور الاعتماد على ما تقوله له الحكومة، وذلك اذا كان هناك تنوع صادق في الصحف المتوفرة له. وتكتب الصحف المختلفة النصوص والتفاسير المختلفة للقصة الواحدة، وعند الرجوع اليها كلها فانها تعطي مجالاً كبيراً للاختيار. وبالتالي يميل النظام الصحافي المتنوع اذا ما نظر اليه نظرة شمولية، لان يكون اكثر حرية بالرغم من انه يحتمل ان تكون الصحيفة الواحدة منحازة، لانه باستطاعة القاريء الحصول على نطاق واسع من المعلومات والاراء.

والعامل الاساسي خلف صحافة متنوعة هو وجود معارضة صادقة للمجموعة الحاكمة، وبامكانها العمل علنياً. واذا لم يسمح النظام السياسي ان تكون هناك معارضة شعبية حقيقية للنظام، فانه يتبع ذلك ان تتكلم الصحافة بصوت واحد متماثل لا يستطيع قارىء الصحيفة

جدول رقم ١٥
علم رموز انظمة الصحافة العربية

	التعبئة	الولاء	التنوع
ميزان الصحافة			
الملكية	عملاء النظام	خاص	خاص
التنوع في الصحف	غير متنوع	غير متنوع	متنوع
الموقف تجاه النظام	داعم	داعم	مع وضد
الاسلوب واللهجة	نشيط، مشاكس	سلبي	متنوع
الظروف السياسية			
المجموعة الحاكمة	ثورية	تقليدون	متنوع
النقاش العام	لا يوجد	لا يوجد	نشط
المعارضة الجماهيرية	لا توجد	لا توجد	Institutional, Sed مؤكدة

البلدان التي تسود فيها هذه الانظمة (١٩٨٠)

التعبئة	الولاء	التنوع
الجزائر	سوريا	العربية السعودية
مصر	اليمن الديمقراطية الشعبية	تونس
		أ.ع.م
العراق	البحرين	لبنان
ليبيا	الاردن	المغرب
السودان (؟)	قطر	الكويت

الواحدة ان يقرر بنفسه عن القضايا المهمة اليومية. وترتبط وجود المعارضة الشعبية بالتالي بوجود احزاب سياسية ممثلة. ويجب على هذه الاحزاب ان تكون ممثلة لسياسات مختلفة تماماً متضمنة بعض السياسات التي لا يتبناها النظام. ويحوي كل من لبنان والعراق، مثلا، انظمة سياسية يعمل فيها عدة احزاب، سياسية، ولكن تمثل الاحزاب اللبنانية، سياسات ووجهات نظر متباينة حقـاً بينما لا تعارض الاحزاب العراقية في العلن اي قضية ذات أهمية كبيرة. ويعتمد تنوع الصحافة اللبنانية وتماثل الصحافة العراقية على هذه التمييز لوجه كبيرة.

إنه لمن الممكن، من الناحية الاخرى، ان يكون هناك صحافة متنوعة مدعومة من جماعات معارضة بدلًا من أحزاب اخرى، مثلما هو الامر في الكويت مثلًا، حيث لا يوجد هناك احزاب رسمية. ولكن الطلب الاساسي هو ايضاً، انه يجب ان تختلف المعارضة بشكل اساسي وعلني مع سياسات النظام. ولا يجب على الاختلاف ان يتضمن كل القضايا ذات الاهمية، ولكن يجب عليها ان تكون شاملة بشكل كافي من اجل ان توفر التمييز بين النظام الحاكم والجماعات المعارضة في الامور ذات الاهمية الوطنية. فكلما كانت قائمة الاختلافات شمولية كلما كانت الصحافة متنوعة.

والعامل الثاني المهم في العلاقة بين الحكومة والصحافة فيما اذا طورت الصحافة شخصية المؤسسة المستقلة (المدعوة الطبقة الرابعة) واصبحت الصحافة مهنة ذات مكانة مرموقة. ولقد اكتسبت الصحافة مكانة مؤسسة مرموقة في لبنان ومصر، مثلًا، خلال فترة اكثر من قرن من النمو في هذه البلدان. وينضم هذا في لبنان مع عوامل في البيئة السياسية التي تساعد على بقاء الصحافة متنوعة ومستقلة نسبياً. وتساعد هذه في مصر. على تحمل بعض من ضغوط النظام السياسي وتدفع الصحف هناك لتظهر حيوية وشخصية اكثر من الصحافة المعبئة النوع في اماكن اخرى.

لا يمكن تقسيم انظمة الصحافة العربية الى تصنيفات محددة. ويعتبر التجزىء الثلاثي الطبقات، لاغراض التحليل، الى تعبوي، وموالي ومتنوع، تقريبي. ويتواجد هناك، في الواقع، صنف نطاق، من الصحف المعبئة كثيرا في الجزائر الى الصحافة المتنوعة والمستقلة تقريباً في لبنان، وتقع

الدول الاخرى بينهما. ولا يعتبر النظام الجزائري معبأ لدرجة تماثل ذلك النظام الدكتاتوري في الاتحاد السوفيتي، والصحافة اللبنانية ليست مستقلة مثل مثلاً الصحف البريطانية. وتملك كل البلاد العربية بعض العناصر نظام الصحافة السلطوي، حيث تحظى النخبة الحاكمة في البلاد بتأثير كبير على محتويات الصحف، ويتم حرمان الصحافيين من استقلاليتهم احيانا.

ديناميكيـة التغـير

ليست انواع الانظمة الصحفية الاساسية الثلاث التي تم تحديدها سابقا ثابتة او دائمة حيث انها تعتمد الى حد كبير على الظروف السائدة. فالصحافة التعددية كانت موجودة في ثلاث دول عربية فقط في السبعينات مع انها ظهرت في اوقات سابقة في الدول السبع التي اصبح نظام صحافتها تعبوياً واجتازت الصحافة في هذه الدول مرحلة لا حزبية بشكل مشابه للصحافة الموالية التي وجدت في ست دول في منتصف السبعينات. واذا توفرت الشروط المناسبة فانه يمكن لاي بلد ان ينتقل من اي نوع من الانظمة الصحفية الثلاث الى اي نوع آخر. ويمكن للمرء ان يتنبأ الى حد ما عن نوع نظام وسائل الاعلام من خلال النظر الى الظروف والمؤشرات الرئيسة. ويمكن تحويل دور وسائل الاعلام في العملية السياسية الى نوع آخر اذا توفرت تغيرات في حالة الاحزاب السياسية والمجموعات المعارضة وفي ملكية الصحف.

ولا يعتبر نوع النظام الصحفي ناتجاً طارئاً للحقائق السياسية بل إنه هو نفسه يشكل هدفاً لحسابات سياسية. ويدرك الحكام تماما انهم اذا عملوا على تشجيع قدر اكبر من حرية الحوار والمنافسة في المسرح السياسي فانهم بذلك سيشجعون نمو الصحف التي قد يعمل بعضها على انتقادهم. وبذلك فعلى الرغم من دعوة معظم الحكومات العربية بافواها الى حرية الصحافة الا ان هذه الحكومات في الواقع تقوم بمحاولات للسيطرة على الصحافة. ويتمكن النظام الحاكم من تحويل نظام موالٍ او حتى تعددي الى نظام تعبوي اذا صمم على جعل الصحافة اداة سياسية وتوفرت له الظروف الملائمة.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ويتجه الصحفيون المتهنون من جهة اخرى الى الشد بالاتجاه الآخر فيسعون الى مقدار اكبـر من الاستقلال عن السيطرة الحكومية. واذا توفرت لهم مساندة الفرق السياسية ذات السلطة الكافية فانهم يستطيعون تحقيق النجاح في الحصول على قدر من الحرية على الاقل. في العالم العربي خلال السبعينات ومع وجود مشكلات كبيرة في التنمية الاقتصادية والسياسية الخارجية (الصراع العربي الاسرائيلي) تستدعي التعامل معها. وقد اصبح من الصعوبة بمكان ان يقاوم الصحفيون ذوو التفكير المستقل الضغوط المبذولة لحجب حرية الصحافة تحت مطالب النظام الحاكم الى وحدة وطنية ضرورية لمواجهة المشكلة العامة. ويظهر في مثل هذه الظروف انه من السهل قبول المنطق السلطوي الاذاعة والتلفزيون التوحد الداخلي والتنافس الدولي.

لقد تم عرض هذا المنطق بقوة كبيرة كما تم قبوله بشمولية كبيرة وذلك في حالة الاذاعة والتلفزيون. ففي كل بلد من العالم العربي يدير الاذاعة احتكار حكومي كما هو الحال بالنسبة للتلفزيون في كل بلد باستثناء لبنان. وتصر الحكومات على ادارة وسائل الاعلام الالكترونية بسبب اهميتها السياسية الواضحة في الاتصال مع غالبية السكان عبر حواجز معرفة القراءة والكتابة التي تهيمن على المنطقة. وتسيطر الدول التعبوية السبع على وسائل الاعلام الالكترونية بتشدد اكبر كما قامت هذه الدول بالدفع قدما في تطوير اسرع للاذاعة والتلفزيون كي تستخدمها الى حد اكبر الا ان الشكل الهيكلي للاذاعة والتلفزيون يتشابه الى درجة اكبر في العالم العربي من تشابه اشكال تنظيم الصحافة.

ومن التناقض ان تقدم الاذاعة للجمهور العربي وهي الوسيلة الاعلامية الخاضعة للتنظيم الحكومي المحكم اوسع الاختيارات ومنوعات من المعلومات والاراء. والسبب في ذلك هو ان المستمع العربي للاذاعة يستطيع بجهاز استقبال ترانزيستور بسيط ان يستمع الى محطات الاذاعة في بلدان اخرى اضافة الى محطة اذاعته الوطنية. ويمكن التقارب الجغرافي لبلدان عديدة من بعضها البعض في المنطقة وعدم توقف البث الاذاعي على الحدود الانسان العربي العادي ان يدير جهازه الى البث الاذاعي من المحطات العربية واسرائيل الخ التي تعرض وجهات نظر اخرى تختلف عن وجهة نظر حكومته.

الاخبار الاجنبية : امتحان النظام

يستقبل الجمهور العربي الاخبار الاجنبية ووالمعلومات والاراء من خلال قنوات عديدة. كما تأتيه الاخبار الاجنبية بشكل رئيسي من خلال وسائل الاعلام الوطنية في حين ان غالبية هذا الجمهور يتمكن من الوصول الى الاخبار الاجنبية عبر النشرات الاذاعية الدولية. وتصب الخدمات السلكية الدولية والصحف الاجنبية والمجلات والمصادر الاخرى كل يوم كميات كبيرة من الاخبار الاجنبية في العالم العربي. الا ان جزء كبيرا منها لا يصل الجمهور العربي على الاطلاق او انه قد يصل بعد ان يقوم احد صمامات الحكومة او وسائل الاعلام بمراجعته وتغيير شكله. وتعتبر الوسائل التي تغربل هذه الاخبار والمعايير التي تطبقها صمامات الابواب مؤشرات لطبيعة نظام وسائل الاعلام الداخلية وتجاوبها مع البيئة السياسية.

ففي العراق على سبيل المثال حيث لا يسمح لغير الحكومة بالاشتراك في وكالة انباء دولية وحيث تشرف الرقابة على كل وسائل الاعلام المطبوعة الواردة يقوم مسؤول حكومي بغربلة كل الاخبار الاجنبية الواردة قبل تمريرها الى المحررين العراقيين الذين يعملون على غربلتها ثانية قبل تقديمها للجمهور. ومن جهة اخرى فانه يمكن لمحرري وسائل الاعلام في الاردن الاشتراك في خدمات سلكية اجنبية مباشرة وبذلك فان عملية الغربلة تعتبر اقل شدة مع العلم ان المحررين انفسهم يخضعون لضغوط بيئة ثقافية واقتصادية وسياسية. اما في لبنان فان الجمهور يتمتع بحظ اوفر في الحصول على الاخبار الاجنبية حيث ان القنوات مفتوحة الى حد اكبر. واضافة الى سهولة وصول محرري وسائل الاعلام في لبنان بطريقة مباشرة الى مصادر الاخبار الاجنبية فان انظمة وسائل الاعلام تتمتع بحرية اكبر كما ان الرقابة الحكومية على وسائل الاعلام المسستوردة تعتبر خفيفة الى حد كبير.

وبذلك فان المعلومات التي تتوفر للجمهور العربي على اساس يومي تختلف كثيرا من بلد لآخر تبعاً لطبيعة نظام وسائل الاعلام المحلية. ويعتمد هذا النظام بدوره على ظروف مختلفة سائدة في البلد كما لاحظنا سابقاً. وتتم معالجة الاخبار الاجنبية بطرق شتى من قبل محررين وصحفيين

اخرين يهتمون بتحقيق عمل مهني ولكنهم يتأثرون ببيئتهم بوعي أو بدون وعي.

وتشارك وسائل الاعلام في العالم العربي بشكل كبير في العملية السياسية بتعاملها مع الامور الاجنبية او المحلية. وتعمل العوامل السياسية والعوامل الاخرى على تشكيل الصحافة والاذاعة والتلفزيون في مؤسسات. ولا يمكن تفهم وسائل الاعلام او تفهم بيئاتها دون الرجوع من الواحدة الى الاخرى.



الديباجـــــــــــــة

١ ـ توم جي ماكفارين Daily Journalism in the Arab World, Tom J. McFadden (كولومبس: اوهايو: مطبعة ولاية اوهايو ١٩٥٣)، يغطي هذا الكتاب لبنان وسوريا والاردن العراق ومصر فقط.

٢ ـ اديب مروة «الصحافة العربية» (بيروت: دار الحياة ١٩٦١).

٣ ـ لا يتفق العلماء كليا في تعريف «من هو العربي»، ولكن التعريف الذي يعتمد على اللغة والثقافة والشخصية يبدو مناسبا لاغراض هذا الكتاب، ولدى الجامعة العربية التي سمحت لدولة جيبوتي الجديدة الدخول عضوا ثان وعشرون في ٤ ايلول ١٩٧٧ وتتضمن ايضا الصومال وموريتانيا وفلسطين، تعريف اعم لأسباب سياسية، لاعطاء الجامعة وزنا اكبر من خلال اعلى عدد من الاعضاء.

٤ ـ وتعتبر خدمة معلومات البث الاجنبي The Information Broadcast Information Service (FBIS) دائرة من دوائرة وكالة المخابرات المركزية CIA ، تراقب ارسالات الاذاعات الاجنبية على مدار الساعة، وتقوم بترجمتها ليستفيد منها المحللون الحكوميون وغيرهم، وتطبع ترجمة الاذاعات العربية في التقرير اليومي FBIS عن الشرق الاوسط وشمال افريقيا "FBIS "Daily report, Middle East and north Africa ، واشنطن مقاطعة كولومبيا. وتقرير آخر مماثل هو تقرير خدمات المراقبة في هيئة الاذاعة البريطانية «موجز الارسال الاذاعي العالمي» Summary of the World broadcasting لندن.

المقـــدمـــة

١ ـ وسائط الاعلام المعلوماتية Mass Communication Media هي كل تلك الوسائل التي تنقل الرسائل او المعاني علنيا الى «جمهور كبير، مختلف الطبقات غير ذي شخصية مميزة» (تشارلز رايت) Newyork, Random house, 1962, Mass Communication ص١١ـ١٦.

٢ ـ ولقد اجريت دراسات مفصلة عن هذه القضية في الولايات المتحدة؛ للاشارة الى مثلين: (East lansing; Michigan State University press 1961), Broadcasting and Government, John Tebel, The Media in America , Crowell, 1974, Newyork. "Walter Bemery"

٣ ـ Wilbur Scgramm, Theodore Pekerson, Fred S. Siebert, Urbana: University of Illinois press, 1963, Four Theories of the press, p.1.

٤ـ هؤلاء المراقبون ـ الصحافيون ـ الدبلوماسيون وغيرهم ـ عادة يقوم بتحاليل سريعة على اساس يومي بدلا من دراسات نظامية طويلة الامد، ولا تعلن عادة استنتاجاتهم الى الملأ. وقد نشر احدهم على كل حال، حال دراسية عن مواقف العرب معتمدا على اساس مصادر اعلامية ذلك هو William A, Rugh في (Arab Perceptions American Foriegn Policy During the October war) ، (Washington, D.C. Middle East Institute, 1976).

٥ـ انظر مثلا الى Siebert, Peterson, Schramn, Fourtheories و (Two Concepts of "New York, the Free Press, 1966" mass Communication) "Wilbur Schramn" ص.ب ٢٠٦ ـ ٢١٩ أو Raymond (New York, Bames and Noble, 1966) Williams ص١٢٤ـ١٣٢.

الفصل الاول ـ الاعلام المعلوماتي العربي

١ـ تحوي كل دولة عربية اغلبية مسلمة، وهذه الاغلبية مسيطرة فيها كلها ما عدا لبنان والسودان، وتحوي كل دولة عربية اغلبية تعتبر لغتها الام العربية، تم نقاش اللغات الاخرى بالاسفل.

٢ـ سامي عزيز ـ التطور الصحافي في العالم العربي ـ (القاهرة: المعهد القومي للصحافيين العرب ١٩٦٩، منسوخ) ص٢ـ٣. انظر بالاسفل لمزيد من التفاصيل، اخذ نابليون معه مطابع كتب الى مصر في اواخر القرن الثامن عشر وقام نظامه المحتل باصدار صحيفتين Le Coirrier de l'Egypte و La Decade Egyptien بالفرنسية ولكن هذه تكن صحف عربية، وامر نابليون في عام ١٧٩٩ بصنع مطبعة عربية ولكنه لم يستعملها مطلعا لعمل الصحف.

٣ـ برأ التلفزيون العراقي بثه في اواخر عام ١٩٥٦، لبنان عام ١٩٥٩، مصر وسوريا ١٩٦٠ والآخرين بعد ذلك، بدأ البث الاذاعي في مصر في اوائل العشرينات واستمر حتى يومنا هذا كأكثر البثوث الاذاعية نشاطا، انظر الى الفصل السادس لمزيد من التفاصيل.

٤ـ يونيسكو، Paris, UNESCO, 1961, Reports and papers on mass media No.33, Mass ,edia in developing Countries ص١٦٠.

٥ـ والمعلومات التي تم جمعها من قبل Fredenck Frey تظهر ان ٨٥٪ منها قد تجاوزت مستوى الحد الادنى في اجهزة الراديو ولكن ٥٨٪ منها فقط فاقتها في اجهزة التلفزيون (Chicago: Rand McNally, 1973) Handbook of Communic-ation Frey Ithiel pool and Wilbur Scrhamn and development ص٣٤٨ـ٣٤٩.

٦ـ Tom J. McFadden Daily Journalism in the Arab States (Columbus: Ohio State University Press, 1953) ص٢٦.

٧ـ صلاح الدين بسكاني، الصحافة خلال الحملة الفرنسية على مصر عام ١٧٩٨ ـ ١٨٠١ (القاهرة: مكتبة العرب، ND ص١٦ـ١٩.

٨ـ يوافقنا اديب مروا عيل النقطة الاخيرة، الصحافة العربية (بيروت: مطبعة الحياة ١٩٦١) ص١٤٣.

٩ـ عزيز «التطور» ص٣.

١٠ـ كتاب Daily Journalism McFadden ص٤ و١٤، انظر كذلك الى ص٤٠ و٦. ثم دراسة الاهمية السياسية للاعلام في الدول النامية في اماكن اخرى، من قبل الآخرين.

وكتاب Communications amd development, Frey ص٢٨٣ ـ ٣٨٧ يقول تمثل وسائل الاعلام القاعدة المثالية للعمليات السياسية وتصبح بالتالي وسائل الاعلام مواضيع للنزاع السياسي وتشوى بنار النزاعات الحزبية.

١١ـ كتاب Daily Journalism Mcfadden ص٣٢ـ٣٣، ٢٨، ٣٠ ولا يزال تحليلا صحيحا، وجد ان ٥٥٪ من الصحف تعمل ظاهريا في المنطقة الحمراء واتهمت كل واحدة منها الاخرى بأخذ المعونات، لقد وجد هذا الكاتب نفس رد الفعل في بيروت في ايار ١٩٧٣ للاسئلة التي وجهت الى محرري صحف لبنانية عديدين.

١٢- العبارة والتحليل كلاهما من نفس الكتاب هذا، ص١٦.

١٣- نفس كتابنا هذا، ص٣٦-٣٧: Western Techniques influences Party News Papers in Egypt, Journalism Quarter-ly, Wilton Wynn ص٢٥(٤):٣٩.

١٤- كتاب American Journalism (New York: Macmillan 1942) ص٢٥٢: انظر الى ص١١٣-١١٤، ١٦٨، ٢١٥ - ١٦، ٤١١ - ١٢.

١٥- كتاب Daily Journalism ص٢٨، ٨٤ كتاب ٩٤ Wynn Western Techniques ص٢٩١-٩٣.

١٦- كتاب Western Techniques Wynn ص٢٩٢.

١٧- كتاب Western Techniques, Wynn ص٢٩٢ الذي يقول انه كان من الشائع في القاهرة في اواخر ١٩٤٠، عمليات Fly by night عمليات و Low-over head اخرى - اليوم هي اقل بكثير، ولكن حتى في العربية السعودية الثرية يحث القانون على استعمال اوراق الميزانية المنخفضة، امظر كذلك في هذه الموضوع اطروحة ماجستير مقدمة من Louis Greiss الجامعة الامريكية في القاهرة، القاهرة ١٩٥٥ رقم ٥٣/٥٥.

١٨- وقد حققت صحف غسان تويني الاثنتان «النهار» وشقيقتها المكتوبة بالفرنسية L'Orient Le Jour اللتان تصدران في بيروت، مستوى عال من الموضوعية في نقل الاخبار، وبنطاقهم الواسع المتنوع في كتاب المقالات تمكنتا من تقديم الآراء عن الاحداث من مناظير واسعة الاختلاف، ولم تحقق الاهرام مثلا هذا النوع من الموضوعية، مخالفة لميل الاتجاه التي تصفه Helen Kitchen في The Times of the Arab World, Al-Ahram في عدد الـ Middle East Journal ٤ (٢) (ابريل ١٩٥٠)

١٩- ويبدو ان الاسماء شله وبشقه او دواره هالفا وغيرها تشير الى نفس الظاهرة العامة، انظر الى امثلة عنها مثلا التالي كتاب Patterns of Communication in the Egyptian Political State, Robert Spring Borg في كتاب Emergence of a New Middle East class in Saudi Arabia, Middle East Journal, Washington, D.C: American Interprise Institute, 1975, Political Elitis in the middle East, George Lenczowski ٢٧(١) (1979 Winter) ١٨-١٩ وكتاب Dialectics of modernization in the middle East, James Bill في International Journal of the Middle East Studies ٣(٤) (اكتوبر ١٩٧٢): ٤٢٦-٢٧، ويشير Bill الى ان المجتمعات الغير عربية تمتلك مثل هذا التصنيف ايضاً.

٢٠- London: Blond, 1970, Mass media Systems and Communication Behaviour in the Middle East, In handbook to the Middle East ص٥٨-٦٠، اما لمناقشة الاتصال في الجامع انظر الى Summer, Middle East Journal, The Islamic Sermon as a channel of Political Communication, Bruce M. Borthwick ٢٩٩-٣١٣.

٢١- كتاب Charles R. Wright Mass Communication New York: Random house: 1959 ص١٦، وسنّه Wright على تصنيفات Harild Lasswells's : لقد اضفت انا الاعلانات.

٢٢- Daily Journalism, McFadden ص٢٥-٢٦ يقول ان معدل الحجم قبل الحرب العالمية الثانية كان ص٨-١٠ صفحات، ولكن نقص المواد ادى الى التنقيص، وكانت الاهرام مستثنية بـ٣٢ صفحة، ورغم ان بعض اليوميات المصرية مثل «البلاغ» كان عدد صفحاتها ١٢ الى ١٦.

٢٣- كتابنا ص٤، ١٤، ٢٨ و٦٥ كتاب Mass Media Systems, Western Techniques, Wynn ص٥٦ ونبيل هـ. دجاني The press in Lebanon Gazette ١٧(٣) ١٦٩ - كلها تؤكد عيل بروز التعليق في الاعلام العربي، وتدعم والملاحظات على مسؤولية المؤلف والآخرين الذين يتبعون الاعلام هذه الاستنتاجات.

٢٤- A Free and Responsible press (Chicago University of Chicago press; 1947) pp.23-28, The communication on the Freedom of the press.

٢٥- كتاب Wester Techniques, Wynn ص٣٩١ - ٩٢: انظر ايضا الى Daily Journalism, McFadden ص٦٥، According to a free and Responsible press ص٢٢، ومـا يوازي دقة نقل المعلومات اهمية هو تحديد الحقيقة كحقيقة والرأي كالرأي، وفصلها عن بعض بعيدا ابعد ما يمكن.

٢٦- مولانا Mass media System ص٥٦-٥٧، يقول ان جوهر اي صحيفة عربية هو نكهتها السياسية وان الجمهور العربي لا يتوقع من الصحافة ان تكون محايدة انما قادرة على خوض المعارك السياسية.

٢٧- A free amd Responsible press ص٢١ Hertbert Brucker في Freedom of information (نيويورك: ماكميلان ١٩٤٩) ص١٤٩-١٥٠ ان المجتمع الأمريكي من محرري الصحف قد تبنى قوانين صحافة تتضمن: بكل اعتبارات الايمان القوي يجب على الصحف ان تلتزم بالحقيقة فقط.. ويجب على العناوين ان تكون ملتزمة بمحتويات المقالات التي تمثلها «انظر ايضا الى كتاب Brucker الفصل ١٨ Amertican Contrebution: Objective Reporting فيما اذا حقق الامريكان هذه المثاليات فهذا موضوع آخر.

٢٨- هذه النقطة المهمة ابرزها W. Phillips Dividson, Internationa Political Communication, (New York, Praeger, 1965) p.80.

٢٩- هذا ليس غير عادي، نسبه الى Herbert Passin في Writes and Journalist in the Transitional Society طبعه Communication and Political Development, Lucien Mye برينستون: مطبعة جامهة برينستون ١٩٦٣ ص٩٧-٩٨، اليابان، الصين، الهند، وكوريا، بتجربة تطور مماثلة في الصحافة لأن التطور الادبي كان متقدما كثيرا عندما ظهرت الصحافة ايضا.

٣٠- لقد كان الروائي وكاتب القصة القصيرة الشهير يوسف السباعي حتى وفاته في شباط ١٩٧٨ رئيس تحرير ورئيس مجلس ادارة الاهرام، مركزا كان قد احتله سابقا الكاتب الشهير احسان عبدالقدوس، انظر الى Kitchen «الاهرام» ص١٥٧، عن محمد عبده ومعاصريه واصبح عبدالقدوس الذي اسست والدته الممثلة روزاليوسف بهذا الاسم عام ١٩٢٥ محررا لصحيفة «اخبار اليوم» عندما كان في قمة مستقبله، ويناقش باختصار كتاب Middle East

(ربـيـع (٢) ٢١ Jpurnal, Egyptian Authors, A Maliase im Cairo: Three Contemporari, Trevor Le Gassik ١٩٦٧): ١٤٥ـ١٥٦.

٣١ـ يبـدأ التلفـزيون السعودي مثلا شبه دائما بآيات من القرآن، ويسود في وقت صلاة العشاء ويبث المناقشات السياسية مع اشخاص يخوضون في مثل هذه المناقشات بانتظام، وكان يبث في منتصف السبعينات برنامج لاقى شعبية كبيرة يقدمه شيخ دين يناقش فيه مشاكل الحياة اليومية العملية بالرجوع ايل القرآن.

٣٢ـ فيليب كي. حتي The Arab, A Short History (برنستون: مطبعة جامعة برينستون ١٩٤٣) ص١٢١ مكتوبة ايضا في كتاب Scribners, 1973, The Arab Minds, Rafael Patai ص٤٩، فالمصطلح Intimate Interdependence مقتبس من مقالة قصيرة ممتازة كتبها The influence of the Arabic language on the Psychology at the Middle East Journal Arabs, A. Shouby (٣) ـ صيف١٩٥١ ٢٨٤) وقد اشار «البيرت حوراني» الى انه ليس الدين انما اللغة .Emeryed as the common good on the Near Eastern people (Democracy and the new states), NewDelhi: Congress for the cultural Rhooles Seminar papers

٣٣ـ Arabs language Shouby ص ٢٨٨، ٢٩٥ انظر ايضا الى ص٢٨٩ ٢٩٦ـ٢٩٩ وانظر الى The Arabs Minds Patai ص٤١ـ٤٩.

٣٤ـ ايدوارد عطية The Arabs بالتيمور: بنغوين ١٩٥٥ ص٩٦.

٣٥ـ The Arab language. Shouby ص٢٩٣ تقول: وينص الكاتب العربي ناجحا ما دام يعطي انتباهه الى الامور القواعدية واللفظية ومن ثم يجعلها مفهومة بشكل نبي، وهذه الوظيفة لا تأخذ مدى واسعا لتجعل معاني المكتوب قاطعة المعنى وتاضحة، انظر ايضا الى ص٢٩١ـ٢٩٣، ٢٩٨ـ٢٩٩ والى The Arab Mind Patai ص٤٩ـ٥٩.

٣٦ـ زبير سيف الاسلام، «تاريخ الصحافة» (الجزائر ـ شركة وطنية للنشر والتوزيع ١٩٦٠) يبين التأثير القوي جدا للفرنسيين وثقافتهم ولغتهم على الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين.

٣٧ـ وتعتبر صحيفة Lorient - Lejour اليومية الصحيفة الاولى في بيروت، ليس هناك صحيفة فرنسية ذات اهمية خارج الدول التي ذكرت، ويصدر في بعض هذه الدول صحف يومية بالانجليزي، ولكن يقوم بقراءتها الجالية الاجنبية المقيمة فيها Egyptian Gazette القاهرة Kuwait Times, Daily News الكويتيتان Arab News في جدة Baghdad Observer البغدادية.

٣٨ـ هناك عدد قليل من المجلات ذات الاتجاه الترفيهي البحت مثل «صباح الخير» المصرية، وهي هجائية في المكان الاول، ولكن تقوم معظم المجلات بأكثر من الترفيه، وحتى ان بعض مجلات الاطفال الهزيلة سياسيا جدا في محتواها تدعم «المقاومة الفلسطينية»..الخ.

٣٩ـ Ghanas Press and the N.R.C. "Journalism Quarterly" (خريف ١٩٧٥): ٤٦٢ ـ ٤٦٣ تعتبر محطات التلفزيون في كل من دبي ولبنان التجاريتان الوحيدتان في العالم العربي: انظر الى الفصل ٦.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٤٠ـ Wilber Schramm, Theodore Peterson Fred S. Slebert "Four Theories of the press" (إيربانا ـ مطبعة جامعة الينويز ١٩٥٣ ص١ـ٣٧.

٤١ـ كتابنا هذا ص٢٠ Freedom of the press in the developing societies.

٤٢ـ غسان تويني (بيروت، مطبعة النهار ١٩٧١) ص٢ـ٣.

٤٣ـ كتاب Two concepts of mass communications, Wilbur schram, Moris Janowitze Bernard Bersdon Reader in the public opinon and communication, (1966 Free press, New York) ص٢١٣، ٢١٦: انظر الى Four Theories Schramm, Peterson, Seibert.

٤٤ـ Communication in the Totalitation Societies, Ithiel Pool, handbook of communication, Schramm pool, Four Theories Sehramm, Peterson seibert.

٤٦ـ كتاب Writer anf Journalist Passin ص١١١.

٤٧ـ هذا التصنيفات بالاساس هي تلك التي يضعها Fourtheories, Schrammm Peterson Siebert ولكن تصميفه الرابع Soviet Totalitrian, قد وسعت لتحتوي كل انظمة التوتاليتريان لان المحللين الآخرين قد عملوا ذلك بشكل مقنع: انـظر الى Totalitrianism, William Ebenskin New York: Holk, Rienhart and Winston 1962, ص٧،١٤ـ١٧، ٢٥ـ٣٠، ٥٢،٦٤ و Totalitarian Dictatorship and auto racy, Zibigniew K. Brzezinski, Carl J. Fredrik ، (1961, Praeger: New York).

الفصل الثاني ـ الصحافة التعبوية

١ ـ مقابلة رقم ١٠٥ مع صحفي مصري، ٥ أيار ١٩٧٥، مقابلة رقم ٣٠، مسؤول سوداني، ١٤ أيار ١٩٧٣، مقابلة رقم ٢٢، صحفي مصري، ١٠ أيار ١٩٧٣؛ في عام ١٩٧٤ مثلا، بدأت صحيفتان دمشقيتان يوميتان بنشر عمود بعنـوان «السيطرة الشعبية» كان يمكن أن ينتقد مهندساً في مصنع للكبريت لسماحه بإنتاج اعواد ثقاب غير صالحة، ولكنه لم يكن ليلوم القيادة السورية العليا على نقائصها؛ (١٨ أيار ١٩٧٥ ص٨٥ ,NY Times Magazine).

٢ ـ مقابلات رقم ١٢ ورقم ٣٢، صحفيون مصريون وتونسيون ٧ أيار و١٥ أيار ١٩٧٣ وآخرون.

٣ ـ Karl Dentsch, "Social Mobilization and Political Development", American Politucal Science Review (Sept. 1961): 493-94.

٤ ـ David E, Apycr, The Politics of Modernization (Chicago: University of Chicagò Press, 1965), pp. 36, 240, 359.

٥ ـ Daniel Lerner, "Toward a Communication Theory of Modernization", in Lucien Pyes ed., Communications and Political Development (Princton: Princeton University Press, 1963), p. 344.

٦ ـ مقدمة قانون رقم ١٥٥، حكومة العراق، كانون أول ١٩٦٧، كما اذاعه راديو بغداد/ ١٣ كانون أول ١٩٦٧.

٧ ـ برنامج حزب البعث العربي الاشتراكي ١٩٦٥، المادة ٤ «الحزب ونظام الحكومة» مقتبس في كتاب Roy E. Thoman, "Iraq Under Ba'athist Rule" Current History (January 1972): 32.

٨ ـ وكالة الانباء السوداني، «الثورة، الاعلام والاخبار» الخرطوم، ١٩٧١)؛ انظر ايضا كتاب جمال الدين اللطيفي «حرية الصحافة» (القاهرة: مطابع الاهرام التجارية، ١٩٧١)، ص٤٠ اقتباس قانون الصحافة المصري.

٩ ـ اعلان اللجنة المركزية للتنظيم السياسي للجبهة الوطنية، ٢٨ شباط ١٩٧٤، منشور في (الثوري) "عدن"، ٧ آذار ١٩٧٤، ص٦ـ٧.

١٠ـ البيان النهائي للندوة نشر في Revolution Africaine (Algiers) January 31 - February 6, 1975, P.20.

١١ـ The Findings on African media parallel these; William Hachten, "Ghana's Press under the NRC: An Authoriterian Model for Africa", Journalism Quartley 52 (3) (Autumn 1975); 459-60.

١٢ـ مثل واضح على هذا حدث خلال حرب اكتوبر ١٩٧٣ حين هاجمت الصحافة العراقية الدول العربية المنتجة للنفط، بما فيها السعودية، لأنها كانت تساعد اسرائيل بعدم مقاطعتها للولايات المتحدة نفطيا واستخدمت الصحف في ذلك الافتتاحيات والكاريكاتور والعناوين المصممة لذلك William Rugh, "Arab Media and Politics During the October war", Middle East Journal 29(3) (Summer 1975): 319-22.

١٣ـ Apter, Politics of Modernization, P.360; other writes have also made the important contrast between

totalitarian and authoritarian; sec. eg., Carl J. Friedrich and Zbigniew Brzeziski, Totalitarian Dictaforship and Autocracy (Cambridge: Harvard University Press, 1965), espec. chapters 1 and 4.

١٤- Ithiel Pool, "Communication in Totakitarian Socielies", in Pool and Wilber Scheamm, eds., Handbook of Communication Chicago: Rand McNally, 1973), P.468; See also pp.463-66.

١٥- Apyer, Politics of Modernization, pp.181-202, 363.

صرح الرئيس الجزائري هواري بومدين في أيار ١٩٧٥: «اذا أردنا أن نتحدث عن الديمقراطية يجب علينا أن نفهم بأنفسنا المعنى الحقيقي للكلمة. فهناك أولاً الديمقراطية البرجوازية المبينة على تعدد الاحزاب ولعبة القوى، وهناك ايضا الديمقراطية الحقيقية المبينة على العوامل الاقتصادية والاجتماعية. فنحن من جانبنا نقول «نعم» لديمقراطية العمال والفلاحين والشباب الثوريين». «المجاهد»، ٢ أيار ١٩٧٥.

١٦- Apter, Politics of Modernization, p.363.

يقول ان حزب التضامن هو الاداة الرئيسة للتحكم في النظام التعبوي؛ ويضيف (ص٢٨٣) أن الاعلام هناك «محكوم من الحكومة»، ولكنه لا يستطرد اكثر من ذلك.

١٧- قانون تنظيم الصحافة، الاجزاء ١، ٣، ٦، ٧، ٨. وصف هذا القانون وحلل من قبل خبير مصري في «حركة الصحافة» للعطيفي ص٣٩، ٥٩ و٨٧.

١٨- بعض المنشورات المصرية الاسبوعية التي لا تزال بأيدي القطاع الاهلي يسمح لها بالعمل خارج نطاق هذا النظام لأنها ليست ذات دلالة سياسية - Journald, Egypte و«الوطني» التي يملكها الاقباط، مقابلة رقم ١٨، صحفي مصري، القاهرة ٩ أيار ١٩٧٣.

١٩- «حرية الصحافة» العطيفي، ص٤١، ٤٢، ٦٣، ٧٣. موردا دستوري ١٩٥٦ و١٩٦٤ وقوانين أخرى. ايضا مقابلات رقم ١٨ و١٠٦، صحفيين مصريين أيار ١٩٧٣.

٢٠- مقابلة رقم ١٢، صحفي مصري، القاهرة ٧ أيار ١٩٧٣، بموجب «حرية الصحافة» العطيفي، ص٧٦. تعطي «الاهرام» نصف ارباحها لعمالها. وتستثمر النصف الآخر في التنمية.

٢١- كان بن بيلا شخصيا معنيا في عملية الاستيلاء الدرامية على صحيفة "La Depeche D'Algerie" الأوروبية الملكية، التي تم تسليم تسهيلاتها الى صحيفة الجبهة الوطنية اليومية Le Penple نيويورك تايمز ١٨ ايلول ١٩٦٣.

٢٢- تم ذكر الدمج في المرجع السابق، ٥ حزيران ١٩٦٥. كانت Alger Republican في السابق مدعومة من الشيوعيين، لكن الحزب الشيوعي كان غير قانوني في ذلك الوقت، وقد استقال محرر الصحيفة الشيوعي Henri Alleg في آب ١٩٦٤؛ المرجع السابق ٤ آب ١٩٦٤، انظر التقرير في المرجع السابق ٢٨ حزيران ١٩٦٤.

٢٣- «النميري يحدد تنظيم المؤسسة الصحفية السودانية»، أخبار السودان، ٨ أيلول ١٩٧٠، ص٥، اصدرت دار

الايام للنشر صحيفة اسبوعية «السودان الجديد» وصحفا محليا ونسائية. اصدر «دار الصحافة للنشر» اليومية "Sudan Standard" ابتداء من ٢٤ تشرين ثاني ١٩٧٠، واسبوعية (يومية في السابق» عي «رأي الأم» وشهرية هي «الخرطوم»، وتوقفت صحيفتي «الاحرار» و "Sudan News".

٢٤ـ قانون الصحافة والمطبوعات السوداني لعام ١٩٧٣، وقانون رقم ٦ لـ١٠ أيار ١٩٧٣، فقرات ٥ و٨ و٤ على التوالي، ومنذ ١٩٧٠ تصدر القوات المسلحة صحيفة اسبوعية «القوات المسلحة» وتصدر وزارة الاعلام للاقليم الجنوبي الصحيفتين الاسبوعيتين «الاذاعة» و«الشباب».

٢٥ـ مقابلة رقم ٢٩، مسؤول سوداني، ١٤ أيار ١٩٧٣ الخرطوم.

٢٦ـ اصدر مجلس قيادة الثورة العراقي القانون رقم ٩٨ لعام ١٩٧١ الذي انشئت بموجبه دار الجماهير للصحافة كمنشأة عامة مرتبطة بالوزارة لاصدار الصحف وغيرها. قرار مجلس قيادة الثورة رقم ١١٧ لعام ١٩٧٢، انشأ «الدار الوطنية للنشر» للأغراض ذاتها، انظر الجريدة الرسمية رقم ١٧ ٢٥ نيسان ١٩٧٣ (بالانكليزية) ص٦، وصحيفة ١١ تشرين ثاني ١٩٧٢ (بالعربية) ص٣، على التوالي ـ الصحيفة الشيوعية «طريق الشعب» والكردية «التآخي».

٢٧ـ Foreign Area Studies, American University, Area Handbook for Syria (Washington, D-C., USGPO, 1965), P. 115.

لسوريا ثلاث صحف محلية يومية «العروبة» و«الجماهير» و«الفداء» وأخذت الصحف اليومية «تشرين» التي انشئت لتخليد حرب تشرين ١٩٧٣. كلها محكومة للحكومة، في اليمن الجنوبي، قامت جبهة التحرير الوطنية ذات التوجه الماركسي بضم حزب الاتحاد الديمقراطي الشعبي وحزب الطلائع الشعبي في تشرين أول ١٩٧٥ لأنه لم يكن هناك اختلافات حقيقية فيما بينهما.

٢٨ـ التقى الاثنان في ١٩٤٨، لوصف العلاقة انظر:

Edward R.F. Sheahanzs Introduction to Mohammad Hassaain Hykal's Cairo Documents (Garden City, N.Y.: Doubleday. 1973).

٢٩ـ مثلا «الاوقات الاستثنائية» للصراع العربي الاسرائيلي في الفترة ١٩٤٧ ـ ١٩٥٠ اشير اليها كمبرر للرقابة، والفترة من كانون ثاني الى حزيران ١٩٥٢ للتوتر بين القاهرة وانقلاب الكولونيلات، ازمة السويس ١٩٥٦ ـ ١٩٥٨ ونتائجها، الفترة من ١٩٦٧ ـ ١٩٧٣ مرحلة الاحباط العربي عن الصراع العربي ـ الاسرائيلي، مقابلة رقم ١٨، صحفي مصري، القاهرة ٩ أيار ١٩٧٣، كانت المطبوعات من غير الصحف اليومية في مصر مراقبة ايضا ولكن بشكل اقل حدة مثلا «الاهرام الاقتصادي» وهي محلة اقتصادية: مقابلة رقم ١٥، صحفي مصري، القاهرة ٨ ايار ١٩٧٣، في عام ١٩٧٣ كان المراقب العسكري يزور كل صحيفة ليدقق نسخة عن كل طبعة قبل النشر، ولكن

هذا الاجراء توقف بعد حرب تشرين.

٣٠ـ مقابلة رقم ١٧، صحفي مصري، القاهرة ٨ ايار/ ١٩٧٣، دليل الصحافة السودانية ١٩٧٤ يشير الى الرقابة، ولكن هذا الاجراء في هذه الدول عادة لا يعطى الصفة الرسمية بالقانون.

٣١ـ مقابلة رقم ١٠٢، حزيران ١٩٧٣.

٣٢ـ مقابلة رقم ١٢، صحفي مصري، القاهرة، ٧ أيار ١٩٧٣، كانت مصر لا تزال في حالة حرب، وتوتر عالي مع اسرائيل لدى اجراء هذه المقابلة، وهذا هو السبب الاساسي للرقابة الدقيقة العسكرية.

٣٣ـ المرجع السابق: قال احد المحررين للكاتب انه يقرأ مناقشات مجلس الشعب بعناية للبحث عن التوجيه في قضايا معينة.

٣٤ـ مقابلات رقم ١٢، ١٣، ٢٢، ٧ و١٠ أيار ١٩٧٣ على التوالي، صحفيين مصريين.

٣٥ـ مقابلات رقم ١٢ و١٧ و٢٢، صحفيين مصريين، القاهرة أيار ١٩٧٣، ومقابلة رقم ١٠٥، الرئيس السادات يذكر هذه المبادىء الثلاث كثيرا، انظر خطابه المقتبس في «الاهرام» ٢٧ حزيران ١٩٧٧.

٣٦ـ مقابلة رقم ١٧ صحفي مصري، القاهرة، ٨ أيار ١٩٧٣.

٣٧ـ مقابلات ١٣ و٢٢، صحفيين مصريين، القاهرة أيار ١٩٧٣.

٣٨ـ الافتتاحية «فكرة» نشرت في ٣ ايار ١٩٦٥ لعلي امين في الاهرام، وكان هذا اليوم هو الذي ترك فيه «الاخبار»، وقد تمكن الكاتب الكبير تجيب محفوظ من نقل استيائه من الاوضاع بعد حرب ١٩٦٧، في «الاهرام الاقتصادي»، مقابلة رقم ١٥، صحفي مصري، ٨ ايار ١٩٧٣.

٣٩ـ مقابلة رقم ١٣، صحفي مصري، القاهرة، ٨ أيار ١٩٧٣، حول تاريخ «الاهرام» انظر «الاهرام، تاريخ وفن» ١٨٧٥ ـ ١٩٦٤، للدكتور ابراهيم عبده، (القاهرة مؤسسة سجل العرب ١٩٦٤).

٤٠ـ مقابلة رقم ١٧، صحفي مصري، القاهرة، ٨ أيار ١٩٧٣.

٤١ـ مقالات هيكل النقدية بشكل خاص نشرت في «الاهرام» في ١١ كانون ثاني و١ شباط ١٩٧٤، لمعلومات شخصية عن هيكل انظر كتابه "Cairo Documents" Garden City, N.Y. Doubleday, 1973), pp. i-xxvii, and Desmond Stewart, "The Rise and Fall of Muhammad Haykal, "The Rise and Fall of Muhammad Haykal", Encounter (June 1974): 87-93.

٤٢ـ في ١ شباط ١٩٧٤، اعلن راديو القاهرة ان علي امين قد حل محل هيكل كرئيس تحرير «للاهرام» وان عبدالقادر حاتم هل محله كرئيس مجلس ادارة. بعدها قام هيكل بالكتابة للنشر في الكويت والاردن ولبنان واوروبا.

٤٣ـ مصطفى امين الذي سجن في عام ١٩٦٥ بتهمة التجسس لصالح الولايات المتحدة واخوه التوام علي الذي كان في المنفى، اعيد اعتبارهما في كانون ثاني ١٩٧٤، واصبح مصطفى رئيس مجلس ادارة «اخبار اليوم» التي كان

قد أسسها مع اخيه في الاربعينات والخمسينات.

٤٤ـ في ٨ شباط اعلنت «الاهرام» ان الحكومة قررت تخفيف القيود. امثلة على نقاشات حول الناصرية: بدوي في «الجمهورية» ٢١ آذار ١٩٧٤، بعثي وجودت في «المصور» ١٤ آذار و٢٨ آذار ١٩٧٤. في الاحزاب، عطيفي في الاهرام ٩ آذار ١٩٧٤، جودت في المصور ١٢ نيسان ١٩٧٤، سعادة وعلي امين في الاخبار، ٢٢ شباط ١٩٧٤، ابو الفتح في اخبار اليوم، ١٨ كانون ثاني ١٩٧٥، غالب وعزيز في الطليعة، شباط ١٩٧٥، في مجال قضايا الطلاب، الاهرام، ٦ كانون ثاني ١٩٧٥، في مجال الفساد، اخبار اليوم نشرت سلسلة طويلة من المقالات بقلم مراسلتها تهاني ابراهيم اتهمت احمد يونس رئيس مجلس ادارة الاتحاد المركزي للتعاونيات الزراعية، بالفساد، المقالات ظهرت في ٣ تموز و٢٠ و٢٤ آب و١٤ ايلول ١٩٧٦.

٤٥ـ لاحقا للخلاف حول قضية آذار تم فصل محرر الطليعة من دار النشر التي قامت بعد ذلك بتحويل المجلة، قدمت الاتهامات ضد روز اليوسف في نيسان.

٤٦ـ احد الامثلة من بين الامثلة العديدة في خطابه الى اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكي العربي في ٢٢ تموز ١٩٧٨، نشر في كافة الصحف القاهرة في اليوم التالي.

٤٧ـ حزب رابع هو الوفد الجديد الذي ظهر في بداية ١٩٧٨ حل نفسه في نفس العام، قبل ان يبدأ باصدار صحيفة.

٤٨ـ مثلا في عام ١٩٧٧ كان يوسف السباعي كاتب القصص القصيرة المعروف رئيس مجلس ادارة الاهرام، وكان من بين اعضائه الكاتب الروائي الشهير نجيب محفوظ ومبتكر المسرح الادبي العربي الحديث توفيق الحكيم واشهر كاتب قصة في العالم العربي احسان عبدالقدوس، وفي دار النشر الرئيسة الثانية «اخبار اليوم» كان هناك ثلاثة من رواد الصحفيين المحترفين هم مصطفى امين واحمد عبدالفتح وجلال الحمامصي.

٤٩ـ موسى صبري، «اخبار اليوم»، تشرين اول ٤ و١١ و١٨/١٩٧٤، ممدوح رضى وانور زعلوك في «التعاون السياسي» ٧ نيسان و١ أيار ١٩٧٧ على التوالي، انظر ايضا فؤاد مطر «النهار» (بيروت) ٤ شباط ١٩٧٤.

٥٠ـ خطاب السادات في الذكرى الثالثة لوفاة عبدالناصر، «الاهرام» ٢٩ ايلول ١٩٧٣، خطابات السادات في جامعة الاسكندرية وفي اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكي العربي «الاهرام» ٤ أيار و١٧ حزيران ١٩٧٧.

٥١ـ خطبة السادات في الذكرى الخامسة لوفاة عبدالناصر، «الاهرام» ٢٨ ايلول ١٩٧٥.

٥٢ـ الرئيس السادات للمجلس الاعلى للصحافة «الاهرام» ٢٧ أيار ١٩٧٥.

٥٣ـ خطبة الرئيس السادات في مرسى مطروح «الاهرام» ٩ آب ١٩٧٧.

٥٤ـ في آذار ١٩٧٥ اعلن الرئيس السادات بصفته رئيس الاتحاد الاشتراكي العربي عن انشاء مجلس تحول اليه ملكية ٤٩٪ من المطبوعات، واحتفظ الاتحاد الاشتراكي العربي بـ٥١٪ من الملكية، كل اعضاء الصحافة يعينون من الرئيس ويتضمن المجلس حسب القانون اغلبية من المراكز المؤيدة للنظام مثل مسؤولو الاتحاد الاشتراكي والمحررون ووزير الاعلام.

الفصل الثالث ـ الصحافة التعبوية: مراحل التطور

١ ـ حتى الكتّاب السوريون الذين كانوا تحت الحكم العثماني القاسي في بيروت ودمشق انتقلوا الى مصر حيث تمكنوا من اصدار صحف خاصة ايام اسماعيل. مثلا، «الاهرام» انشئت في الاسكندرية، المركز التجاري، في ١٨٧٥ من قبل اخوين من بيروت هما سليم وبشارة تكلا. اديب مروة، «الصحافة العربية» (بيروت: دار مكتبة الحياة ١٩٦١) ص١٩٣، انظر ايضا Helen Kitchen, "Al Ahram - The Times of the Arab World", Middle East Journal 4(2) (April 1950): 155-60. Adnan Almany, "Govenment Control of the Press in the United Arab Republic, 1952 - 1970", Journalism Quarterly 49(2) (Summer 1972): 340; and American University, Area Handbook for the United Arab Republic (Washington, D.C.: USGPO, 1970), P. 255;

ايضا انور الجندي «تطور الصحافة العربية في مصر» (القاهرة، مطبعة الرسالة)، الفصل الاول.

٢ ـ Quatation from Henry Ladd Smith, "The Egyption Press and Its Current Problems," Journalism Quarterly 31(2) (Summer 1945): 333; see also Rasalynde Ainslie, The press in Africa, Communications Past and Present (New York: Walker, 1967), P. 142, and Almany, "Government Control of the Press", p.341.

٣ ـ مقابلة مع د. سامي عزيز استاذ الاعلام، جامعة القاهرة، ٨ أيار ١٩٧٣، امثلة اخرى هي «البلاغ» لعبدالخالق حمزة والسياسة، للدكتور هيكل.

٤ ـ مقابلة رقم ٢٢، القاهرة، ١٠ أيار ١٩٧٣.

٥ ـ (Almany "Govenment Control of the Press") ص٢٤١، يصف صحيفة «اللواء» بأنها اداة للقومية استخدمها مصطفى كامل وحزبه القومي، مروة في «الصحافة» ص٢٠٦ـ١٤ يصف تطور الصحف الوطنية في العشرينات في سوريا كما ظهرت من القيود العثمانية، ولكن بعض الكتاب الوطنيين تم اعتقالهم من قبل السلطات الفرنسية. سيف الاسلام زبير، تاريخ الصحافة (الجزائر: الشركة الوطنية للنشر، ١٩٦٠) ص٥٢، يصف التأثير الفرنسي القوي و«الصحافة الامبريالية» Tom J. Mcfadden, Daily Journalism in the Arab States (Colombus: Ohio State University Press, 1953), pp.8-9

يصف «المؤيد» الصادرة عام ١٨٨٩ بانها الصحيفة الحزبية الاولى، انظر ايضا شمس الدين الرفاعي، «تاريخ الصحافة السورية» (القاهرة: دار المعارف، الجزء الثاني، ١٩٦٩) ص١١ـ١٥.

American University, Area Handbook for Iraq (Washington, D.C.: USGPO, 1971), P.223;

مروة، الصحافة، ص٢١٦ و٢٢٢ـ٣٥.

٦ ـ American University, Area Handbook for Algeria (Washington, D.C.; USGPO, 1965), P.324;

مروة، الصحافة، ص٢٣٣، الاسلام، تاريخ الصحافة.

٧ ـ (OAS) اغلق صحيفة Oran Republican الموالية للاشتراكية في الخمسينات بعد ان دعت لبعض الاصلاحات الحكومية، كما اغلقت قنابل Journal D'Alger المعتدلة في عام ١٩٦١ بعد ان جرؤت على تقديم عروض لعرب معتدلين Ainslie, The Press in Africa P.147 ظهرت صحيفة يومية ليبرالية جديدة في الجزائر في بداية عام ١٩٦٠ ذكر انها كانت مدعومة من باريس في محاولة لكسر احتكار اليوميات المحافظة التي عارضت الاستقلال، حسب ما ورد في نيويورك تايمز، ٢٩ نيسان ١٩٦٠.

٨ ـ Helen Kitchen, ed., The Press in Africa (New York: Ruth Sloan Associates, 1956), P.1.

٩ ـ الاسلام، تاريخ الصحافة: Area Handbook for Algeria, P.325.

١٠ـ في عام ١٨٩٠ في السودان امر كيتشنز بإصدار Dongola News لجيشه اثناء مروره بالنيل، حسب بشير محمد سعيد The Press in the Sudan, Khartoum, December 1971, manuscript, P.1. In Aden, the first paper and the only one published prior to warld wars was the mimeographed Reuters news bulletin according to world press (Paris: UNESCO, 1964), p.83. In Libya, the only papers between D45 and 1950 were those published in Arabic and Italian by the British Information Service.

١١ـ سعيد، "The Press in the Sudan" pp.1-5 انظر ايضا محجوب محمد صالح، الصحافة السودانية في نصف القرن (الخرطوم، جامعة الخرطوم، ١٩٧١).

١٢ـ مثلاً، اصدر محمد عباس ابو الريش مجلة ادبية، «تنهضة السودان» في عام ١٩٣٠، بعد سنوات قليلة توقفت المجلة عن الظهور بسبب وفاته. عرفات محمد عبدالله بدأ بإصدار مجلة نصف شهرية «الفجر» لنشر الادب العربي.

١٣ـ سعيد "The Press in the Sudan" pp.5-8

١٤ـ UNESCO, World Press, P.83

١٥ـ C. Wilton Wynn, "Western Techniques Influence Party Newspapers of Egypt", Journalism Quarterly 25(4) (December 1948): 391-94, see also McFadden, Daily Journalism p.6, and Kitchen, "Al Ahram - The Times of the Arab World", p.160, cites non-partisan papes in Egypt.

حسب جمال العطيفي عضو مجلس ادارة الاهرام الذي قابلناه في القاهرة في ٩ ايار ١٩٧٣، قامت الحكومة بمراقبة الصحافة خلال ١٩٤٨ ـ ١٩٤٩، انظر ايضا د. رفعت السعيد «الصحافة اليسارية في مصر» ١٩٢٥ ـ ١٩٤٨ (بيروت: دار الطليعة ١٩٧٤).

١٦ـ مروة «الصحافة»، ص٣٠٩ و٣١٩ يصف قانون ١٩٥٤ الذي اقره النظام السوري للقضاء على الصحافة التي تعاونت مع الشيشكلي.

١٧- Gordon Torrey, Syrian Politics and the Military (Columbus: Ohio State University Press, 1964), pp. 41-43.

١٨- Area Handbook for Iraq, P.224;

كانت الصحيفة الاشتراكية المعتدلة «الاهلي» والصحيفة المؤيدة للحكومة «الاخبار» الاكثر تداولا في ذلك الوقت.

١٩- William Quandt, Revolution and Political Leadership: Algeria 1954 - 1968 (Cambridge: MIT Press, 1969), pp.193-95, 200.

٢٠- لوصف الوضع السياسي انظر ماجد خضوري، "Modern Libya: A study in Political Development (Baltimore: Johns Hopkins University Press, 1965), pp. 318-19.

٢١- American University Handbook on Libya (Washington, D.C.: USGPO, 1969), pp. 175-77; ومروة «الصحافة» ص٢٨٣ - ٢٨٤.

٢٢- مثلا حين استلم الجنرال الزعيم السلطة في سوريا في ١٩٤٩ اوقف احدى عشرة صحيفة من بين التسع عشرة صحيفة الدمشقية بما فيها اليوميات المشهورة التي كانت تعارضه، في عام ١٩٥٢ اخذ النظام خطوات مشابهة، حسب نيويورك تايمز ٤ نيسان ١٩٤٩ و١٤ آذار ١٩٥٢ و٩ تموز ١٩٥٢. في العراق اوقفت حكومة نوري السعيد بعض الصحف الحزبية في عام ١٩٥٤، التي عارضت السياسة اليمينية ولكن بعد ان تمت الاطاحة بالملكية فيما بعد قام نظام عبدالكريم قاسم باتخاذ اجراءات لصالح الكتاب اليساريين حسب Area Handbook for Iraq, pp.223-24

٢٣- مثلا، استخدمت الحكومة في مصر السلطة التي منحها اياها الدستور لمنع هجوم على الملكية وذلك بتفسير هذا المنع بشكل واسع يتيح لها اعتقال محرر ما لانتقاده مسؤولا مصريا، او ايقاف محرر لشكواه من الفجوة بين الاغنياء والفقراء، ولكن هذا المنع في المعتاد كان يفسر اضيق من هذا.

Area Handbook for th United Arab Republic p.225.

٢٤- مقابلة مع مصطفى بهجت بدوي رئيس تحرير «الجمهورية ٨ ايار ١٩٧٣، بدوي الذي الذي كان يعمل في العلاقات العامة للجيش في ١٩٥٢ كان احد مؤسسي دار التحرير للنشر.

٢٥- Ainsline, "The Press in Africa" and Almany, "Government Control of the Press", pp.342-43.

٢٦- Badaur interview, May 8, 1973, McFadden, Daily Journalism, p.88, and Smith, "The Egyptian Press and its Current Problems" p.335, give estimates of 110,000 and 150,000 respectively.

٢٧- مقابلة رقم ١٠٦، صحفي مصري، نيسان ١٩٧٣.

٢٨- Don Peretz, "Democrarcy and the Revolution in Egypt", Middle East Journal (winter 1959): 37.

٢٩ـ المرجع السابق، وصلت قيمة الرشاوي لغاية ٤٨٠٠٠ جنيه.

Almany, "Government Control of the Press", p.34.

٣٠ـ إحسان عسكر «تطور الصحافة السورية» (القاهرة: دار النهضة العربية ١٩٧٣) ص٣٢٥، كان الدمج ضربة مزدوجة للصحافة السورية التي عانت ايضا من المنافسة مع الصحف المصرية التي اغرقت اماكن بيع الصحف السورية. فقد كانت هذه الصحف اقوى كما كانت تلاقي معاملة افضل من المسؤولين المصريين.

٣١ـ Area Handbook for Iraq, p. 225.

٣٢ـ Quandt, "Revolution and Political Leadership", pp. 193-95, 200.

٣٣ـ بدأت جبهة التحرير الوطنية بإصدار صحيفة يومية بعنوان «الشعب» في الجزائر ثم قامت بإعادة تسميتها "Le Peuple" في كانون اول ١٩٦٢، وحين بدأت نسختها العربية اسمتها باسمها الاصلي الشعب. Ares Handbook for Iraq, p.327

٣٤ـ تمت مناقشة هذه الطبعة في الصحف باختصار في ذلك الوقت، انظر «اليوم» ٥ شباط ١٩٧٠ و«الثورة» ٧ شباط ١٩٧٠، كلاهما صادرتان في طرابلس.

٣٥ـ قانون مجلس قيادة الثورة للصحافة المعلن في ١٨ حزيران ١٩٧٢ (نشرة وكالة الانباء الليبية الساعة ١٢٠٤٥ ظهرا).

٣٦ـ American University, Area Handbook for the Sudan (Washington D.C. USGPO, 1960), p. 200 ومروة «الصحافة»، ص٢٧٦.

٣٧ـ The Political Climate in such a situation has been analyzed for Algeria by Clement H. Moore, "Politics in North Africa" (Boston: Little, Brown, 1970), pp.118, 128, 130: and for Syria by p.J. Vatikiotis in Paul Hammond, ed., Political Dynamics in the Middle East (New York): American Elsevier, 1972), p227 ff, also confirmed for the Sudan by interview no.31, Khartoum, May 14, 1973.

٣٨ـ الرئيس جعفر النميري، مقابلة مع «القوات المسلحة» في ٢٩ آب ١٩٧٠، أذيعت من راديو ام درمان في اليوم نفسه الساعة السادسة مساء.

٣٩ـ في السودان، كانت معنية بشكل خاص بالافكار الشيوعية الظاهرة في بعض الصحف، مقابلة رقم ٣١، الخرطوم ١٤ أيار ١٩٧٣.

٤٠ـ "La Depeche" had a circulation of 80-90,000 while "Le Peuple" was in the 10-15,000 range, Area Handbook for Algeria, p.328 - while "Al Ahram" and "Al Akhbar" quite quickly passed the 100,000 mark, "Al Gumhuriyah" always remained well below it.

٤١ـ مقابلة مع جمال العطيفي، محرر الاهرام وعضو مجلس الشعب، القاهرة ٩ أيار ١٩٧٣.

٤٢ـ جمال العطيفي «حرية الصحافة» (القاهرة: مطابع الاهرام التجاري ١٩٧١) ص٤٠.

٤٣ـ مقدمة القانون رقم ١٥٥، راديو بغداد، ٣ كانون اول ١٩٦٧ ١٥,٠٠ توقيت غرينتش.

٤٤ـ خطاب النميري، اذاعة ام درمان في ٢٦ آب ١٩٧٠، ١٠,٥٠ توقيت غرينتش، وتصريح النميري المنشور والمذاع من محطة ام درمان في ٢٩ آب الساعة ١٦٠٠ بتوقيت غرينتش.

٤٥ـ راديو الجزائر، ١٨ ايلول ١٩٧٣، الساعة ١٣,٠٣ بتوقيت غرينتش.

٤٦ـ مقابلة رقم ٣١، الخرطوم ١٤ ايار ١٩٧٣.

٤٧ـ مقابلة رقم ١٨، القاهرة ٩ أيار ١٩٧٣.

٤٨ـ العطيفي «حرية الصحافة» ص٤١، يقول ان الاتحاد الاشتراكي العربي ليس حزبا، هذا مؤكد ايضا في مقابلة رقم ١٠٦، نيسان ١٩٧٣، الصحافة الجزائرية محكومة من قبل جبهة التحرير الوطنية، انظر نيويورك تايمز ١٩ تموز ١٩٦٤.

٤٩ـ ظهرت «التآخي» قبل التأميم في ١٩٦٧ ولكنها اختفت في ذلك الوقت وعادت للظهور في شباط ١٩٦٨ حين تحركت الحكومة باتجاه مصالحة مع الاكراد في الصراع الذي كان قائما منذ ١٩٦١، ولكنها جاءت وذهبت مع تقلبات الصراع. ثم تابعت الظهور في ايار ١٩٧٠ بعد اسابيع من شمل ٥ اكراد في الحكومة العراقية في ٢٩ آذار. ولكن بعد ١٩٧٦ تم استبدالها «بالعراق»، كما كان «لطريق الشعب» ايضا تقلبات مشابهة، ولكن في عام ١٩٧٣ اصبحت صحيفة يومية، في نفس العام الذي دعى فيه البعثيون قادة الشيوعيين للانضمام الى الجبهة الوطنية والحكومة. ومنذ ذلك الوقت كان للصحيفة نجاح لا بأس به.

Roy E. Thoman, "Iraq under Baathist Rule", Current History (January 1972): 32-36; New York Times, July 13, 1973 and Christian Science Monitor, June 8, 1971.

٥٠ـ لمناقشة احزاب التضامن والتمثيل وتعريف الحزب انظر: David E. Apter, The Politics of Modernization.(Chicago: University of Chicago Press, 1965), pp.181,199.

الفصل الرابع ـ الصحافة الموالية

١ ـ مقابلة رقم ٦، صحفي تونسي ٣ أيار ١٩٧٣، رئيس تحرير «الامل» مثلا هو عضو في اللجنة المركزية للحزب الاشتراكي الديمقراطي.

٢ ـ في عام ١٩٣٠ كان بورقيبة الذي كان في السابعة والعشرين من العمر يكتب لصحيفة حزب الدستور La Voix Tunisienne وفي ١٩٢٢ انشأ صحيفته الخاصة به ولكن الفرنسيين اغلقوها في عام ١٩٢٢ مع غيرها، ثم حين انفصل «الدستور الجديد» عن «الدستور» في عام ١٩٣٤، قام الحزب الجديد باصدار صحيفته L'Action التي كان يكتب فيها بورقيبة.

٣ ـ U.S. Information Service Abu Dhabi, "Media Directory, United Arab Emirates" Oct. 15, 1974, typescript, Interview no.119, UAE Official, June 1976.

٤ ـ مقابلات رقم ٦، ٧، ٣٤، ٣٦، ٣٧، ٥٨، مع صحفيين تونسيين وسعوديين واردنيين، وتونس، جدة، الرياض وعمان، ايار ١٩٧٣. انظر ايضا: Lars Rudebeck, Party and People, a Study of Political Change in Tunisia (Stockholm: Almqvist and Wiksell, 1967), p.45 and Clement H. Moore, Politics in North Africa (Boston: Little, Brown, 1970), p.150.

٥ ـ مقابلات رقم ٣٤ و٣٧، صحفيين سعوديين، جدة والرياض ١٧ و١٨ أيار ١٩٧٣.

٦ ـ مقابلات رقم ٦٠ و٩١ صحفيين ومسؤولين أردنيين ٢٤ أيار ١٩٧٣، عمان.

٧ ـ مقابلات رقم ٦ و٧ صحفيين تونسيين ٣ و٤ أيار ١٩٧٣.

٨ ـ مقابلات ٣٦ و٣٧ صحفيين سعوديين، الرياض ١٨ ايار ١٩٧٣.

٩ ـ المرجع السابق، مقابلة رقم ٣٦.

١٠ـ تميل «الرأي» الى ان تكون اكثر تفاؤلا فيما يختص بالصراع العربي الاسرائيلي من «الدستور» التي تميل الى التركيز على مشاكل السياسة الداخلية والخارجية اكثر، ولكنها احيانا تكون مؤيدة للحكومة حتى اكثر من «الرأي» مقابلة رقم ٥٧، صحفي اردني ٢٣ ايار ١٩٧٣.

١١ـ مثلا، «الصباح» الاسبوعية المتخصصة بالانباء الفلسطينية وانباء الضفة الغربية تشير الى الجماعات الفلسطينية المنظمة في عناوينها الرئيسة ولسياسات المقاومة في افتتاحياتها، «الاردن» اقل تداولا واضعف في مجال الاخبار ولكنها صريحة في بعض القضايا، مقابلة رقم ٥٥ صحفي اردني ٢٣ ايار ١٩٧٣، عمان.

١٢ـ مقابلة رقم ٣٧، صحفي سعودي، الرياض، ١٨ ايار ١٩٧٣.

١٣ـ «المدينة» و«عكاظ» تميلان لنشر اخبار اجنبية وافتتاحيات اكثر، «البلاد» تميل لنشر القصص التي تساعد الحكومة

اكثر من غيرها، «الندوة» قوية في القصص والادب، «عكاظ» تروق للمثقفين السعوديين، «الرياض» و«الجزيرة» الصادرتان في الرياض قويتان في التقارير عن انشطة الوزارات، مقابلة رقم ٢٦ و٤٠ و٨٩، السعودية ايار ١٩٧٣.

١٤ـ مقابلة رقم ٧، صحفي تونسي، تونس ٤ ايار ١٩٧٦، الصحيفتان اليوميتان الشقيقتان «الصباح» و "Le Temps" تملكان محررين جيدين، وتكتبان بطريقة عدائية مشوقة وتميلان لنقد السياسة الامريكية الخارجية، يملكهما رجل الاعمال الثري حبيب شيخ روحه.. مقابلة رقم ٨٥، تونس، أيار ١٩٧٦.

١٥ـ مقدمة القانون ١٩٦٣ والفقرة ٨ منه، منشور في «موجز الصحافة» في المملكة العربية السعودية، لمحمد ناصر بن عباس (الرياض: مؤسسة الجزيرة ١٩٧١) ص٢٣١ـ٣٧، الفقرات ١٠ و١١ و١٣ و١٦ و١٧ و٢٤.

١٦ـ مقابلات رقم ٣٤ و٣٧ صحفيين سعوديين، جدة والرياض، ١٧ و١٨ أيار ١٩٧٣.

١٧ـ قانون الصحافة والنشر رقم ٣٣، الفقرات رقم ١٠ و٢٣ و٣٨ الذي استبدل القانون رقم ١٦ لعام ١٩٥٥ (قانون المطبوعات في ٣٠ آذار ١٩٥٥)، الفقرات ٦، ٢٠، ٢١، و٢٥، انظر ايضا اديب مروة «الصحافة العربية» (بيروت: دار الحياة، ١٩٦١) ص٣٤٧٠.

١٨ـ Tom Brady article in New York Times, March 26, 1967 «فلسطين» و«المنار» اندمجتا في «الدستور» وانتقلتا الى عمان، في حين تمكن موظفو «الدفاع» و«الجهاد» من نشر يومية جديدة هي «القدس»، مقابلة رقم ٥٦، صحفي اردني، عمان، ٢٣ ايار ١٩٧٣.

١٩ـ في مناسبة اخرى قامت الحكومة في ٣ كانون اول ١٩٧٥ باغلاق «الاخبار» بعد ان قالت في افتتاحياتهما ان العملة الاردنية حملت «نجمة داود ... علم اسرائيل»، حيث نقلت الصحف الاخرى في ذلك اليوم انكار الحكومة لهذه التهمة.

٢٠ـ مقابلة رقم ٦٠، مسؤول اردني، ٢٤ ايار ١٩٧٣ عمان.

٢١ـ قانون الصحافة، ٩ شباط ١٩٥٦ كما عدل في نيسان ١٩٧٥، الفصلين ٢ و٤ كما ذكرا في JPRS 65003 U.S. Commerce Dept., of June 13, 1975; كان التعديل يهدف الى تجديثه ليتماشى مع «التسنيس» للنظام القانوني «ولدعم الصحافة الوطنية».

٢٢ـ مثلا في عام ١٩٦٢، اغلقت الصحيفة الشيوعية الشهرية «الطليعة» كما اغلقت الصحيفة الموالية للشيوعيين "Tribune de Paris" بعد محاولة اغتيال للرئيس بورقيبة، في كانون ثاني ١٩٥٧ تم ايقاف الصحيفة الاسبوعية L'Action لمدة اسبوع لانتقادها الحكومة ومحاكمات المتعاونين مع ادارة الحماية السابقة، واغلقت في ايلول ١٩٥٧ مرة اخرى بعد ان اتهمها الحزب الاشتراكي الديمقراطي بأنها استخدمت الصحيفة المميزة التي اسسها قائد الحزب (لشن حملة نكراء لاشاعة الفوضى). L. William Zartman, Government and Politics in Northern Africa (New York); Praeger, 1963), pp.73-74. مقابلات ٦ و٧، صحفيين تونسيين ٣ و٤ أيار ١٩٧٣.

٢٣ـ قانون كانون ثاني ١٩٧٤، فقرة ٥ و٨، مقالة في «الاتحاد» (ابو ظبي)، كانون ثاني ٢٨، ١٩٧٤، ص١ـ٢.

٢٤ـ مثلا، «المدينة» (جدة)، النصف، و«الامل» (تونس) ٦٠٪، مقابلة ٣٤ و٦ في جدة وتونس، ١٧ و٣ ايار على التوالي.

٢٥ـ مقابلات ٦ و٧ و٣٤، صحفيين تونسيين وسعوديين تونس وجدة ٣ و٤ و١٧ أيار ١٩٧٣.

٢٦ـ كانت الصحافة تدار من قبل سوريين واتراك وغيرها، الاستثناء الرئيسي كانت «بريد الحجاز» في جدة، د. محمد الشيخ «الصحافة في الحجاز ١٩٠٨ ـ ١٩٤١ (بيروت دار الامانة، ١٩٧١) ص٦٠ـ١٣٣.

٢٧ـ المرجع السابق ص١٣٣، ١٩٨، ٢٠١ ـ ٢٠٦، ٢٠٩، ٢١٣، ٢١٧، ٢٢٠، «صوت الحجاز» اصبحت جهاز الكتاب الحجازيين، «المدينة» في عام ١٩٣٩ اصبحت نشرة جديدة، ولكنها اوقفت في عام ١٩٤١ «ام القرى» كان فيها في البداية محررون سوريون محمد عبدالمقصود وفؤاد شاكر، عباس «موجز الصحافة» ص٦١ ـ ٦٢، ١١٩ـ٢٤.

٢٨ـ مقابلات ٣٤ و٣٥ و٣٦ و٣٧، صحفيين سعوديين جدة والرياض ١٦ و١٧ ايار ١٩٧٣. الرأي الذي استخلص من المقابلات هو ان الصحفيين السعوديين يتعاملون مع مهنتهم كأنها روتين في بيروقراطية وليس مهنة فردية ماهـرة، وهم جبناء وغير مغامرين، وتعوزهم الرغبة في انتاج شيء يفخرون به، مستوى المهنية بالطبع يختلف والتعميمات صعبة.

٢٩ـ المصريون والفلسطينيون واللبنانيون والاردنيون ايضا ممثلين حسب]دليل الاعلام، الامارات العربية المتحدة».

٣٠ـ صحيفة «فلسطين» انشئت في عام ١٩١١ من قبل عائلة مسيحية عربية «عيسى العيسى» و«الدفاع» انشئت في عام ١٩٣٣ ايضا في حيفا، كلاهما انتقلتا الى القدس الشرقية خلال الحرب العربية الاسرائيلية الاولى.

٣١ـ «الاردن» اصدرت في السبعينات من قبل الدكتور حنا ناصر، ابن مؤسسها، في ١٩٤٩ اصبحت يومية ولم تتردد في انتقاد الحكومة في سياستها، مقابلة رقم ٥٦ صحفي اردني. ٢٢ ايار ١٩٧٣، انظر Raphael Patai, The Kingdom of Jordan (Princeton: Princeton University Press 1958), pp.52-53. ، اليـوميتـان «الجهاد» و«المنار» انشئتـا في ١٩٥٩ و١٩٦٠ على التـوالي؛ الاسبـوعيات التي استمرت هي «عمان المساء» و«اخبار الاسبوع» و«الصباح» و«الحوادث».

٣٢ـ مقابلة رقم ٥٨، صحفي سعودي، الرياض، ٢٣ ايار ١٩٧٣، انظر الملاحظة رقم ٨ اعلاه.

٣٣ـ أسست «الدستور» من اتحاد «فلسطين» و«المنار» قبل الحرب، و«الدفاع» كانت الظهور الثالث لنفس الصحيفة التي ظهرت اساسا في يحيفا في عام ١٩٣٣.

٣٤ـ مقابلات رقم ٥٦ و٥٧ و٥٩، صحفيين اردنيين ٢٣ ايار و٢٤ ايار ١٩٧٣ ورقم ٦٠، مسؤول اردني.

٣٥ـ استقدمت الكويت وابو ظبي ودبي صحفيين اردنيين وفلسطينيين ومصريين باعداد كبيرة لتنشيط اعلامها، الصحفي الاردني البارز محمود الشريف كان لسنوات عديدة المدير العام لاذاعة وتلفزيون قطر، انظر الملاحظة ٢٩ اعلاه.

٣٦ـ Helen Kitchen, The Press in Africa (New York; Ruth Sloan Associates, 1956) pp. 13-15; American University, Area Handbook for the Republic of Tunisia (Washigton, D.C. USGPO, 1970), pp. 218, 221, The Meodestour Party broke off from the Destour in 1934 and later began publishing its own paper L'Action.

٣٧ـ مقابلة رقم ٥٦، صحفي اردني، ٢٣ ايار ١٩٧٣. لمزيد من التفاصيل انظر L. Carl Brown, "Historical Constants in Tunisian Political Culture", Sept. 1972, U.S. State Dept, Colloquiun on Tunisia, Unpubl. Paper; and Zartman, Government and Politics, p.35, Moore, Politics in North Africa, P.218, Rudebook, Party and people, p.44 and Patai, the Kingdom of Jordan p.50.

٣٨ـ مقابلة رقم ٦، صحفي تونسي، تونس ٣ أيار ١٩٧٣.

٣٩ـ مقابلات ٣٤ و٣٩، صحفيين سعوديين، جدة والرياض، ١٨ و١٩ ايار ١٩٧٣.

٤٠ـ مقابلات ٣٥ و٣٦ و٥٧، صحفيين اردنيين وسعوديين، جدة والرياض وعمان ١٧٠ و١٨ و٢٣ ايار ١٩٧٣.

٤١ـ Zartman, Govenment of Politics, p.12.

٤٢ـ مقابلة رقم ٥٥، صحفي اردني، عمان ٢٣ ايار ١٩٧٦.

٤٣ـ Rudebeck, Party and People, pp. 44-45, Moore, Politics in North Africa, p.150 مقابلة رقم ٣٤، صحفي سعودي، جدة ١٧ ايار ١٩٧٦.

٤٤ـ مقابلة رقم ٧، صحفي تونسي، تونس ٤ ايار ١٩٧٦.

٤٥ـ الوزير محمد عبدو يماني، مقتبس في «الجزيرة» ١٣ ايار ١٩٧٦ ص١٢.

٤٦ـ شيخ «الصحافة» ص٦٧، ٧٣، ٨١؛ «شمس الحقيقة والاصلاح الحجازي» على التوالي انشئتا في ١٩٠٩.

٤٧ـ انشئت «الفلاح» في مكة في ١٩٢٠ من قبل سوري عمر شقير، محمد نصيف انشأ «بريد الحجاز» في تشرين ثاني ١٩٢٤، لحزب الحجاز الوطني، واصطدمت مع «ام القرى» التي يدعمها السعوديون والتي انشئت عام ١٩٢٤. المرجع السابق، ص ١١٩ و١٩٤ «صوت الحجاز» اصبحت جهاز الكتاب السعوديين في ١٩٣٧، «المدينة المنورة» انشئت في ١٩٣٧ بتوجه ادبي واجتماعي وتاريخي قوي. اسلوبها كان متأثرا بأسلوب الصحف المصرية التي كانت متوافرة في الحجاز آنذاك، ١٩٢٢ ـ ١٩٤٢، المرجع السابق ص٢٢١ـ٢٣، ٢٠٩ـ١٢، ٢١٧ـ١٩.

٤٨ـ مقابلة، صحفي اردني، ٢٣ ايار ١٩٧٦.

٤٩ـ مثلا في ١٢ ايار ١٩٧٦ زار وزير الاعلام السعودي محمد عبدو يماني احدى الصحف «البلاد» ومدحها لاتزانها وموضوعيتها، وظهر هذا المديح في الصحف في اليوم التالي كمؤشر للمحررين السعوديين ان «البلاد» مثل يحتذى.

٥٠ـ وكالة الصحافة التونسية، وكالة الانباء الاردنية، وكالة الانباء السعودية ووكالة انباء القطرية انشئت في ١٩٦١، ١٩٦٥، ١٩٧١، و١٩٧٥ على التوالي، البحرين والامارات المتحدة في ١٩٧٦، انظر الفصل السابع لمزيد من التفاصيل.

الفصل الخامس ـ الصحافة التعددية

١ ـ م. مخيبر في «اشغال وايام» (بيروت: الجامعة اليسوعية) ١١ (تشرين الاول ـ كانون الاول ١٩٦٣)، في تقرير عن مسح قام به المركز الاذاعي اللبناني ويعطي الرقم ٧٧ بالمائة من البالغين. واورد نبيل دجاني ان مسحا اجري في عام ١٩٧٠ وجد الرقم ٦٨ بالمائة و٧٣ بالمائة في بيروت «الصحافة في لبنان» العدد ١٧(٣) (١٩٧١): ١٧٣ باعث الانوار، البيرق، الحياة، الجمهورية، اللواء، المحرر، الشمس، الشرق، واليوم عام ١٩٧٤ اعدادا خارج لبنان اكثر مما باعته في الداخل، راجع مناقشة الموضوع الاضافية ادناه الفصل السابع، عملت الحرب الاهلية في لبنان على تخفيض تصدير الصحف بشكل كبير.

٢ ـ مقابلة رقم ٦١، لصحفي لبناني، بيروت ٢٨ ايار سنة ١٩٧٣ ويسميها مراقبون آخرون «صحافة عاهرة».

٣ ـ النهار، ١/كانون الاول سنة ١٩٧٤ صفحة ٣ وردت عن الوزير ماجد حمادة ورئيس النقابة رياض طه. ويوافق الآخرون ان معظم الصحف تستلم دعما ماليا وان هذا الموضوع حساس للمناقشة علنا، مقابلة رقم ٦٥، لصحفي لبناني، بيروت ٢٩/ أيار ١٩٧٣.

٤ ـ هذه الارقام مع الاتجاهات الدينية والسياسية في الجداول رقم ١ ورقم ٢ اعطيت للمؤلف من قبل مراقبين مستقلين ومؤهلين عام ٧٤ وعام ٧٥، ولكن لصعوبة الحصول على الارقام الحقيقية ولأن مبالغات كثيرة تدور حولها فيجب اعتبارها تقديرات، لمعرفة تواريخ اول منشور راجع اديب مروة الصحافة العربية (بيروت، دار مكتبة الحياة ١٩٦١) صفحة ١٦٦ ـ ٩٠، ٢٥٩ـ٨٢. ينشر في بيروت صحف بالعربية والانجليزية والفرنسية والارمنية.

٥ ـ Tom J. McFadden, The Daily Press in the Arab States (Columbus: Ohio State University Press, 1953) pp.1-4.
ومروة، الصحافة؛ ودجاني «الصحافة في لبنان» صفحة ١٦٣ ـ ٦٧ يورد وضعها مختصرا وجيدا للصحف البارزة وجدولا (صفحة ١٧١) للصحف التي نشرت خلال اول ثلاثين سنة، ١٨٥٨ ـ ٨٨. غسان تويني، حرية الصحافة في مجتمع متطور (بيروت: النهار سنة ١٩٧١) صفحة ٥ـ٨.

٦ ـ دجاني «الصحافة في لبنان» صفحة ١٥٧ـ٥٨.

٧ ـ نفس المرجع اعلاه صفحة ٥٨، توني حرية الصحافة الجزء الثاني صفحة ١.

٨ ـ Malcolm H. Kerr, "Political Decision Making in a Confessional Democracy", in Leonard Binder, ed. Politics in Lebanon (New York, Wiley, 1966) pp.188-91.

٩ ـ نفس المرجع اعلاه صفحة ١٨٨ـ٩١.

١٠ ـ Ghassan Tueni, "Democracy and the challenge of Jerusalem" (London, Angli-Arab Association 1971) pp.13.
المقتبس الاول من مقابلة رقم/٦١، لصحفي لبناني، ٢٨/ أيار/٧٣.

١١- دجاني «الصحافة في لبنان» صفحة ٥٩.

١٢- New York Herald Tribune ، ١٤ حزيران و٢٤ تموز سنة ١٩٥٢ New York Times ٢٥ تموز و١٩ آب سنة ١٩٥٢، دجاني - الصحافة في لبنان - صفحة١٥٩.

١٣ - دجاني (الصحافة في لبنان) صفحة١٥٩.

١٤- Sam Pope Brewer, "Beirut Tightens News Censorship", New York Times, April 16, 1958.

في مناسبة اخرى لمنع الادخال حدث ذلك لمجلة Time وذلك لمقالها عن الطائفية الدينية اللبنانية في ٥ تشرين الثاني سنة ١٩٧٣.

١٥- قانون الصحافة في ٤/ ايلول ١٩٦٢، المادة ٦٢، دجاني «الصحافة في لبنان» صفحة ١٦٠-١٦١.

١٦- اعرب ثلاثة محررين عن هذا الرأي في مقابلات رقم ٦١، ٦٢، ٦٥، في ٢٨، ٢٩ ايار سنة ١٩٧٣. والاقتباس من بهاء ابو لبن، «عوامل في التحكم الاجتماعي للصحافة في لبنان «دورية الصحافة» ٤٣ (٣) خريف ١٩٦٦: راجع كذلك دجاني «الصحافة في لبنان» صفحة ١٦١.

١٧- مقالة L'orient- Lejour عن قانون الصحافة الجديد ٤ تموز ١٩٧٤ صفحة/ ٤ وحدثت حالة معروفة عام ١٩٧٣ وهي اعتقال الناشر المحرر لصحيفة النهار - غسان تويني - وهو شخصية بارزة ووزير سابق مع محرر الاخبار الاجنبية بسبب طباعة القرارات السرية لمؤتمر الجزائر العربي، التقرير العربي للنهار رقم ٥١، ١٧ كانون الاول ١٩٧٣، وحالات اخرى ذكرت في النداء، ٢٢ كانون الاول ١٩٧٣ صفحة/ ٤.

١٨- طلبت الحكومة اللبنانية مثلا من الصحافة في ١٦ كانون الثاني ١٩٧٢ عدم نشر تقارير عن تفجير صحيفة لسان الحال. وامثال من القصص التي خضعت للرقابة - الولايات المتحدة تستأنف المساعدات العسكرية للاردن كما نشرت في Daily Star ٢٣ تموز ١٩٦٧ وافتتاحية عن الصحفيين الغربيين الذين يعملون جواسيس لاسرائيل في المحرر ١٢ ايلول ١٩٧٢ وهاتان المقالتان خضعتا للرقابة الجزئية.

١٩- صائب سلام، اذاعة بيروت في ٢٨ حزيران سنة ١٩٧٢ وكذلك الرئيس فرنجية في اذاعة بيروت في ١٤ حزيران سنة ١٩٧٢ نداءات «المسؤولية الوطنية».

٢٠- وقع هجوم في ٣١ كانون الثانية سنة ١٩٧٦ على مكاتب المحرر وبيروت من قبل قوة كبيرة يظهر انها كانت من الفريق الفلسطيني الصاعقة الذي تسانده سورية. وتوفي رئيس تحرير المحرر شبلاق كما توفي نائب رئيس تحرير بيروت الامـير نتيجة هذا الهجوم الذي كان يشك انه مقصود من قبل سورية لتوجيه ضربة لصحيفتين كانتا تساندان العراق المنافس الرئيسي بها.

استنكر وزير الاعلام غسان تويني هذا العمل وقال انه يعارض العنف ويؤيد حربه الحديث - وصحافة شريفة - اذاعة بيروت ٢ شباط سنة ١٩٧٦، بيروت والمحرر ١/شباط و٢٠/شباط ١٩٧٦) Daily Star الصحيفة العربية الوحيدة التي اختفت كلية في شتاء ١٩٧٥ - ١٩٧٦.

٢١ـ Arab Report and Record, January 1 - 15, 1977 p.9 اعلان رئيس الوزراء في ٢ كانون الثاني سنة ١٩٧٧. بيان رئيس الوزراء في ٣ كانون الثاني سنة ١٩٧٧. بيان رئيس الوزراء اذاعة بيروت ٢ كانون الثاني ١٩٧٧ الساعة ١٢ بتوقيت جرينتش، FBTS, January 3, 1977, p.G-2.

٢٢ـ ابو لبن «عوامل في التحكم الاجتماعي» صفحة ٥١٥ـ١٨.

دجاني «الصحافة في لبنان» صفحة ١٦٢ـ٧٠.

مقابلة رقم ٦٥، لصحافي لبناني ٢٩ ايار سنة ١٩٧٣ بيروت.

٢٣ـ William A. Hatchen, Moroccan; News Media Reflect Divisive Force While Unifying, Journalism Quarterly (Spring 1971)0 103.

٢٤ـ الكويت USIS دليل وسائل الاعلام الكويتية ـ الكويت آب ١٩٧٤ ونيسان ١٩٧٧ نسخ، الكويت USIS «الصحافة الكويتية» الكويت ١٩٧١ نسخ، صفحة ١٧ـ١٨. في مقابلة مع المساعيد في الكويت في ١٩ أيار ١٩٧٣ قال «انا غربي»، والشيء الوحيد الذي اعارض فيه امريكا هو سياستها في الشرق الاوسط». كذلك في مقابلات رقم ٤٦، ٤٧، ٤٨، ٥٢، لصحفيين، ومسؤولين حكوميين السياسة مع اليسار والوطنيين العرب وكذلك مع اليمين.

٢٥ـ صحيفة النهضة محافظة ومؤيدة للمؤسسة، والهدف ليبرالية، والرائد ماركسية، والمجتمع تساند المواقع الاسلامية المتطرفة المحافظة، ويوجد من ضمن كتاب السياسة ماركسيون وذوو اتجاهات اخرى. مقابلات رقم ٤٦ و٤٨، لصحافيين كويتيين، الكويت ٢٠، ٢١ أيار ١٩٧٣.

٢٦ـ مقابلات رقم ٢ و٣ لصحافيين مغاربة، الرباط ٢ أيار ٧٣.١٩.

٢٧ـ قانون المطبوعات والنشر، رقم ٣ لعام ١٩٦١ المعدل لأول قانون لعام ١٩٥٧ ـ المواد ٢٣، ٢٥ و٣٠ يمنع ايضا نشر اسرار رسمية (مادة ٢٤) ويمنع الاضرار بالروح المعنوية العامة، او التقليل من شأن الدين (٢٦ و٣٠) أو تشويه سمعة او التشهير بالافراد (٢٦ و٢٩) كما في لبنان.

٢٨ـ مقـابلة رقم ٤٥ المسؤول حكومي كويتي ٢٠ أيار ١٩٧٣ قانون رقم ٩ لعام ١٩٧٢ معدل للمادة ٣٥ لقانون المطبوعات والنشر، مجلة الكويت اليوم ١٨:٨٦٩.

٢٩ـ المرسوم الاميري ٢٩ آب ١٩٧٦، قانون رقم ٥٩ أيار رقم ١ معدل للمادة ٣٥ لقانون الصحافة الحالي.

٣٠ـ خطاب رئيس الوزراء جابر الاحمد الصباح للامة في الاذاعة والتلفزيون في ٣١ آب ١٩٧٦.

FBIS, September 1, 1976 p.C-1.

٣١ـ في السنتين التي تلت المرسوم، اوقف الوزير صحفا تسع عشرة مرة، منها فقط ست لمدة ثلاث شهور كاملة، وتمكن المحررون مع التذمر علنا. فمثلاً احتجت الرأي العام في عددها ١٤ حزيران ١٩٧٨ في عامود على التوقيفات المستمرة. تم توقيف العديد من الصحف سابقا: السياسة عام ٧٣ وبداية عام ١٩٧٦ الوطن ١٩٦٤ ـ ١٩٦٥، الهدف ١٩٦٥ و١٩٦٧ الرسالة ١٩٦٥، ١٩٦٧، و١٩٧٠ الرائد ١٩٧١ والطليعة في بداية عام ١٩٧٦ لمرات عديدة.

٣٢ـ شعار «وسائل الاعلام في المغرب» يورد ذلك في حاشيته رقم ١٢.

٣٣ـ مقابلة الحسن في La Nation Africaine ٦ حزيران ١٩٦٢ الواردة في المرجع اعلاه صفحة ١١ـ١٢.

٣٤ـ New York Times ٥ تشرين الأول ١٩٥٩، ٦ و١٦ كانون الاول ١٩٥٩ و٨ ايلول ١٩٦٠، مقابلة رقم ٣ الرباط لصحافي مغربي ٢ ايار ١٩٧٣. اجراءات الحكومة ضد الصحف كانت عديدة واكثر من ان تحصى؛ وهذه امثلة: في نيسان ١٩٧٤ صودرت ٤ اعداد من الكواليس وخسرت «الاتحاد الوطني» (صحيفة حزب اتحاد القوى الوطنية) عددا واحدا واختفت المحرر في آذار ١٩٧٢ لغاية تشرين الثاني ١٩٧٤. كانت بداية ١٩٧٤ فترة مصادرات متقطعة وبحلول آذار صودرت Maghreb Information ثلاث عشرة مرة L'Opinion عشرة وشقيقها كذلك، في نيسان ١٩٧٥ صودرت المحرر مرتين والعلم مرة واحدة وبعد ذلك بشهرين صودرت اعداد من العلم والمحرر والبيان الا انها استمرت بالنشر.

٣٥ـ الجامعة الامريكية، Flrea Handbook fpr Marocco (Washigton D.C. USGPO, 1972) صفحة ١٢١ـ١٤٨.

٣٦ـ Hatchen, "Morroccan News Media"

Le Monde Diplomatique, Paris, January 1972 P.10, Rosalynde Ainslie, The Press in Africa, صفحة ١٠٢، Communications Past and present (New York, Walker 1067) p.149.

٣٧ـ Le Monde Diplomatique, Paris, January 1972.

٣٨ـ تم الاستيلاء ايضا على يومية اسبانية وحلت محلها يومية مغربية بالاسبانية Atualidad العلم، ٨ تشرين الاول، ٢ تشرين الثاني ١٩٧١.

٣٩ـ يمتلك عبدالعزيز المساعيد صحيفة الرأي العام، احمد جارالله هو رئيس تحرير السياسة، ورئيس تحرير الطليعة هو عضو برلمان سابق وله علاقات مع اليسار ومع الوطنيين العرب، يعتبر جارالله غير ملتزم وجريء وممتهن، مقابلات رقم ٤٦، ٤٨، و٥٢ الكويت.

٤٠ـ مقابلات رقم ٢ و٤ الرباط لصحفيين مغاربة، ٢ ايار ١٩٧٣.

٤١ـ مقابلة رقم ٢ الرباط لصحفي مغربي، تم مؤخرا حظر حزب الاتحاد الوطني الديمقراطي كما ان الحزب الشيوعي هو الآن غير شرعي بالرغم من ان رئيسه يتزعم حزب التقدم والاشتراكية ويدير بالفعل تحرير صحيفة البيان.

٤٢ـ مقابلات رقم ٤٦، ٤٧، و٥٠ الكويت لصحفيين، ومسؤولين كويتيين في ٢٠، ٢١ ايار ١٩٧٣. ظهر زوال البنية القبلية في السبعينات بالرغم من احتفاظ القبائل بنصف المقاعد خسر اليسار والوطنيون العرب تأثيرهم في انتخابات كانون الثاني ١٩٧٥ بسبب يظهر ان لغتهم المنمقة لم تعد مؤثرة، الزعيم القومي العربي احمد الخطيب مقرب من الطليعة، تتحدث القبس باسم غرفة التجارة يعتقد ان جارالله مقرب من نائب رئيس الوزراء وزير الاعلام جابر العلي.

٤٣ـ خطاب الامير الصباح للشعب الكويتي ورسالة رئيس الوزراء الشيخ جابر للامير كلاهما ٢٩ آب ١٩٧٦، السياسة ٣٠ آب ١٩٧٦.

٤٤ـ I. William Zartman, Government and Politics in Northern Africa (New York Praeger 1963) P.35.

٤٥ـ يمكن وجود التاريخ السابق للصحافة المغربية في مروة، الصحافة صفحة ٢٢٤ و٢٩٧ ـ ٤٠٢ وفي Helen Kitchen, The Press in Africa (New York: Ruth Sloan Associates, 1956) Area Handbook for Morocco صفحة ٨ـ٩ و١١ وفي صفحة ١٤٥ـ١٤٦ وزين العابدين ك. في الصحافة المغربية، الجزء الاول ١٨٢٠ ـ ١٩١٢ (الرباط، نشرة وزارة الانباء).

٤٦ـ شعار «وسائل الاعلام في المغرب» صفحة ٧، راجع ايضا جدول الاتجاهات السياسية للصحف البارزة.

٤٧ـ كانت صحيفة الكفاح الوطني شيوعية، والحركة كانت الحركة الشعبية Magreb رقم ١٧ ايلول ـ تشرين الاول ١٩٦٦ صفحة ٣٠ ـ ٣١، وشعار «وسائل الاعلام في المغرب» صفحة ٨ـ١١.

٤٨ـ Clement H. Moore, Politics in North Africa (Boston, Little, Brown, 1970), p.218 see also pp.107-109 and 207 and Zartman, Government and Politics in North Africa p12.

٤٩ـ Hatchen "Moroccan News Media" p101.

٥٠ـ مقابلات رقم ٢ و٤ لصحفيين مغاربة، الرباط ٢ ايار ١٩٧٣، مقابلات رقم ٤٧ و٤٨ و٤٩ ذكرت نفس الشيء ابرزهم الفلسطينيون الا انه يوجد سوريون ومصريون ولبنانيون وعدميون، ويوجد في السياسة واحد على الاقل من كل منهم.

راجع «الصحافة الكويتية» للتفاصيل.

مراجع الفصل السادس ـ الاذاعة العربية والتلفزيون

١ ـ تعتبر اذاعة المملكة الاردنية الهاشمية من المحطات القليلة التي قامت بمسح للمستمعين عن طريق التعاقد مثلا مع اتحاد الاعمال الاستشاري المحدود بيروت، اصدرت وزارة الاعلام الاردنية عمان تقارير بحث بتاريخ تموز ١٩٦٥، شباط ١٩٧٢ وكانون ثاني ١٩٧٠. الا ان الاذاعة الاردنية في اواسط السبعينات لم يكن لديها اية معلومات لمعرفة المستمعين اكثر من رسائل المستمعين تماما مثل الاذاعات العربية الاخرى. مقابلات رقم ٥٢ و٥٤ عمان ٢٣ ايار ١٩٧٣، مع مسؤولي اذاعة اردنيين، وكذلك مقابلات رقم ٨ في تونس ٤ ايار ١٩٧٣ ومقابلات ٤٦ و٥٠ الكويت ٢٠ و٢١ ايار ١٩٧٣ مع مسؤولين اذاعيين.

Douglas A. Boyd "Development of Egypt's Radio"; 'Voice of the Arabs' Under Nasser Journalism Quarterly 52 (4) (Winter 1975), 651.

مقابلة رقم ١٢٠ تموز ١٩٧٦ مع مذيع مصري، وسعد «تقرير حول تلفزيون السودان» الخرطوم ١١ ايار ١٩٧٢ صفحة ٤، ورقة غير منشورة، تقول ان السودانيين حاولوا لأول مرة عمل مسح للمستمعين عام ١٩٧١ ولكنهم فشلوا. وكانت احدى المحاولات القليلة لقياس مدى رد فعل المستمع بين العرب لايليا حريك «زعماء الفكر ووسائل الاعلام في الريف المصري».

American Political Science Review 65(3): 731.

٢ ـ تفرض كل من الاردن والسودان مثلا رسوم اجهزة استقبال اضافة الى سماحها القيام بدعاية محدودة. وتم عمل جدول للواردات من مبيعات البرمجة التلفزيونية المصرية من قبل Cristopher Jamieson في "Television and Radio in the Arab Republic of Egypt" وهي ورقة لم تنشر، القاهرة، الجامعة الامريكية في القاهرة ١٩٧٢، ملحق ١٠.

٣ ـ كانت دبي تمتلك تلفزيون تحت الادارة الحكومية عام ١٩٦٨، وسمح لمدير المحطة الفلسطيني بعد سنوات قليلة بفتح محطة تجارية منفصلة بالالوان وباشراف حكومي مخفف، كانت هذه المحطة تبث من الساعة ٦ لغاية ١١ مساء» كل ليلة وذلك مع منتصف السبعينات. وانضم الى محطة اذاعة دبي الحكومية محطة تجارية منفصلة.

٤ ـ Jamiesob, "Television and Radio in Egypt" pp.4-5. Douglas A. Boyd "Egyptian Radio: Tool of Political and National Development", Journalism Monographs & 8 (February 1977): 3-5.

٥ ـ Boyd, "Development of Egypt's Radio" pp645.

كانت رسوم جهاز استقبال الراديو ١١٠ قروش للجهاز الواحد بالاضافة الى ٥ قروش للصمام الواحد سنويا

Europo Publications, "The Middle East and North Africa 1971-72 (Londan: Europa 1971) p.102.

٦ ـ بين مسح اجري اجري على المصريين في المدن عام ١٩٧٥ من اعمار ١٨ سنة فما فوق ان ٨٥ بالمائة منهم يستمعون للبرنامج العام، ٧٨ بالمائة يستمعون لاذاعة الشرق الاوسط، و٦١ بالمائة يستمعون لصوت العرب مرة كل اسبوع

على الاقل

USIA, office of Research , Report no. E-13-75 p5, Washington D.C. see also Boyd, "Development of Egypt's Radio" pp645-53. on Voice of the Arabs, and Sydney W. Head, ed., Broadcasting in Africa (Philadelphia: Temple University Press, 1974), p.19.

٧ ـ Quoted in Head, Btroadcasting in Africa, p.19

ويوجد مسح جيد لمحطات الاذاعة المصرية في Boyd "Egyptian Radio" Tool of Political and National Development pp.13-23.

٨ ـ تم الحصول على معلومات عن هذه البلدان بمقابلات مختلفة ومن مصادر سفارات امريكية بما فيها USIS country data sheets (معدلة سنويا) وكذلك من Europa Publications, The Middle East, 1953, 1962 and 1971 ، راجع الفصل السابع لبحث الاذاعة الخارجية.

٩ ـ تأسست الاذاعة الليبية عام ١٩٥٧ من قبل الملكية وكان لها ستوديوهات في طرابلس وبنغازي، وفتحت محطة اذاعة عدن في آب ١٩٥٤ باذاعة تديرها الحكومة بمساعدة البريطانيين وباللغة العربية كما فتح البريطانيون في نفس العام محطة باللغة الانكليزية، وتم تدمير هاتين المحطتين اثناء القتال واخذ البريطانيون معهم كل قطعة جهاز متحركة عندما غادروا عام ١٩٦٧. سميت الاذاعة الجديدة «محطة اذاعة جمهورية اليمن الجنوبي الشعبية»، مجلة اتحاد اذاعات الدول العربية (كانون ثاني ١٩٧٢) ٧٠ـ٧١، New York Times ١٠ تشرين ثاني ١٩٧٠ صفحة٨.

١٠ـ تم تأسيس محطات تلفزيون ذات مدى محدود في الظهران، العربية السعودية في ايلول ١٩٥٧ من قبل ارامكو وفي ويلوس عام ١٩٥٤ من قبل سلاح الجو الامريكي وفي الجزائر من قبل الحكومة الفرنسية الا ان هذه الانظمة لم تكن اهلية. فكانت تذيع بشكل رئيسي بلغة الدولة الاجنبية التي تسيطر عليها كما كانت مغلقة في وجه البرامج غير العربية او في حالة ارامكو التي كانت ملزمة بالبرامج غير العربية عندما قامت الانظمة الوطنية، وكانت هاتان المحطتان الامريكيتان تبث على المقياس الامريكي ٥٢٥ ـ خط الا ان كثيرا من العرب كانوا يشاهدون برامجها بالرغم من ان التلفزيون العربي الحالي هو ٦٢٥ خط.

ومن اجل تفاصيل عن التلفزيون السعودي، راجع Douglas A. Boyd, "An Historical and Descriptive Analysis of the Evolution and Development of Saudi Arabian Television: 1963-1972", وهو بحث لشهادة الدكتوراة غير منشور، جامعة مينسوتا ١٩٧٢ صفحة٨٠ـ٨٢.

١١ـ Head, Broadcasting in Africa p.24 نما عدد اجهزة التلفزيون المصرية الى ٢٠٠ الف حتى عام ١٩٦١ ووصل الى مليون جهاز في نهاية السبعينات.

١٢ـ مقابلات رقم ٢٧ و٢٨، الخرطوم ١٣ ايار ١٩٧٣ مع مسؤولين اذاعيون.

١٣- تقرير عن تلفزيون السودان صفحة٣.

١٤- مقتبس عن Broadcasting in Africa صفحة ٢٩، راجع كذلك «قانون اقامة سلطة عامة لاذاعة الثورة الشعبية» الذي اعلنه مجلس قيادة الثورة، صحيفة الفجر الجديد (طرابلس) ١٩ تشرين ثاني ١٩٧٣ صفحة٤.

١٥- لاحظ المؤلف امثالا كثيرة من هذه البرامج في معظم هذه الدول، مثال على ذلك، بث التلفزيون السوداني في ١٠ ايار ١٩٧٣؛ لم تجر اي تحليل تصنيفي لمضمون امثال هذا البث.

١٦- شاهد المؤلف هذه البرامج على التلفزيون المصري، للتفاصيل راجع صحف القاهرة ايلول ٤_١١ ومن ٢٦_٢٩ وكذلك ١١ تشرين اول ومعالم في الاخبار ايلول ٢٥_٢٩.

١٧- Boyd, "Development of Egypt's Radio" صفحة ٦٤٥ ـ ٥٣ للتفاصيل عن بعض الحملات الاجنبية، محمد عبدالقادر حاتم Information and the Arab Cause (London: Longmans 1974). بحث حاتم الامور السياسية التي تكمن خلفها.

١٨- الاقتباس عن وزير الاعلام دكتور كمال ابو المجد الوارد في الاهرام ٣٠ حزيران ١٩٧٤ صفحة٤ ذكر المرسوم الجمهوري ١٣ آب ١٩٧٠ «يجب استعمال الاذاعة والتلفزيون للصالح العام فقط». واحد البرامج التي تحمل احيانا مواد انتقادية «كلمتين وبس» للكوميدي فؤاد المهندس.

١٩- صوت فلسطين، صوت الثورة الفلسطينية هو اسم تم استخدامه في جميع المحطات منذ ٥ حزيران ١٩٧٢ وكان قبل ذلك صوت فتح او صوت العاصفة. وكان صوت فلسطين يبث مثلا من القاهرة يوميا من ١٦,٣٠ ـ ١٨,٣٠ بتوقيت جرينتش ومن بغداد من الساعة ١٧,٣٠ ـ ١٨,٣٠ ومن الجزائر من الساعة ١٨,٣٠ ـ ١٩,٣٠ ومن دمشق ١٥,٣٠ ـ ١٦,٣٠ ومن محطة سرية يمكن ان تكون في سوريا من الساعة ١٠_١١ ويوجد دول قليلة اخرى تبث صوت فلسطين بشكل موجز ولكنها توقفت عن ذلك. ويظهر ان الجزائر تساند كذلك صوت الكناريين الحر وصوت الصحراء الحر، كما كان في عدن صوت عمان ايضا. للتفاصيل عن صوت فلسطين راجع Donald R. Brown. "The Voices of Palestine: A Broadcasting House Divided".

Middle East Journal 29(2) (Spring 1975): 133-50.

٢٠- قامت مثلا اذاعة صوت فلسطين من القاهرة في ١٨ حزيران ١٩٧٢ بهجوم شديد على الملك حسين في وقت لم يعارض الزعماء المصريون ذلك الا ان ذلك قد توقف في العام التالي وتوقف البرنامج نفسه في ١٣ ايلول ١٩٧٥. وكانت تعليقات صوت فلسطين من الجزائر في هذه الاثناء تهاجم الرئيس السادات ١٢ ايلول ١٩٧٥ بشأن اتفاقية سيناء الثانية.

٢١- من الامثلة الحديثة الاختلاف المصري السوري لعام ١٩٧٥ ـ ١٩٧٦ بشأن معاهدة سيناء الثانية مع اسرائيل والجدل المصري الليبي عليها وعلى امور ايديولوجية اخرى ١٩٧٤ ـ ٧٦ راجع الاهرام ٢٦ تموز ١٩٧٤، الاخبار ٢٣ تموز ١٩٧٤ صحيفة بيروت ٢١ كانون اول ١٩٧٤.

٢٢ـ استخدم تلفزيون بغداد نفس الطريق كما في القاهرة باذاعة اعترافات المخربين قبل اعدامهم، الثورة (بغداد) ايار ١٩٧٤ صفحة ١، ٧. تشجب اذاعة عدن وبغداد باستمرار «السياسة الامبريالية وحملة الاباطيل الامريكية.. والمخططات الصهيونية والامبريالية والعنصرية ضد الوطن العربي» كما انها تهلل» لنضال قوى التحرير والتقدم في العالم وقضية الشعوب، اذاعة عدن ١٧,٣٠ بتوقيت جرينتش ٢٨ حزيران ١٩٧٥ واذاعة بغداد ١١,٣٠ بتوقيت جرينتش، ٢٩ كانون اول ١٩٧١.

٢٣ـ وقعت سوريا مثلا اتفاقية اذاعة وتلفزيون مع بولندا عام ١٩٧٦ للتبادل الاذاعي ووقع اليمن الجنوبي معاهدة مع بلغاريا عام ١٩٧٣، البعث (دمشق) ٢٨ كانون ثاني ١٩٧٦ صفحة ٤، محطة اذاعة عدن ١٧,٣٠ بتوقيت جرينتش ٩ كانون أول عام ١٩٧٣.

٢٤ـ شاهد المؤلف نفسه ذلك في معظم الدول، راجع كذلك Head, Broadcasting in Africa صفحة ٢٦، ٤٩، "Report on Sudan TV" صفحة ٣ ورد في Jamieson, "Television and Radio in Egypt", Appendix 9 ان مستوردات التلفزيون المصري لعام ١٩٧١ من مسلسلات الافلام الامريكية كانت ٩٧ بالمائة وافلام معالم امريكية ٤٠ بالمائة وبلغت النسبة من الدول الشيوعية ٥٢٪ فقط بالرغم من سوء العلاقات المصرية الامريكية حينئذ.

٢٥ـ محمد السكني «الثورة» طرابلس، ٦ كانون ثاني ١٩٧٠. وقامت ليبيا كما يظهر ايضا في مناسبات بالتشويش على هيئة الاذاعة البريطانية كما فعلت مصر كذلك راجع بيان وزير الاعلام حاتم عن قرار مصر وقف التشويش على هيئة الاذاعة البريطانية، القاهرة وكالة انباء الشرق الاوسط ١٢,٣٥ بتوقيت جرينتش ١٨ كانون ثاني ١٩٧٢، قدم المصريون كذلك احتجاجا دبلوماسيا للمملكة المتحدة بشأن مضمون هيئة الاذاعة البريطانية راجع الاهرام ١٢ تشرين ثاني ١٩٧٢.

٢٦ـ Boyd, "Analysis of Saudi TV" p.57

مقابلة رقم ٤١ الرياض، ١٨ ايار ١٩٧٣، لمذيع سعودي. كانت الاذاعة السعودية عام ١٩٦٢ مثل «محطة اذاعة مكة» تبث ٧,٥ ساعة يوميا بالعربية وساعة واحدة بالاردية وساعة واحدة بالاندونيسية ولكنها اضافت منذ ذلك الوقت السواحيلية ولغات اخرى.

٢٧ـ كانت جميع هذه المحطات الاذاعية فيها اغلبية من العاملين غير المحليين الذين كانوا يقررون المضمون وقد اعتبروا ناجحين ما لم يخالفوا المحظورات. اصبحت محطة اذاعة ابو ظبي صوت الامارات العربية المتحدة وبقيت في الواقع تحت ادارة ابو ظبي، وكانت تبث لمدة ١٢ ساعة يوميا، كما كانت اذاعة دبي تبث ١٧ ساعة، وقطر ١٢ ساعة وعمان ٦ ساعات في عام ١٩٧٢. وبعد ذلك انشأت راس الخيمة محطتها الاذاعية.

٢٨ـ كانت هناك حينئذ ٣ محطات عاملة ـ محطة اذاعة طنجة الدولية، محطة اذاعة افريقيا من المغرب (في طنجة) محطة اذاعة درسه (تطوان). ويوجد لمحطة اذاعة وتلفزيون المغرب الآن ستوديوهات في خمس مدن كبرى تبث برامج بالعربية والفرنسية والبربرية.

٢٩- وكالة الولايات المتحدة للاعلام مكتب الابحاث Report No. E-7-74 صفحة ٦، كانت الاذاعة التونسية عام ١٩٧٢ تبث ١٩ ساعة يوميا بالعربية و٤ر٥ ساعة بالفرنسية وساعة واحدة بالانكليزية وساعة بالايطالية.

٣٠- Boyd, "Analysis of Saudi TV", صفحة ١٠٧ - ١٠٩، راجع ايضا Douglas A. Boyd "Saudi Arabian Television", Journal of Broadcasting 15(1) (Winter 1970 - 71): 74-78 في احتجاج على افتتاح محطة تلفزيون الرياض عام ١٩٦٥ قتل امير سعودي، خالد بن مسعد بدأ البث التلفزيوني من تلفزيون جدة والرياض في ١٧ تموز ١٩٦٥ ومن المدينة المنورة في ٣٠ كانون اول ١٩٦٧ ومن الدمام في ٥ تشرين ثاني ١٩٦٩.

٣١- Boyd, "Analysis of Saudi TV" صفحة ٥٩ - ٦٢، ١٥٠ - ٥٣.

٣٢- عملت الشركة الامريكية للتلفزيون RTV على تشغيل محطة تلفزيون البحرين عام ١٩٧١ بعقد كان يعطيها ٨٠ بالمائة من الاسهم، الا ان البنك البحريني سحب اعتمادها عام ١٩٧٥ وتولت الحكومة امر المحطة. مقابلة رقم ١١٧ البحرين ايار ١٩٧٦، لمسؤول حكومي. افتتح السلطان قابوس «مدينة الاعلام» العمانية والتلفزيون الملون في العيد الوطني ١٧ تشرين ثاني ١٩٧٤ ويقوم بانفاق حسبما يذكر ١٠ ملايين دولار سنويا على التلفزيون، مقابلة رقم ١١٦ مسقط ايار ١٩٧٦، لمسؤول اذاعي.

٣٣- صحيفة الثورة (صنعاء)، ٩ كانون اول ١٩٧٥ في اقتباس عن مسؤول يمني بأن الشيخ زايد وعد بتحمل جميع التكاليف لشبكة وطنية.

٣٤- وصل التلفزيون الى المغرب عام ١٩٥٤ تحت اشراف الشركة الخاصة وهي الشركة المغربية للتلفزيون، وقد فشلت ماليا عام ١٩٥٦ بالرغم من مساعدتها بالحماية، اشترت الحكومة تسهيلات عام ١٩٦٠، كان هنالك عام ١٩٦١ عدد من اجهزة الاستقبال التلفزيوني يبلغ ٩٥ الف جهازا في المغرب و٣٠ آلاف في تونس.

٣٥- مقابلة رقم ٨١ الرباط ٢٩ نيسان ١٩٧٣، لمراقب مغربي، مقابلة رقم ٥٠ الكويت، رقم ٥٣ عمّان ورقم ٨ تونس ٢١د ٢٣، ٢٤، أيار ١٩٧٣ لمسؤولين اذاعيين.

راجع كذلك Boyd

"Analysis of Saudu TV"

صفحة ٢٤٢ بشأن المواضيع الخاضعة للرقابة.

٣٦- مقابلة رقم ٨٤ تونس ٣ أيار ١٩٧٣، لمراقب، لاحظ المؤلف كذلك عينات ممثلة للبرمجة.

٣٧- مقابلة رقم ٤١ الرياض، لمذيع سعودي، ١٨ أيار ١٩٧٣.

٣٨- مقابلات رقم ٣٩، ٤٦ و٤٩ الرياض والكويت. لمراقب سعودي داخلي ومسؤولين اعلاميين كويتيين، ١٨، ٢٠، ٢١ أيار وملاحظات المؤلف الشخصية.

٣٩- اقتباس من مسؤول بمحطة اذاعة قطر معضادي في مجلة الاحد (الدوحة) ٢٣ تموز ١٩٧٤ صفحة ٧، راجع Boyd عن التلفزيون السعودي "Analysis of Saudi TV" صفحة ٧٢ - ٧٣، ٨٣ - ٨٥، ١٢١ - ٢٣، ١٥٠، ٢٣٣.

٤٠ـ Boyd, "Analysis of Saudi TV", صفحة ٢٣٤، ٢٤٢، ٢٣٨ ـ ٤٠، ٢٦٢ ـ ٦٣، ٢٩٥، مقابلات رقم ٣٦ و٤١، الرياض، مع صحفيين سعوديين، ١٨ ايار ١٩٧٣ وملاحظات المؤلف الشخصية. سمح التلفزيون السعودي لعدد قليل من النساء السعوديات للظهور لمدة قصيرة في تمثيليات عام ١٩٦٨ وفي عرض للاطفال عام ١٩٦٩ الا ان الشكايات من عناصر محافظة انهت هذه التجربة. البرنامج الاسبوعي لدول قطر، الدوحة.

٤١ـ نبيل دجاني مجلة «الصحافة في لبنان» ١٧ (٣) ١٩٧١: ١٧٢.

٤٢ـ وكالة الولايات المتحدة للمعلومات، مكتب الابحاث، Report No. E-9-75 صفحة ٩ واشنطن D.C. ، اظهر مسح اجري عام ١٩٧٢ على البالغين في المدن فقط ان ٨٤ بالمائة فهم يستمعون للاذاعة مرة واحدة او اكثر، وكالة الولايات المتحدة للاعلام، مكتب الابحاث، Report No. E-14-73 صفحة ٣ واشنطن D.C. ركبت الحكومة عام ١٩٦٢ جهازي ارسال بقدرة ١٠٠ كيلواط لتغطية البلاد وزادت اعداد اجهزة الاستقبال من عام ١٩٦٢ لغاية ١٩٦٧ من ١٢٠ الفا لتصبح ٤٥٠ الفا.

٤٣ـ مقابلات رقم ٦٥، ٦٦ بيروت ٢٩ ايار ١٩٧٣ مع صحفيين لبنانيين وملاحظات المؤلف. معلومات ايضا من مراقبين في السفارة الامريكية.

٤٤ـ مقابلات رقم ٦٥، ٦٦، ٦٧ بيروت ٢٩ ايار ١٩٧٣ مع صحفيين لبنانيين.

٤٥ـ تم انشاء شركة Advision عام ١٩٦٣ من اجل دعايات الشركة اللبنانية للتلفزيون؛ وكانت ممتلكة في البداية من قبل رجال اعمال لبنانيين والشركة اللبنانية للتلفزيون، وانتقلت ملكيتها عام ١٩٦٧ للفرنسيين (حكومية وخاصة)، اما ستوديوهات ومرسلات تلفزيون لبنان والشرق الادنى فهي ممتلكة من قبل شراكة لبنانية بريطانية Thompson ورزق.

٤٦ـ See FBIS broadcasting reports for this period: FBIS, September 30, 1975 V-G-2. عن صوت لبنان العربي ٢٩ ايلول الساعة ٥ بتوقيت جرينتش وكذلك FBIS, March 5, 1976, V-G-1 عن صوت لبنان ٤ آذار ١٩٧٦ الساعة ١٢ بتوقيت جرينتش.

٤٧ـ كانت المراسلات المؤيدة لفرنجية في عمشيت شمال بيبلوس (بقدرة ١٠٠ كيلواط) تتنافس مع المرسل المؤيد للانقلاب في وسط بيروت (١٠ كيلواط) وخاصة على الذبذبة المشتركة ٨٣٦ كيلوهيرتز، لمعرفة التفاصيل راجع FBIS V-G-1-15 (12 March 1976) and G-1-30 (March 15, 1976) المعلومات ايضا من مصادر سفارات الولايات المتحدة، كذلك الاستخلاصات في الفقرات الثلاث التالية.

٤٨ـ توجد تفاصيل البرامج والذبذبة «لصوت لبنان» في "Editorical report", FBIS Daily Report, January 11, 1977, G-4.

الفصل السابع ـ مصادر الاخبار الاجنبية

١ ـ Francis Willians, Transmitting World News (Paris: Unesco, 1953), p.39; UNESCO, News Agencies, Their Structure and Operation (Paris: UNESCO, 1953), pp15, 35-36

٢ ـ تم تمديد خطوط سلكية بحرية من انكلترا الى العالم العربي لأول مرة عام ١٨٥٦ (كريت ـ الاسكندرية) وتم توسيعها عام ١٩٦٠ (مصر ـ السودان ـ عدن ـ مسقط ـ كراتشي) وفي عام ١٨٦١ (مالطا ـ طرابلس ـ الاسكندرية)، وتم توصيل انكلترا مع اوروبا بالخطوط السلكية منذ عام ١٨٥١. UNESCO, News Agencies, p.147.

٣ ـ Rosalynde Ainsline, The Press in Africa, Communications Past and Present (New York: Walker 1967) p.201, Tom J. McFadden, "News Agencies and Propagande in Five Arab States", Journalism Quarterly 30 (Autumn 1953): 482. بسبب الارتباط مع المانيا النازية. تم انشاء وكالة الصحافة الفرنسية عام ١٩٤٥ كهيئة عامة مستقلة تعين الحكومة مديرها كما تدعم ميزانيتها اموال حكومية.

٤ ـ ان كلا من الاسوشيتدبرس ووكالة الصحافة العالمية المتحدة هي شركة خاصة كانت تقيم ارتباطات خارجية منذ عام ١٨٧٠ وعام ١٩٠٩ على التوالي. وقد اصبحتا اكثر عدوانية خارجا في الثلاثينات عندما انهارت اتفاقيات تجمع وكالات الانباء Williams, Transmitting World News p.24

٥ ـ تم الحصول على معلومات عن نشاطات الاسوشيتدبرس ووكالة الصحافة العالمية المتحدة من اعداد عديدة من "Country Data Sgeets" and "Communications Fact Books" الصادرة عن وكالة الولايات المتحدة للاعلام. وكذلك من معرفة المؤلف الشخصية.

٦ ـ McFadden, "News Agencies and Propaganda" p.45; UNESCO, News Agencies p.57. تاس هي مكتب تابع للحكومة السوفياتية تحت المسؤولية المباشرة لمجلس الوزراء كما انها تتبع التوجيه الذي يضعه الحزب الشيوعي السوفياتي.

٧ ـ Evron M. Kirpatrick, Year of Crisis (New York; Macmillan 1957) p.136.

٨ ـ وكالة الولايات المتحدة للاعلام "Communist News Agency Operations Abroad", Office of Research Report No. R-27-70, November 18, 1970 p.2. اصبح الشرق الادنى وشمال افريقيا مع نهاية الخمسينات منطقة الهدف الاساسية، بينما اصبحت اوروبا الغربية منطقة ثانوية Simon Costikyan, "Twelve Years of Communist Broadcasting 1948 - 1959", USIS, Office of Research and Analysis, Washington D.C., not distributed, p.8 مقابلة رقم ١١٢ مع صحفي عربي، واشنطن D.C. كانون ثاني ١٩٧٣.

٩ ـ L. John Martin, "Analysis of News Agency Coverage of the U.S. Supplied to the Near East and North Africa", USIA, Office of Research, document R-1-76, January 20, 1976 مقابلة رقم ٢٦، لصحفي من سونا، ١٢ ايار

١٩٧٣، الخرطوم.

١٠ـ خلفت هذه الخدمة التي كانت توفر ست نشرات اخبارية يوميا بالعربية لمدة ٤٥ دقيقة لكل منها وكالة الانباء العربية ANA التي كان مركزها في القاهرة والتي كانت قد اغلقت لتوها. تم تأسيس ANA عام ١٩٤١ من قبل Hulton Press Organisation وهي شركة بريطانية خاصة لتوزيع الاخبار في الشرق الاوسط حيث كان نصف هذه الاخبار بالعربية. وكانت ANA ناجحة جدا حتى تاريخ اغلاقها عام ١٩٦٤. وكانت ANA المصدر البارز للاخبار الاجنبية في العراق في الخمسينات وكذلك في الاردن ومصر وسوريا Mcfadden, "News Agencies and Propaganda" pp. 485-87; UNESCO, News Agencies pp.52, 137-38.

١١ـ بدأت خدمة وكالة الصحافة الفرنسية بالعربية في آذار ١٩٦٩، وقرر مسؤولو الوكالة توقيع العقد بسبب الكلفة المنخفضة والنوعية العالية من الترجمة، مقابلة رقم ٦٨، مع مسؤولين في وكالة الصحافة الفرنسية باريس ١ حزيران ١٩٧٣، ويوجد وصف لعقود الوكالة الفرنسية ورويتر في «الفن الاذاعي» رقم ٦٢ (كانون ثاني ١٩٧٤) اتحاد الاذاعة والتلفزيون (القاهرة) صفحة٧٩.

١٢ـ مجلة اتحاد اذاعات الدول العربية (كانون ثاني ١٩٧٢): ١٨ـ٢٠. انظر اسفل لبحث الجهود العربية للمشاركة في المواد التلفزيونية.

١٣ـ كان مسؤولو الوكالة الالمانية الغربية يفكرون بأسباب سياسية عندما وقعوا الاتفاقية مع فينا عام ١٩٦٨ حيث انه لم يكن لالمانيا الغربية في ذلك الوقت اية علاقات دبلوماسية مع العديد من الدول العربية ذات الاهمية وسعت بون لتحسين العلاقات. مقابلة رقم ٢٣ مع صحافي وكالة انباء القاهرة ١٠ ايار ١٩٧٣.

١٤ـ يصعب تقريبا تحديد نماذج استعمال الخدمة السلكية بأي نوع من الدقة. وتذكر الصحف العربية احيانا فقط «وكالات» او ان تقوم بحذف المصدر كليا، وفي البلاد التي يقتصر الاشتراك فيها بالخدمة السلكية الاجنبية على وكالة الانباء الوطنية يرد اسم الوكالة الوطنية كمصدر حتى ولو ان اصل القصة كان خارجيا.
ابراهيم ابو لغد «الاخبار الدولية في الصحافة العربية» تحليل مقارن للمحتوى Public Opinion Quarterly 26 (Winter 1962) : 603-12.

١٥ـ اجريت هذه المقارنة في يوليو ١٩٧٥ في دراسة بموجب عقد مع وكالة الامم المتحدة للاعلام.
Martin "Analysis of News Agency Coverage of the U.S." pp.14, 16, 39-43.

١٦ـ مقابلة رقم ٩ مقابلة مع مسؤول في وكالة الصحافة التونسية تونس ٥/٤/١٩٧٣.

١٧ـ «الصحافة المغربية MAP ، سنتان من النشاط» الرباط، غير موزع، ١٩٦٢ صفحة ١.

١٨ـ اتحاد اذاعات الدول العربية مجلة الاتحاد (كانون ثاني عام ١٩٧٢): ١٨ـ٢٠ والملحق.

١٩ـ بدأت مينا العمل في ٢٨ شباط ١٩٥٦ قبل بداية ازمة السويس الا ان الشعور حينئذ كان قويا جدا. واستولت الحكومة على مينا في غمرة الاحداث التي ادت الى امتلاك الاتحاد الاشتراكي العربي للصحافة «دليل وكالات

انباء الشرق الاوسط» (القاهرة: مينا ١٩٧٧) صفحة ٣ـ٤. وتم بذل جهد خاص على مستوى اقل من قبل بعض الصحفيين في القاهرة وجرى احلال هذه محلها على مستوى اكبر، مقابلة رقم ٢١، مع صحفي مصري القاهرة ١٠ ايار ١٩٧٣.

٢٠ـ McFadden "News Agencies and Propaganda" pp.489-90

٢١ـ تقتبس عن الرئيس بن بيلا في خطاب له عام ١٩٦٣ في Area Handbook for Algeria American Ubiversity Washington DC: USGPO, 1965) صفحة ٣٤.

٢٢ـ بيان وفا المذاع على صوت فلسطين من بغداد ٢٧ ايار ١٩٧٤ الساعة ١٧ بتوقيت جرينتش.

٢٤ـ كان هنالك اعتقاد عام ١٩٦٢ ان وكالة انباء الشرق واخبار لبنان هما مؤيدتان لمصر، بينما كان ينظر الى المشرق وكالة النشر اللبنانية ووكالة الانباء المحلية على انها محافظة ومؤيدة للغرب. وهنالك اثنتان اخريان كانت لديهما اتجاهات متغيرة.

٢٥ـ وقعت هذه الاتفاقيات مع محطة فيزبادن الالمانية الغربية ومع Visnews الانكليزية ووكالة الانباء الدولية المتحدة. مينا «دليل الوكالات» صفحة ٧ ـ ١١. الفن الاذاعي رقم ٦٢، اتحاد الاذاعة والتلفزيون القاهرة صفحة ٦٩ـ٨٩.

٢٦ـ يذكر McFadden هذه الجهود الاولى في "News Agencies and Propaganda" صفحة ٤٨٩ـ٩٠.

٢٧ـ الامانة العامة لاتحاد اذاعات الدول العربية «ميثاق اتحاد اذاعات الدول العربية».

٢٨ـ مجلة اتحاد اذاعات الدول العربية (كانون ثاني ١٩٧٣) صفحة ٤٤ والملحق صفحة٣.

٢٩ـ تخص هذه الارقام ٥ بالمائة و١٥ بالمائة شهر نيسان ١٩٧٦ ومن المحتمل ان تكون نموذجية لتلفزيون القاهرة في منتصف السبعينات. اما الارقام المشابهة لشهر كانون الثاني وشباط ١٩٧٦ فكانت ١٤٢ مادة و١٤٩ مادة تم ارسالها الى القاهرة من قبل Eurovision واستخدم منها ٨ و١١ مادة على التوالي. نسبة الثمانين بالمائة الباقية هي انتاج اخبار محلية. من المحتمل ان تكون معظم المحطات العربية الاخرية باستثناء محطات شمال افريقيا دون نسبة ٥ بالمائة. وليم امين "The Role and Means of the Arab States Broadcasting Union in Retribalizing the Arab Audiencc" ورقة غير منشورة، الجامعةلا الامريكية بالقاهرة ربيع ١٩٧٦ صفحة ٢٤، ٤٠.

٣٠ـ نشر الانتقاد من قبل اتحاد اذاعات الدول العربية، مجلة اتحاد اذاعات الدول العربية (كانون ثاني ١٩٧٢)؛ ٤٤ وملحق رقم ٣، لم يتم نشر سوى جزء من قصة ايجاد الوكالة المغربية.
Moghreb Arabe Presse صفحة ٣، ٤، ٩ ومقابلة رقم ٥ مع مسؤول من الوكالة المغربية، الرباط، ٢ ايار ١٩٧٣ وليم امين "ASBU in Retribolizing" صفحة ٤٢، قامت ست دول عربية على الخليج بافتتاح وكالة انباء الخليج في البحرين في ١ نيسان ١٩٧٨ ولم يظهر لها سوى تأثير قليل.

٣١ـ تمت الموافقة على «مشروع الاتصالات العربية الفضائية لاتصالات الهاتف والبرق والاذاعة والتلفزيون» الذي يسميه البعض «عربسات» في قرار بتاريخ ١٠ شباط ١٩٧٤ كما وافق اجتماع وزراء مواصلات دول الجامعة

العربية في ٤ نيسان ١٩٧٦ على ميزانية للمشروع وعلى جعل المملكة العربية السعودية مقرا له. راجع نفس المرجع اعلاه ص ٣٠_٣٩. اتصل شمال افريقيا منذ عام ١٩٧٧ بالمايكرويف باوروبا بينما كان لدى بقية العالم العربي باستثناء اليمنيين محطات ارضية للاقمار الصناعية. وكان لدى الجزائر كلا الواسطتين Middle East Economic Digest 20(13) (٢٦ آذار ١٩٧٦): ١٤.

٣٢_ خطاب الدكتور جمال العطيفي في ١٠ كانون ثاني عام ١٩٧٧ الذي اوردته مينا في القاهرة في اليوم نفسه، راجع نسخ "The Third World and the Fourth Estate" Senior Seminar in Foreign Policy (Washington, D.C. US Department of State, April 1977) لمعرفة وصف وتحليل هذا التجمع.

٣٣_ راجع المرجع نفسه اعلاه صفحة ٦، ١١_١٢، استحوذت قضية الشرق الاوسط على نسبة ١٧ بالمائة من التجمع وهي نسبة عالية جدا اذا ما قورنت بتدفق عالمي للانباء كما يظهر Pinch.

٣٤_ يدير هذا المكتب ليفون كشيشيان وكان عملاؤه الرئيسون صحيفة الاهرام القاهرية اضافة الى الوسائل الاعلامية في الكويت وابو ظبي والمملكة العربية السودية والمغرب. مقابلة كع كشيشان نيويورك ايلول عام ١٩٧٢.

٣٥_ مقابلة رقم ١١٢ مع صحفي عربي، واشنطن D.C. كانون ثاني ١٩٧٣ ومقابلات عديدة اخرى، لحلول عام ١٩٧٩ كان هنالك ثماني دول يمثلها مراسلون في نيويورك الا ان خمسا من هذه الدول كان يمثلها كشيشيان؛ وكان لدى اربع دول فقط مراسلون في واشنطن. وعلى سبيل المثال فقد كان لدى وسائل الاعلام الاسرائيلية سبعة مراسلين في واشنطن وسبعة عشر مراسلا في نيويورك.

٣٦_ UNESCO, News Agencies p.35

٣٧_ اعتقلت الاردن مثلا مدير مكتب وكالة الانباء العراقية في عمان في تشرين اول ١٩٧٢، واغلقت سوريا مكتب مينا في دمشق في تموز ١٩٧٣ كما اغلقت ليبيا مكتب مينا في طرابلس بتاريخ آذار ١٩٧٦. واغلقت الاردن مكتب مينا في عمان بتاريخ نيسان ١٩٧٩.

٣٨_ بدأت هيئة الاذاعة البريطانية بثها بالعربية عام ١٩٣٨. وزاد البث اثناء ازمة السويس عام ١٩٥٦ _ ١٩٥٧ من ٣,٧٥ ساعة اسبوعيا ليصبح ٦٦,٥ ساعة اسبوعيا حتى وصل الى ٧٠ ساعة اسبوعيا. وكان صوت امريكا الذي بدأ بثه بالعربية بعد هيئة الاذاعة البريطانية يرسل ٢١ ساعة اسبوعيا بحلول عام ١٩٥٥ وزاد ليصبح ٤٩ ساعة اسبوعيا بحلول السبعينات.

Voice of America, VOA Fct Book (Washington, D.C. 1971) وتبث هيئة الاذاعة البريطانية اذاعتها للعرب بمرسلات في قبرص ومسيرة بينما يبث صوت امريكا من رودس.

٣٩_ من المعروف في الشرق الاوسط ان هذه المحطات نادرا ما يستمع اليها؛ واظهرت مسوحات اجريت على المستمعين هذه الحقيقة او ان هذه المسوحات قد اسقطت هذه المحطات من اعتبارها واعتبرت ان لا اهمية لها في المنطقة. ويظهر ان مونت كارلو تتمتع بشعبية بين اوساط الشبيبة العربية ولا تتوفر معلومات مسح عن هذه الاذاعة

الحديثة..

٤٠ـ Middle East Marketing Research Institute, "Media Habits Among USIA Target Groups in Beiruts Lebanon" (Beirut, 1969). mimeo

٤١ـ فضل ٥٤ بالمائة من الاردنيين الذين يعيشون في ست مدن رئيسة اخبار التلفزيون بينما فضل ٣٤ بالمائة الاذاعة و١٢ بالمائة للصحف.

اتحاد الاعمال الاستشاري "A media Penetration Survey in Jordan" (بيروت: كانون ثاني ١٩٧٠) صفحة ٤٠ـ٤١.

٤٢ـ يستطيع مشاهد التلفزيون في هذه المنطقة مشاهدة برامج من العراق والكويت والمملكة العربية السعودية وقطر وابو ظبي ودبي وكلها بالعربية عندما تكون الظروف مناسبة. كما يستطيع المشاهد رؤية المحطات الايرانية ومحطة الارامكو في الظهران على اجهزة تلفزيون ذات مقياس ٥٢٥ خط، تصدر مصر حوالي الفي ساعة برامج تلفزيونية سنويا الى الدول العربية الاخرى، الا ان هذه البرامج ليست اخبارية او برامج شؤون عامة.

٤٣ـ مقابلة مع رئيس تحرير مجلة العربي الكويتية، آذار ١٩٧٢، بعض هذه المعلومات هو من ملاحظات المؤلف.

٤٤ـ مقابلات رقم ٤٢ و٤٣ مع موزعي منشورات سعوديين، الرياض ١٨ ايار ١٩٧٣.

٤٥ـ اظهرت دراسة على ست مدن اردنية عام ١٩٦٥ ان ست منشورات اجنبية كانت تبيع اعدادا تفوق الاعداد المباعة من صحيفتين اردنيتين يوميتين

Associated Business Consultants, "A media Penetration Survey Conolucted in the Cities of Jordan" (Beirut: ABC July 1965), Tables 80 and 83.

٤٦ـ هنالك دراسات عديدة عن صمامات الابواب. وقد كان اول تطبيق صحفي لمفهوم Kurt Lewin عن صمام الباب في "The Gate Keeper A Case Study in the Selection of News" David Manning White Journalism Quarterly 29 (Fall 1950): 383-90

٤٧ـ W. Phillips Davison, International Political Communication (New York: Praeger, 1965) pp.14-21.









رقم الايداع (١٩٨٨/١٢/٧١٥)